حمدي خليفة

نساء ودماء



تقديم أ. د. رشدي فكار



نســاء.. ودمــاء

نساء.. ودماء

الناشر: دار الأحمدى للنشر
القاهرة: ١٥ عبدالخالق ثروت
تليفاكس: ٥٧٧٠٦٢٥ ـ ٥٧٥٨٠٩٨
المنيا: ٧٤ شارع طه حسين
تليفاكس: ٣٤٧٨٠٢

المؤلف: حمدى خليفة

رقم الإيداع: ٩٩/١٤٢٢٢

الترقيم الدولى: 977 - 5887 - 23 - 2

الطبعة الأولى: نوفمبر ١٩٩٩

ستاربرس للطباعة والنشر
٤٠ شارع المحولات - الهرم - ت ٥٦٣٧٥٥٢

حمدى خليفة

نساء.. ودماء

تقديم

أ. د. رشدى فكار



دار الأحمدى للنشر

تقديـم

بقلم: د.رشدى فكار

نحن أمام مؤلَف متميز يقع فيما يتجاوز مائتى صفحة تجسد لنا حوالى ثلاثين واقعة من حياتنا الأسرية والاجتماعية، وتعرض وقائع معيشية آن الأوان أن تُشرح وتفسر وتشرّح بحثاً عن إجابات محددة للسؤال.. لماذا؟؟

قام الأخ الأستاذ الجليل حمدى خليفة المحامى والذى نكن له كل اعتزاز بتقديم هذا المؤلَف الذى جمع بين الأسلوب المباشر والعرض التلقائى.. لا لاجتذاب القارىء إغراءً وتشويقاً وإنما ليلزمه تلقائياً بمتابعة الأحداث، وما جاء فى محتوياتها بكل تفاصيلها وفى إطار متميز لوقائع متوالية تبرز لنا ومن خلال العروض الثلاثين الجانب الأسرى والاجتماعى فى مصرنا العزيزة مهد الحضارات وأرض النبوات، وكيف يتواجه ابناؤها مع الحياة بكل أبعادها. ومن هذه الزاوية فمصرنا مخلصة بحاضرها الملموس لمسيرتها التاريخية عبر كل العصور..

المؤلف بقدرة واضحة وعطاء متكامل يكشف لنا مختلف معطيات الإنسان، وذلك دون انفعال أو انسياق وراء مشاعر قد تجد مكاناً لها فى إطار آخر وقضايا تتجاوز الثلاثين المقدمة، وفى إطار مبسط لمضمون كل واقعة دون تقمص أو إطالة مفتعلة أو تقليص أو اختزال.. لقد كان وضعه لهذا المؤلف وبعرض يتميز ويتفرد بإبراز الواقع دون خروج أو تجاوز لمسيرة الانضباط المطلوبة لتأمين مصداقية السرد للوقائع

وتقصى الأحداث فى كل أبعادها ومختلف أبعادها ومختلف تناقضاتها نموذجاً حياً لعرض الواقع كما هو، لا كما يجب أن تكون.

إن المؤلف يشد فى عروضه المختلفة القارئ ليعيش بل ويغوص فى جوف الأحداث حينما يشرح تلك الأسرار الرهيبة للحياة الأسرية والاجتماعية، فيقدم لنا إنساننا بل والإنسان فى كل مكان حينما يتوعك فى مسيرته مهما كانت مرارة الواقع مغطياً لها بمهدئات قد تفقدها أبعادها الحقة.

مؤلَف يقدمه الأستاذ حمدى خليفة ليشكل صفحة متميزة لواقع الحياة وأصالة الإنسان حين قسوتها وقساءتها مقدماً معطياتها على بقية المعطيات. إنها خليط متكامل للكبرياء والإعتزاز وعدم التراجع مهما كانت النتائج والمسببات.

إن المؤلف يعرض علينا جانباً بل وجوانب متعددة جديرة بالتشريح والتدقيق وبكل موضوعية وهذه عناصر هامة لفهم المجتمع والتفاهم معه.

إننا الآن فى نهاية قرن وبداية قرن آخر علينا أن نسلط الأضواء على الإنسان أولاً كمحور للتقدم والإرتقاء. ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى حاول فيه أن يتعرض للعناصر الخفية حيث المشاعر والإحساسات ليستا هامشيان، وإنما تلعبان دوراً أساسياً فى مسيرته واختياراته. ومن هنا كانت أهمية التركيز على بنياته الأسرية وأبعاده الاجتماعية وهى البنيات المهيئة لدفع الإنسان كى يحقق تطلعاته الأساسية.

إن هذا الكتاب جدير بكل مراجعة دقيقة لفهم الواقع فى كل أبعاده بما يدعم بنياته وهياكله الأساسية المحددة لقدراته فى عصر تقدمت فيه قدرات الإنسان على إمكانات الطبيعة، حيث أصبحت التنمية تنصب على الإنسان القادر على تسخير امكانات الطبيعة المحيطة به. نكررها للمهتمين بقضايا التنمية: ينمو الإنسان ليحافظ على ما نمّاه لا أن ينمو ليهدمه.

نزكى هذا الجهد متمنين المزيد منه كنوع من الأعمال التى تقدم وجهاً مشرقاً ومشرفاً لما يمكن أن يقدمه رجالات القانون من مساهمة فعالة فى تشريح واقع المجتمع والتعرف على خباياه.

أمتنا أرض الرسالات الخالدة ومهد الحضارات الكبرى وفيها ومنها أشرق نور إنقاذ الإنسان وفى حضوره وباسهاماته لا تفضلاً عليه إلا من خالقه، وذلك إحياءاً لمسئوليته الدائمة وشعوره أنه لم يخلق عبساً.

هى إذن عروض تبرز بل تجسد لنا جوانب خفية إلى حد ما، قد يتعالى البعض أو يحرص على عدم ذكرها طمعاً فى استعادته لتوازن ذاته.

إنه إضافة متميزة للمكتبة العربية تستحق منا هذه الإشادة والتعريف فى عصر التطلع والبحث بكل الامكانات لتأمين وجوده المتصدر الذى كان وسيكون فى هذا العالم الملىء بالتناقضات ليربط بين ماضٍ معطاء وحاضر نتمنى أن يكون بدوره معطاءً.. بل أكثر عطاء.

د. رشدى فكار

عضو مشارك فى أكاديمية العلوم
لدائرة ما وراء البحار فى مجامع الخالدين بفرنسا
المقبول فى جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٣
عضو المجلس الأعلى للثقافة فى مصر
وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بها

كلمة أولى

يقدم هذا الكتاب مجموعة من النساء اللاتى دفعت بهن الظروف دفعا إلى قاعات المحاكم بدءاً من الفلاحة البسيطة.. وانتهاء بالأميرة العربية التى وقفت فى محكمة الأحوال الشخصية تطلب الطلاق من زوجها المصرى!

النعيم.. امرأة!

والجحيم. أيضا. امرأة!

الحياة فوق ظهر الأرض بدأت بجريمة قتل من أجل امرأة.. وأشهر الحروب فى التاريخ، حرب طراودة كانت بسبب امرأة!

والذين يقولون إن الحياة بغير نساء هى العذاب بعينه.. لم يكذبوا.. والذين قالوا إن الحياة مع النساء هى الجحيم الذى لا يطاق.. لم يكذبوا أيضا!

الشعراء وضعوا حواء فوق قمة الكون وأشادوا بوفائها وعذبهم غرامها وتغنوا برقتها.. والحكماء وضعوا المرأة فى مكانة الحاكم الباطش حينما قالوا إن ثلاثة لا أمان لهم.. الحاكم وإن قرب والزمان وإن صفى.. والمرأة ولو طالت عشرتها!

وسوف يظل الناس إلى يوم القيامة مختلفين حول حواء.. بل لن ترضى حواء عن نفسها ابدا.. فهى دائما تنتقد كل أنثى.. إلا هى!

لكن لماذا تثير النساء كل هذا الجدل؟!

هل لأنهن وطن المتناقضات؟! أم لأنهن أمهات الرجل وأكثر المخلوقات دراية به وعلما بنقاط ضعفه؟!

الافتراضات كثيرة.. لكن أكثرها قبولا للمنطق والعقل، ومن واقع التجربة العملية، إن النساء يتمتعن بقدر من الغموض اتاح كل هذه المساحة للاختلاف عليهن!

.. وغموض المرأة يكمن فى قدرتها على كتم أسرارها.. والثأر لكرامتها.. ويكمن أيضاً فى معاركها مع الرجل التى لا تخرج منها أبدا وهى خاسرة!

وسر أسرار المرأة دائما.. رجل! فلا حياة لإمرأة بغير رجل.. قد تستغنى مؤقتا عن أبيها.. أو تنسى شقيقها.. لكن يبقى رجلان لا غنى لحياة المرأة عنهما.. حبيبها وغالبا ما يكون زوجها فى سنوات الزواج الأولى.. وابنها إلى أن تموت!

.. وكثيرا ما تحدث المواجهة بين المرأة والرجل.. وتدور رحى المعركة.. ويسقط الضحايا.. وتسيل الدماء!.. وحينما تصل المرأة إلى هذه المرحلة فإنها تفوق اعتى الرجال فى فنون الانتقام وسفك الدماء!.. لكنها ليست دائما الفاعل الأول أو الحقيقى أو الوحيد.. فهى تارة شريك، وتارة أخرى محرض، وثالثة تلعب دور الشاهد فتشعل النيران بعد أن تجف الدماء!

.. وليس شرطا أن تكون جريمة المرأة جنائية ولا أن يكون حصادها دماً يسيل من الجراح.. فكم من جرائم شخصية ترتكبها بنات حواء.. وكم من دماء الجراح.. خاصة حينما تصيب الخيانة قلب الرجل.. أو يُشرد الطلاق أطفال زوجين بعد معركة «انفصال» مريرة!

.. ولن يعرف احد النساء إلا داخل المحاكم.. غالبا ما تسقط الأقنعة. ونادرا ما تظل المرأة على غموضها.. داخل المحكمة تقف النساء عاريات من كل الأمراض النفسية للنساء!

ومن قاعات المحاكم. وبحكم تواجدى بها يوميا... عشت الحكايات المثيرة.. والقضايا الغريبة.. والوقائع التى تفتح شهية أى إنسان للمتابعة والترقب وترصد النهاية.. عشت الحب والكراهية.. الحقد والغفران.. الرقة والتوحش.. الماضى والحاضر والمستقبل فى ملفات النساء.. رأيت فيهن من تستحق الشفقة رغم جبروتها.. وشاهدت منهن من تستحق الرجم رغم ما تحمله ملامحها من براءة!

وفى هذا الكتاب أقدم مجموعة من النساء اللاتى دفعت بهن الظروف دفعا إلى قاعات المحاكم.. بدءا من الفلاحة البسيطة.. وانتهاء بالأميرة العربية التى وقفت فى محكمة الأحوال الشخصية تطلب الطلاق من زوجها المصرى!

لفتت انتباهى القاتلة التى لا يرهبها حبل المشنقة.. والمظلومة التى سحبت كل ارصدتها من بنك الدموع!.. وجذبت اهتمامى تلك المرأة التى انخدعت بالحب.. وتلك التى احترفت النصب باسم الحب!

هذه الحكايات المثيرة فى النهاية هى تأكيد صريح على أن النساء أسرار، رغم تشابههن فى الطباع والملامح والسلوك!.. ومن هنا تأتى خطورة كل امرأة!! لأن ما يصلح دليلا للتعامل مع أنثى، قد لا يصلح مع أنثى أخرى.. وما تحبه حواء فى هذا الرجل.. قد تكرهه فى رجل آخر!.. وأسألوا القضايا التى كانت المرأة طرفاً فيها.. سواء كانت جانية أم مجنى عليها.. وسواء كانت شاهدة.. أو حتى محرضة!.

.. وتلك بعض سطور ملفات القضايا التى كنت طرفاً أصيلاً فيها.. مدافعاً عن المرأة كمتهمة أو كمجنى عليها.. أقدمها لكم فى هذا الكتاب.. نساء ودماء..

حمدى خليفة..

السر الرهيب!



.. واختلى بى زوجى بعيدا عن الأولاد.. لكنهم سمعوه وهو يهمس لى بأننى لا استحق غير القتل.. ظننته يمزح.. لكنه أخرج من مظروف يحمله فى يده صورى وأنا عارية وسط بعض الشبان!

هذه واحدة من أشهر وأغرب القضايا التى شهدتها قاعات المحاكم فى المائة عام الأخيرة.. بل ربما تكون أهمها على الإطلاق فى ملف العلاقة الأزلية بين آدم وحواء.

جمعت القضية بين روعة الحب وقمة الانتقام.. وكما شهدت فصول التضحية من أجل لحظة وفاء.. أو قطعة خبز وحفنة من الملح.. شهدت فصولا من التضحية بكل شىء.. وكما كان الهوى فيها ينبوعا عذبا متدفقا.. صار بركانا يقذف بقطع الحمى الملتهبة فى كل الاتجاهات.. هى بإيجاز قصة يندر أن تتكرر على مسرح الحب.. ويندر أن تلدها الحياة من جديد بنفس وقائعها الغريبة.. وحكاياتها المثيرة ومشاهدها العجيبة!

تقول أوراق الدعوى إن ايقاع الحياة لا ينافسه على الإطلاق خيال أى مؤلف وإن لم تصدقوا فاسألوا نوال وسمير.. وأولادهما الثلاثة!.. اسألوا جدران هذا البيت العتيق فى حى السيدة زينب.. وزنزانة الدور الثانى بسجن طرة.. والزنزانة القبلية بسجن أسيوط.. وأوراق الخريف طوال عشرين عاما مضت من عمر نوال وسمير.. والأوراق الفولسكاب التى كتبت عليها نوال حكايتها وارفقتها بملف دعواها أمام قضاءالمحكمة الذين ضموا إليها أيضا - الأوراق التى كتبها سمير بخط يده وأقر فيها بأن الحياة ظلمته وظلمت نوال.. وحكمت عليهما معا بالإعدام!. ورغم هذا كله كان على قضاة الدعوى وهم بشر من لحم ودم أن يكونوا حكاما فى قضية صنعت على مدار ربع قرن كامل من الزمان!

ماذا تحمل الأوراق والملفات من أسرار ومفاجآت؟! دعونا نخوض فى التفاصيل التى تحكى أدق أسرار احد البيوت التى صالت فيها الأسرار وجالت وقدمت لنا هذه الملحمة التى تشبه أساطير زمان!

لحظة الإقلاع!

لا تتذكر نوال من طفولتها إلا هذه اليد التى امتدت إليها لتنشلها من دوامة اليتم بعد أن مات أبواها معا.. كانت يدعمتها وزوجها.. اغدقا عليها الحنان والحب والرعاية حتى بلغت التاسعة عشر عاما.. لكنها طوال هذه السنوات لم تعرف معنى حنان الأم وعطف الأب.. واعتبرت نفسها بعد رحيل عمتها «مقطوعة من شجرة».. فلم يكن من المعقول أن تستمر فى العيش مع زوج عمتها «الغريب» فى بيت واحد بعد أن أصبحت له زوجة أخرى فى مثل عمرها! اختارت نوال الحياة فى بيوت الطالبات إلى أن ظهر زوج عمتها من جديد.. بلغ كرمه معها أن جاء إلى زيارتها ومعه عريس أحب نوال منذ اللحظة الأولى التى شاهدها فيها!.. ولم تتردد فى الموافقة على العريس الذى اهدته إليها الأقدار فى الوقت المناسب بالضبط! فقد كانت على مشارف التخرج من الجامعة.

لم تختره لأنها كانت تحتاج إلى رجل يوقظ انوثتها النائمة.. فهى لم تخض تجربة حب واحدة.. ولم يدخل رجل فى حياتها الخاصة.. لم تختره لأنها كانت بحاجة إلى زواج تتمناه أية فتاة تقترب من بوابة العشرينات وتخشى أن يفوتها القطار كلما مضى عام فى ذيل عام!

لكن نوال اختارت سمير لأنها كانت تخشى من المجهول الذى يحمله لها الغد كلما فكرت فى قدومه.. وهى بلا أهل.. ولا أقارب ولا مال يعوضها عن العلاقات الإنسانية التى حرمتها منها الدنيا.. اختارت سمير لأنها كانت تحلم ببيت تحرص على ألا تمتد إليه يد الخراب أبدا.. وتحلم بأطفال تهبهم كل ما حرمت منه من حرب وحنان وعطف..

وتم الزواج بسرعة!

كانت نوال تخشى أن تصبح حياتها جحيما مع هذا الزوج الذى تعيش على ذمته زوجة أخرى.. تخشى لو ظهرت هذه المرأة يوما فتهدم عشها.. أو تشرد أطفالها.. تخشى لو نسى سمير أو تناسى وعوده لها بأن يجعلها ملكه غير متوجه على عرض حياته.. لكنها فى النهاية كانت تشعر بالأطمئنان غير المحدود من الليالى والشهور الأولى لزواجها من سمير.. كانت هى الدافع الأول لتفاؤلها واستمرارها فى الاخلاص لهذا الزوج الذى

وهبها كل ما تحلم به خلال ثلاث سنوات!

تقول نوال عن هذه الفترة من حياتها:

- ... وبقدر ما ظننت أن حياتى معه ستكون عذابا بقدر ما منحنى السعادة الموعودة فى هذه السنوات القليلة التى تربصت فيها الرياح العاصفة بسفينتى الصغيرة منذ لحظة الاقلاع واعترف أننى احببت هذا الرجل المتزوج بجنون.. بل تعاطفت معه حينما تأكدت بنفسى أن زوجته الأولى كانت كفيل بسجن جيوش من الرجال بما تملكه من أسلحة النكد الفتاكة من قهر الزوج إلى السخرية منه وافشاء أسراره الخاصة أمام كل من تعرفه ومن لم تعرفه عشت حياتى معه لا يشغلنى الغد المجهول كما اعتدت من قبل.. وكان هذا انجازا هائلا تحقق به حلم من أحلام حياتى!

لا تتركنى وحدى!

وتكمل نوال حكايتها قائلة: «احببت هذا الرجل كما لم تحب امرأة زوجها من قبل.. وربما لأنه كان ثريا يمتلك أموالا طائلة من ميراث ابيه بالصعيد.. ودون أن يكون بخيلا قط.. وربما لأنه رومانسى رقيق علمنى كيف يكون الحب وكيف نصادق الأشواق!.. وأخيرا.. ربما لأننى شعرت أنه ضحية امرأة ردت على عطفه وحنانه بجفاء مقصود.. وعناد مع سبق الإصرار!.. وربما كان حبى الأسطورى له بسبب كل هذه الدوافع مجتمعه معا!

انجبنا فى العام الأول من زواجنا ولدا.. وفى العام الثانى بنتا.. وفى العام الثالث أو بعده بشهور قلائل ولدا ثالثا.. وكم تمنيت لو انجبت له كل عام ابنا حتى اباهى الدنيا كلها بأولادى من هذا الرجل.. لكن القدر لم يمهلنى طويلاً!

بعد ولادة ابنى الثالث قبضوا على زوجى ذات ليلة عصيبة.. قتل احد ابناء بلدته اخذا بثأر قديم.. لم يشفع له ذكاؤه فى خطته العظيمة التى رسمها حتى يفلت من يد العدالة.... وقع فى اللحظة الأخيرة من هروبه.. كنت ليلتها انتظره بفارغ الصبر بعد أن نام وليد ومنى وظل طفلى الأخير مجدى على صرخة واحدة.. كنت انتظر سمير حتى يذهب بطفلنا إلى الطبيب.. لكن لابد من أن يجىء حبيب العمر جاء خبر القبض عليه!

تابعت قضيته ودموعى فوق خدى.. احزننى ان ثقافته وعلمه ومركزه لم يجعلوه يفكر بعقلية الحضارة والمدنية.. لم اعرف كيف وقع فى براثن الثأر وجرائمه وخرب بيته بيده.. وتوالت الأخبار غير السارة التى بدأت بانكشاف امر زواجى منه أمام زوجته الأولى.. وانتهت بحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة التى قضت بها المحكمة على زوجى!.. لكنى فوجئت بعد سجنه بأنه كان قدنقل معظم ما يملكه ليكون باسمى.. وبين عشية وضحاها أصبحت امتلك ثروة كبيرة قررت أن اهبها كلها لأولادى منه.. وأن أعش حزينة الوحدة حتى يعود زوجى أو أموت قبل هذه اللحظة مضى العام الأول.

ذهبت إلى زيارته فى السجن.. وهالنى أن أشاهده يبكى بشدة وهو يسألنى عن أولادنا.. توسل لى أن لا يعرف الأولاد أنه مسجون.. وأن تظل صورته الرائعة فى عيونهم كما هى.. وأن تكون تربيتهم على أرفع مستوى اجتماعى وتعليمى.. وظل يرجونى أن أخبرهم أنه مسافر ولن يعود إلا بعد سنوات طويلة حتى لا يعايرهم أحد به.. وأن أسكن معهم فى مكان آخر لا يعرفه احد وأن انفق كل ثروته عليهم!

وتواصل نوال قائلة:

- «وعدته بأن انفذ كل وصاياه.. لكنه سألنى بوضوح.. هل تريدين الطلاق أم الانتظار؟! لا أريد أن أظلمك!».. وبكيت أنا عندما اجبته بكل حماس الدنيا اننى سوف انتظرك.. وكاد أن يحطم الاسلاك الشائكة التى احدثه من خلفها فى زيارتى له عندما اخبرنى أن زوجته الأولى قد حصلت على الطلاق.. ولمحت الدموع فى عينيه من جديد وهو يهمس لى «لا تتركينى يا نوال».. وقلت له ان الله شاهد بينى وبينه.

انتقلت مع أولادى إلى سكن جديد.. مكان لا يعرفنا فيه احد. انفقت عمرى على تربية اطفالى الثلاثة بعد أن اخبرتهم أن والدهم هاجر إلى خارج مصر ونسانى ونساهم!.. وفى الوقت نفسه التحق بعمل حكومى يشغل وقتى تارة.. ويمنع عنى الشبهات أمام أولادى حينما أخرج كل ثلاثة أسابيع لزيارة سمير وهو ينتقل من سجن إلى سجن.. كنت احمل إليه صورة أولادنا كل ستة أشهر حتى يتابع شكلهم من حين إلى آخر.. احدثه عن اخبارهم فكأنه يعيش بيننا.. وأروى له مشكلاتهم فيساعدنى فى حلها!.. وكلما جاء

أول أيام الخريف أظل أبكى فى بيتى بعيداً عن عيون أولادى.. فقد كان أول كل خريف يعنى أن عاما قد مضى على فراقى لسمير.. وكان هو يبكى الذكرى نفسها فى زنزانته الموحشة! مضت الأعوام العشرة الأولى من سجن زوجى وبدأت اتنفس الصعداء.. فلو حافظ زوجى على حسن السير والسلوك فسوف يخرج فى نصف المدة.. أى أنه لم يبق غير عشر سنوات أخرى ويعود لى زوجى.. لم اصدق أن نصف المدة مضت وتحملتها بكل هذا الصبر.. كان أولادى قد كبروا وودعوا الطفولة الساذجة.. كان جميعهم يتعلم فى المدارس الأجنبية.. ويتفوقون ويحتلون المركز الأول فى امتحانات كل عام.. وهكذا عرفت الأفراح طريقها إلى قلبى مرة أخرى.. لكنى فى قمة الفرح اصابنى حادث قلب حياتى رأسا على عقب فبينما كنت عائدة من زيارة زوجى فى سجنه البعيدالذى نقلوه إليه.. وبعد ان احتفلنا بمضى نصف المدة فى هذه الزيارة. فوجئت بسيارة تعترض طريقى بالقرب من منطقة نائية.. كان بداخلها أربعة شبان اوقفوا سيارتى عنوة وجذبونى منها بكل وحشية.. ثم حملونى حملا إلى سيارتهم وكانت صرخاتى تضيع هباءاً منثورا فى الاراضى الصحراوية المتاخمة لهذا المكان.. اسرعوا بى بعد لحظات إلى مكان مرتفع فوق الجبل.. مزقوا ملابسى واغتصبونى تحت تهديد السلاح وإذ بى اغيب عن الوعى.. وعندما افقت وجدت نفسى غارقة فى دماء النزيف وشمس الدنيا تستعد للغروب. أسرعت فى الصحراء غير عابئة بالذئاب الحيوانية بعد أن التهمنى ذئاب البشر.. كنت اعدو دون أن أعرف إلى أين اتجه.. أو إلى أين الاتجاه الصحيح.. ولم تنقذنى غير سيارة شرطة اصطحبتنى إلى حيث كانت سيارتى.. ووجدت نفسى اتوسل للضباط بألا يحرروا محضرا بالواقعة.. كنت لحظتها أتمنى الموت وأن تبتلعنى الأرض ولا يعرف أولادى وزوجى بهذه الفضيحة وكان الضابط رئيس الدورية كريما معى. ووافق على عدم تحرير المحضر.. وأطلق سراحى.. لكننى فكرت فى طريق عودتى إلى منزلى فى أن اتخلص من حياتى فورا.. فالموت سوف يكون ارحم على نفسى من أن أعيش وفى داخلى هذا السر الرهيب!.. وبالفعل.. اوقفت سيارتى بجوار المنحدرات.. وقررت أن ألقى بنفسى تحت عجلات القطار الذى كان قادما من بعيد.. وأصبحت وجها لوجه أمام القطار.. لم يكن يبعدنى عنه سوى عشرة امتار فقط.. وفجأة سمعت صوتا غريبا.

ملأ الصوت اذن نوال.. واختلط بصوت القطار الذى اقترب بشدة.. وتعالت صيحات الناس تحذرها من الاقتراب كان صوت ابنها الاصغر فى مسامعها: «ماما.. لا تتأخرى.. لن اتناول طعامى حتى تعودى!».. انه أقرب أولادها إلى قلبها.. انهمرت دموعها وتراجعت خطوة وفوجئت بيد قوية تجذبها إلى الخلف قبل أن يفترسها القطار المتوحش بعد ان افترسها الذئاب الأربعة فى مغارة الجبل!

عادت إلى بيتها حزينة.. شردة.. ضاع منها معظم تركيزها.. وبقى ما ينفعها فى التعامل مع أولادها.. لم تكن هى أمهم.. ولم تستطع الاجابة على تساؤلاتهم وقد تجمعوا حولها يمطرونها بالاسئلة.. أين كانت كل هذا الوقت؟!.. ما الذى اصابها بهذا الانهاك والضعف؟! لماذا تورمت عيناها من البكاء؟. وكما عودتهم طلبت منهم أن يتركوها وحدها فاستجابوا.. أوحت إليم بأن أخبارا وصلت إليها من بلاد المهجر تؤكد لها ان زوجها قد تزوج من أخرى.. قصة افتعلتها وصدقها الأولاد.. وطلبوا منها أن تغفر لوالدهم فهى لا تعرف ظروفه!

لم تتم نوال ليلتها.. كابوس مزعج أضاع عليها فرحة الصباح ومضى نصف مدة العقوبة كابوس كاد أن يصيبها بالشلل وهى تتذكر لحظة ظهور الذئاب واغتصابها بوحشية نزفت معها الدماء من جسدها.. امتهنوا شرفها وشرف زوجها السجين وأولادها الذين عاشت عمرها من أجلهم.. اجتاح نوال زلزال هز اعماقها بشدة.. راجعت نفسها.. هل اخطأت حينما رفضت ابلغ الشرطة رسميا وتراجعت عن تحرير المحضر؟!.. هل كان يجب عليها ان تمنح العدالة فرصتها للامساك بالذئاب المتوحشة قبل أن يفتكوا بسيدة أخرى وينهشوا شرف رجل اخر؟! فى النهاية وجدت نوال نفسها مستريحة لعدم الإبلاغ رسميا لأن الواقعة تقضى على مستقبل اولادها من ناحية.. وتقتل زوجها بالسكتة القلبية من ناحية أخرى فهو يتعامل مع الدنيا بمنطق الصعيد الجوانى وعاداته وتقاليده حتى انه دخل السجن عشرين عاما فى قضية ثأر!

أشرق الصباح بنور الفجر.. توضأت نوال وصلت ودعت ربها أن يعينها على هذه الكارثة بالصبر والنسيان.. اعدت الافطار لأولادها وجففت دموعها وبدأت تشرف على

خروجهم إلى مدارسهم!

كان قلب نوال منقبضا، حزينا، لكنها لم تكن تملك سلاحا آخر غير الصبر والصمت.. ضاعت من اعماقها اخر فرحة كانت تعيش بها.. احست انها تخفى سرا رهيبا عن اقرب الناس إليها وأن عليها وحدها أن تتحمل عبئه!

ممنوع الزيـارة!

تكمل نوال حكايتها المثيرة قائلة:

.. ليس اصعب على إنسان من أن تكون حياته مزيفة.. كلما حضرت مع أولادى حفلا فى مدارسهما.. أو تواجدت فى مكان عام لم يجرؤ مخلوق على مناداتى باسمى المجرد.. كان لقب الهانم يسبق اسمى دائما.. ويبالغ الناس فى احترامى فأنا المرأة الغنية وأم الأولاد المتفوقين.. وفى حقيقة الأمر كنت اتمزق داخلى.. أشعر أن الناس لا يحترمونى وإنما يسخرون منى وكأنهم يعلمون حقيقتى أو شاهدونى داخل المغارة ممزقة الملابس يتناوب الذئاب نهش لحمى واحدا بعد الآخر تحت تهديد السلاح حتى غبت عن الوعى.. نعم لقد اصبت بعقدة نفسية خطيرة ترسبت فى اعماقى.. لكنى بذلت قصارى جهدى لأتحملها وحدى!.. ودارت الأيام.. تلاشت الواقعة تقريباً.. بقيت ذكراها المريرة ووجوه ابطالها.. المتوحشون الأربعة.. ووجه الشرطى الشاب الذى كان يدير الدورية التى اغاثتنى فى محنتى وتجاوبت مع رجائى بألا يكون هناك بلاغ رسمى بالواقعة.

لكن بدأت سلسلة جديدة من المفاجآت.. بعد أن اكتمل العام الرابع عشر سجن زوجى.. والرابع على الواقعة اللعينة فوجئت بزوجى يعتذر عن مقابلتى فى زياراتى له.. وعلمت من ادارة السجن انه مريض.. ويرفض أن يراه أحد وهو يعانى من أعراض المرض الخطير.. لم أصدق فى البداية.. لكنهم قدموا لى رسالة بخط يده ومعها شريط كاسيت بصوته يطلب منى رعاية أولادى وأن اتفرغ لهم واتركه وشأنه مع مرضه المعدى!

ماذا جرى للدنيا؟!. ماذا يقلب حالها من يوم إلى يوم؟! اسئلة ظلت تحيرنى بلا اجابة شافية.. حتى زوجى حرمتنى منه الأيام.. ولم يعد لى غير ابنائى الذين التحقوا بالجامعات فى العام التاسع عشر من سجن سمير.. اثنان التحقا بكلية الهندسة..

والصغير كان بالثانوية العامة.. وعرفت الفرحة طريقها إلى قلبى من جديد وعندما وصلتنى رسالة من زوجى على مقر عملى يطلب ان اذهب إلى زيارته لتجهيز سيناريو الافراج عنه!.. أول مفاجأة سارة بعد عشر سنوات تقريباً.. هرولت إليه فى موعد الزيارة.. وقفت خلف الأسوار الشائكة انتظر لحظة ظهوره.. كان سمير هذه المرة حاد الملامح.. نحيف الجسد.. يبدو أن المرض اصابه بشدة.. علمت من مأمور السجن ان سمير نجا من الموت بأعجوبة.. لكن حالته الصحية لاتزال حرجة.. لقدمنع عنه الاطباء اية انفعالات قد تؤدى بحياته.. وقفت اتأمله كأنه طفلى.. كأنه حبيبى فى موعد غرام تأخر سنوات طويلة.. وهمس لى سمير يسألنى فى براءة دارت معها الدنيا برأسى.

إيه اخبار الأولاد وحشونى قوى!

وددت لو عانقته أمام كل الناس هنأته بقرب الافراج عنه.. حدثته عن أولادنا.. واتفقنا معا على سيناريو ظهوره فى حياتنا من جديد وكأنه عائد من بلاد المهجر ليستقر معنا بعد سنوات الغياب التى اقتربت من عشرين عاما إلا أيام!

عدت إلى بيتى اطير من الفرحة.. وغلبتنى الدموع أمام أولادى وأنا احدثهم عن خبر عودة والدهم بعد شهور قليلة.. فرحة عارمة اصابت أولادى خاصة ابنتى الوحيدة التى راحت تسألنى عن شكله وقوامه ولون شعره وعينيه! أما أنا فلم انم ليلتى من جديد.. شريط الذكريات راح يمر أمام عينى وأنا غير مصدقة أن عشرين عاما مضت.. اننى عشت كل هذه الاحداث الجسام وتحملتها بهذا الصبر الاسطورى!.. عشرون عاما عشت معظمها ودموعى فوق خدى.. لا تبرح خيالى صورة زوجى السجين.. وليس فى عقلى سوى تمثالا من المرمر.. لكنى مع نفسى كنت مدركةاننى أديت رسالة العمر.. اخترت أن أكون وحيدة فى أحلى سنوات العمر من أجل زوجى وأولادى!

أخيرا عاد زوجى!

اصطحبته من السجن إلى احد الفنادق.. عاش اسبوعا استرد فيه توازنه.. اشتريت له اجمل الملابس والهدايا التى يدخل بها على أولادنا. وعدت به إلى شقتى وسط مظاهرة حب قادها ابناؤنا وكأنى هديتهم كنوز الدنيا كلها!.. لكن زوجى يفاجئنا جميعا

بأنه سيعيش وحده!.. احاط به ابناؤنا يسألونه فى دهشة عن السبب.. طلب أن ننفرد سويا فى احدى الحجرات.. نفذت طلبه.. ولم اكن اعلم ان الأولاد يتصنتون!

سمعو سمير وهو يبلغنى بأنى استحق القتل!.. ظننته يمزح.. لكنها كانت صدمة مدوية حينما طلب منى ألا اتكلم فقد جاء الوقت الذى يتكلم فيه هو!. فوجئت به يتهمنى بأننى كنت ابيع عرضى وشرفه اثناء سجنه.. وأخيرا عرفت سر المظروف الذى كان يحمله فى يده منذ افرج عنه.. كانت بداخله صورى وأنا عارية غائبة عن الوعى ومن حولى الذئاب الأربعة وهم عراة.. شل لسانى وضاع صوتى واصابنى ذهول كأنه الشلل.. صرخ فى وجهى سمير صائحا: «انت طالق.. وحسابك الآخر معى.. لن اقتلك وادخل السجن ثانية.. لكنى سأقتلك وانتحر معك لأن العار لحق بى ايتها الخائنة»حاولت ان اقنعه وجسدى كله يرتجف ان خصومه فى قضية الثأر ارادوا ان يقتلوه دون اراقة دماء ودون ان يقعوا تحت طائلة القانون فدبروا حادث خطفى واغتصابى وأنا عائدة من زيارته بالسجن.. وسألنى سمير فى سخرية: «اين الدليل على أن هذه الصور كانت حادثة اغتصاب.. هل قبضت عليهم الشرطة.. هل معك رقم المحضر والقضية؟! حاولت أن اشرح له لماذا تراجعت عن تحرير بلاغ رسمى فتعصب فى شدة وهو يتهمنى بالكذب والخيانة معا.. نسيت نفسى.. غلبنى الشيطان.. واسودت الدنيا أمام عينى.. ونفذ صبر السنوات العشرين فى لحظة واحدة.. وجدت نفسى اقذف سمير بفازة من الرخام طالتها يداى وقع فى الأرض مصابا بجرح نافذ، سابحا بين دمائه.. واقتحم الأولاد الحجرة.. وأصر صغيرهم على ابلاغ الشرطة ومناصبتى العداء وأنا التى لم انتحر يوما من أجله!

أصبحت متهمة بالشروع فى قتل سمير الذى فقد النطق وأصبح طريح الفراش فى غرفة العناية المركزة.. وراح بعد أسابيع يدلى بأقواله فى أوراق سطرها بيد فى صعوبة بالغة.. فى الوقت نفسه الذى قام فيه المحامى الذى ترافع عنى بدور إنسانى بالغ!

كلمة النهاية!

انتهى كلام نوال.. وتولينا الدفاع عنها فى واحدة من اغرب قضايا المحاكم بكل ما تحمله من تفاصيل مثيرة.. وعدت الزوج باثبات براءة زوجته من العار الذى اتهمها بجلسة على أن يؤجل اقواله أمام المحكمة.

واستجاب الرجل.. ووصلت إلى النقيب أحمد رئيس دورية الشرطة الذى توسلت اليه نوال بعدم تحرير بلاغ رسمى بواقعه الاغتصاب.. صار النقيب أحمد لواء شرطة فى منصب مهم.. ذهبت اليه ومعى صورة نوال وحكايتها.. تذكر الرجل.. تعاطف مع قصتها.. بل وتفضل بزيارة سمير فى حجرة العناية المركزة ليروى له بنفسه قصة يوم الاغتصاب فى مغارة الجبل القريب من السجن!

دمعت عينا سمير.. طلب رؤية نوال.. عرف أنها بالسجن.. أصر على حضور أول جلسة.. وقف أمام المحكمة ينفى أى اعتداء من نوال وقع عليه.. قرر أنه كان مفرج عنه من السجن ويعانى من نوبات عصبية دفعته إلى اصابة نفسه واتهام زوجته.. وضغط الشقيقان على الأخ الأصغر فأيد اقوال والده.. ووافقت المحكمة على هذا الإخراج لتحكم بالبراءة لحفظ كيان الأسرة.

خرجت نوال وفى صحبتها سمير.. جلسا مع أولادهما يحيكان قصة عمرهما من بدايتها إلى نهايتها.. وبكى الجميع.. وفجأة.. سأل سمير نوال عن شعرها الذى شاب.. ثم همس لها: أنا أسف يا هانم.

وتحابا الأبوان.. لكن لا أحد يعلم.. هل بقيت فى القلب أسرار أخرى.. أم أن العمر لم يعد فيه بقية!!!

الخائنة



«.. فى الاستئناف توالت المفاجآت.. شهدت طبيبة أمراض النساء أن سناء حضرت اليها حاملا.. وقيدت طفلها بعد الولادة باسم رجل آخر!»

ما هو المتوقع من امرأة جميلة الشكل.. قبيحة الطباع؟! وكيف تكون الحياة بين هذه المرأة وبين زوج ررمانسى، حالم، شديد الطيبه..والتسامح.. تكاد تصل براءته إلى حد السذاجة؟!

تفاصيل هذه القضية الغريبة تجيب على كل التساؤلات.. وتدق ناقوس الخطر أمام هذه النوعية من الرجال حينما يفكرون فى الارتباط بامرأة من نوعية سناء.. تخطف الأبصار بجمالها.. وترهق الناس بتصرفاتها وسلوكها!.. وإذا اردنا مزيدا من التفاصيل فلنذهب إلى قاعة المحكمة.. ونقلب فى أوراق الدعوى.. ونفتش فى أسرار الزوجين حسين وسناء.. ونستمع إلى دفاعهما فى الجلسات.. ثم نتعرف إلى حكم القضاء فى النهاية نتعرف أولا إلى سناء حينما كانت فتاة رائعة الجمال تستعرض شبابها وحسنها بين شباب أهل القلعة فى جنوب القاهرة.. كانت تبدو فى العشرين من عمرها رغم أن سنها الحقيقى لم يكن قد تجاوز السابعة عشر عاما بعد.. مكتملة الأنوثة تمشى كالطاووس.. قامتها طويلة وممشوقة.. عيناها الملونتان تسحران كل من يصادف طريقها.. وشعرها الذهبى الطويل يسترسل فى خيلاء حتى يتجاوز خصرها!.. لم تكن ثرثارة.. ولا متطفلة.. وفرضت سطوة جمالها على سكان الحى.. خاصة حسين ! أما حسين فكان من أرق شباب القلعة.. هادىء الملامح.. قنوعا ومتواضعا رغم أنه أذكى شباب الحى وأكثرهم علما واوسعهم ثقافة.. فهو الجامعى الوحيد الذى يحصل على مكافآت تفوق عاما بعد عاما.. لكن أهم صفات حسين كانت تكمن فى صبره الشديد على دلال سناء.. كان يعرف أنها شديدة الطموح رغم فقرها المادى.. ومؤهلها الدراسى

المتواضع.. ووظيفتها البسيطة.. كان الوحيد الذى اختارته سناء من بين كل شباب الحى الذين يطاردونها ليل نهار.. ويتسابقون لخطف ودها.. أو انتزاع ابتسامة منها.. أو نيل شرف التقدم بطلب يدها.. لم تقتنع سناء بواحد من هؤلاء ولفت نظرها بشدة هذا الجامعى المتفوق الذى يحكى عنه الكبار والصغار فى الحى.. يتحاكون بسيرته ونبوغه واخلاقة والمستقبل العريض الذى ينتظره.. لم تبخل سناء على حسين بنظرات الرضا.. أو ابتسامات الأطمئنان.. أو إلقاء التحية بكل الود كلما قابلت حسين من خلال الصدفة التى يجيد صنعها!

كان حسين واثقا أن له مكان فى قلب سناء.. لكن لم تشأ أن تمنحه ما هو أكثر من هذا الإحساس.. بل قالتها له أكثر من مرة فى أكثر من مناسبة.. حينما أفكر بقلبى سوف اختارك وأقبل المناقشة فى موضوع زواجنا.. لكن لا تعتبر هذا وعدا منى.. ربما خدعنى عقلى وخذلتنى نفسى.وتغيرت مواقفى.. أرجو الا تعتبرنى مقيدة بأى التزام نحوك حتى أخبرك أنا بهذا حينما يكون حقيقة دامغة!.. كان حسين مذهولا من طريقة تفكيرها..

وفلسفة حياتها.. وقدرتها على تحديد المواقف بهذه الدقة رغم قلة ثقافتها وتفاهة قراءاتها وبساطة صديقاتها.. كان واثقا من فطرة الأنثى قد زادت عن الحد عند هذه الفتاة التى اختارها قلبه مما جعلها تأسر عواطفة وتلجم عقله وتجبره على التعامل معها بالشكل الذى تحدده هى!

سألته يوما عن مستوى الحياة الذى يتمنى أن يعيشه ومستوى الحياة الواقعى الذى ستفرضه عليه إمكاناته.. واعجبه يقظة عقلها التى تعوضها عن ضعف مستواها التعليمى والثقافى.. أجابها بوضوح وصراحة.. لكنه لم ينس بعض التفاؤل والمبالغة حتى يستميل عقلها إلى صفة.. خاصة وإنه عقل يسوده الطموح!.. لكن يبدو أن حسين قد نسى نفسه مع بريق عينيها.. وتمادى فى المبالغة.. واستمرأ الحديث عن فرص المستقبل التى قد تجعله مليونيرا خلال ست أو سبع سنوات بعد تخرجه من الجامعة!.. بدأت تفكر جيدا فى تطبيع علاقتها مع حسين واشتياقها لآماله.. اقتربت منه أكثر.. تجاوبت مع عواطفه.. سعت إلى لقائه يوما بعد يوم.. وأخيرا لم تتردد فى البوح لحسين بتلك

العاطفة الجياشه نحوه.. صارحته أنها أحبته بقدر حبه نفسه لها أن لم يزد عليه.. طلب يدها.. وافقت على أن يتقدم لخطبتها.. هرول حسين إلى اسرتها.. طلب الزواج منها.. وافق على شروط الأسرة كلها.. وتحددت ليلة الزفاف فور حصول حسين على وظيفته فى الشركة الاستثمارية حيث سيتقاضى هناك ألف جنيه راتبا شهريا!

حبيبى.. ولكن!

تخرج حسين.. وفاز بالوظيفة.. وسناء معا ! وانتقل للحياة مع زوجته إلى شقة كانت تمتلكها أمه ضمن ميراثها عن جده.. اشترى أثاث الزوجية من المستوى المتوسط.. ولم ينس قط أن سناء كانت مبهورة وقت شراء الأثاث بحجرات نوم الأثرياء باهظة الثمن.. كانت عيناه تلمعان ببريق غريب.. بقدر ما هو جميل.. كان خطيرا أيضا.. إلا أن حسين لم يدع لهذه الأفكار مجالا.. فهو يثق فى إنه سيحصل على المزيد من المال من وظيفته.. وما هو بعيد عن قدرته اليوم سوف يكون متاحا فى الغد.. كان مطمئنا إلى أنه سيحقق لسناء كل ما تطمح اليه ويزيد.. لكن جاءت الأيام نموذجا للرياح التى لاتشتهيها السفن!

بعد عامين ونصف العام يكتشف حسين أن هناك صفقات مشبوهة يعقدها المسئولون عن الشركة.. بل هناك جرائم لايغفرها الضمير أو القانون ترتكب كل يوم فى حق الأبرياء.. وكان مطلوبا منه أن يكون شريكا فى المؤامرة.. وفى الربح ايضا.. لكن حسين بدأ يعترض.. وينبه.. ويحذر.. بينما كانت سناء التى ساعدها حسين بحسن نيه فى الالتحاق بوظيفة سكرتيرة بالشركة تعارض حسين فى موقفه الشريف.. وتحذره من المكسب الذى سيحقق حلمهما ضايع.. وتنبهه إلى انها لن تقبل أن يهدم زوجها حياتها بيديه.. بل وصل الأمر بسناء إلى مرحلة التهديد بأن تتركه وتضحى بطفليها إذا هو اتى لهم بالخراب المستعجل كما وصفته واصر على التمسك بالقوانين والضمير والشرف!

وكاد حسين يبكى.. فوجىء بنفسه بين شقى الرحى.. حبه المجنون لسناء وطفليه.. وضميره المتوقد فى الحفاظ على أمانة الوظيفة.. ورغم شدة الصاع فقد كسبت سناء أكثر من جولة بينما كان حسين مترددا فى التضحية بها أو تعريض طفليه للخطر.. وبدأ حسين يشعر بالخطر من المال الحرام الذى صار يتدفق بسهولة على بيته.. ثار فى زوجته

وصرخ يبلغها انه سيبلغ النيابة العامة ويحيل كل المخربين للنيابة العامة.. ويقدم كل المستندات الموجودة تحت يده إلى المحكمة!

وكانت المفاجأة الأولى حينما ردت سناء ببرود «انت حبيبي.. ايوه.. ابو عيالي.. ايوه.. لكن..» وسألها حسين ماذا تقصدين بكلمة «لكن» طالبها أن تكمل حديثها.. لكن سناء اكتفت بإطلاق ضحكة مدوية ثم صمتت وأوت إلى فراشها!

المفاجأة الثانية فى اليوم التالى.. اكتشف حسين ان كل المستندات التى كانت تحت يده قد اختفت.. انشقت الأرض وابتلعتها.. لم يشك فى زوجته رغم أنها كانت الوحيدة التى تعلم مكانها.. لكنه ادرك عن يقين انها قد تورطت حينما علم أن نيته فى الإبلاغ عن المخربين قد وصلت إلى المخربين انفسهم فتحالفوا ضده.. وأقالوه من الشركة!

المفاجأة الجديدة أن سناء رفضت ترك الشركة بعد أن طلب منها زوجها ذلك صراحة.. ثار حسين حينما علم أن الشركة قامت بترقيتها ومضاعفة مرتبها! حاول الزوج بكل قوته أن يوقظ ضمير زوجته.. وينبهها إلى الاخطار التى تهدد حياتهما.. لكن سناء كانت تسخر مما يقول حسين وتدوى ضحكاتها بين جدران الشقة كما لو كانت تهزأ بالزوج الذى أصبح عاطلا ومفلسا! لم يحتمل حسين.. ضربها حتى سالت منها الدماء.. هرول إلى الشركة فأخبروه بأنها فى إجازة بدون مرتب لمدة عام.. لكن أحد أصدقاء حسين المخلصين همس فى أذنه بأن علاقة ما تربط بين سناء وأحد المسئولين عن أحد القطاعات بالشركة... طار صواب حسين.. أسودت الدنيا فى عينيه.. ساءت صحته مع كل يوم يمضى دون أن يعرف أين زوجته.. بينما كان مطالبا برعاية الطفلين والبحث عن وظيفة يفتح بها بيته بعد ان هجرته سناء.

الخائنة!

.. ودارت الأيام حتى اكتمل عام!

أخيرا جاء اصدقاء حسين بالخبر اليقين.. سناء تزوجت هذا المسئول وتقيم معه فى شقته رغم أنها لاتزال فى عصمة زوجها.. انها تشيع أن حسين طلقها.. والغريب أنها انجبت طفلا رضيعا من هذا الرجل الذى يصر على أنه زوجها! جن جنون حسين.. تأكد

من المعلومات بنفسه ثم اسرع إلى قسم الشرطة يحرر محضرا بالواقعة. ويتم القبض على سناء فى عنوانها الذى ظلت انه سيظل سرا مدى الحياة!

وقفت سناء أمام المحكمة تنفى انها خائنة.. وتبرر علاقتها بهذا المسئول بأنه يفتح لها بيته بعد أن امتدت يد زوجها وضربها وسالت منها الدماء.. قدمت ما يثبت أن هذا المسئول الشهم قد أجر لها حجرة من شقته لكى تقيم فيها بعيدا عن قسوة زوجها!

وأمام المحكمة لم تكتمل وقائع دعوى الزنا.. ولم يجرؤ احد على محاسبة زوجه تهرب من بطش زوجها ولا تجد سكنا فتستأجر حجرة من شقته وقضت المحكمة ببراءة سناء.. وجاءنى حسين باكيا حزينا ضاعت منه كل أسباب التركيز والانتباه.. كان يائسا.. لا يتفاءل باستئناف القضية والحكم فيها لصالحه فى النهاية.. لكنى هدأت من روعه.. وطلبت منه أن يفوض أمره إلى الله. ويطمئن إلى أن الحق لابد وأن ينتصر فى النهاية.. حتى لو كان خصمنا فى الدعوى أمرأة لديها جبروت ودهاء ومكر سناء!. واعتمدت خطتنا على الطفل الرضيع الذى انجبته سناء ثم اخفته عن العيون طوال نظر الدعوى الابتدائية.

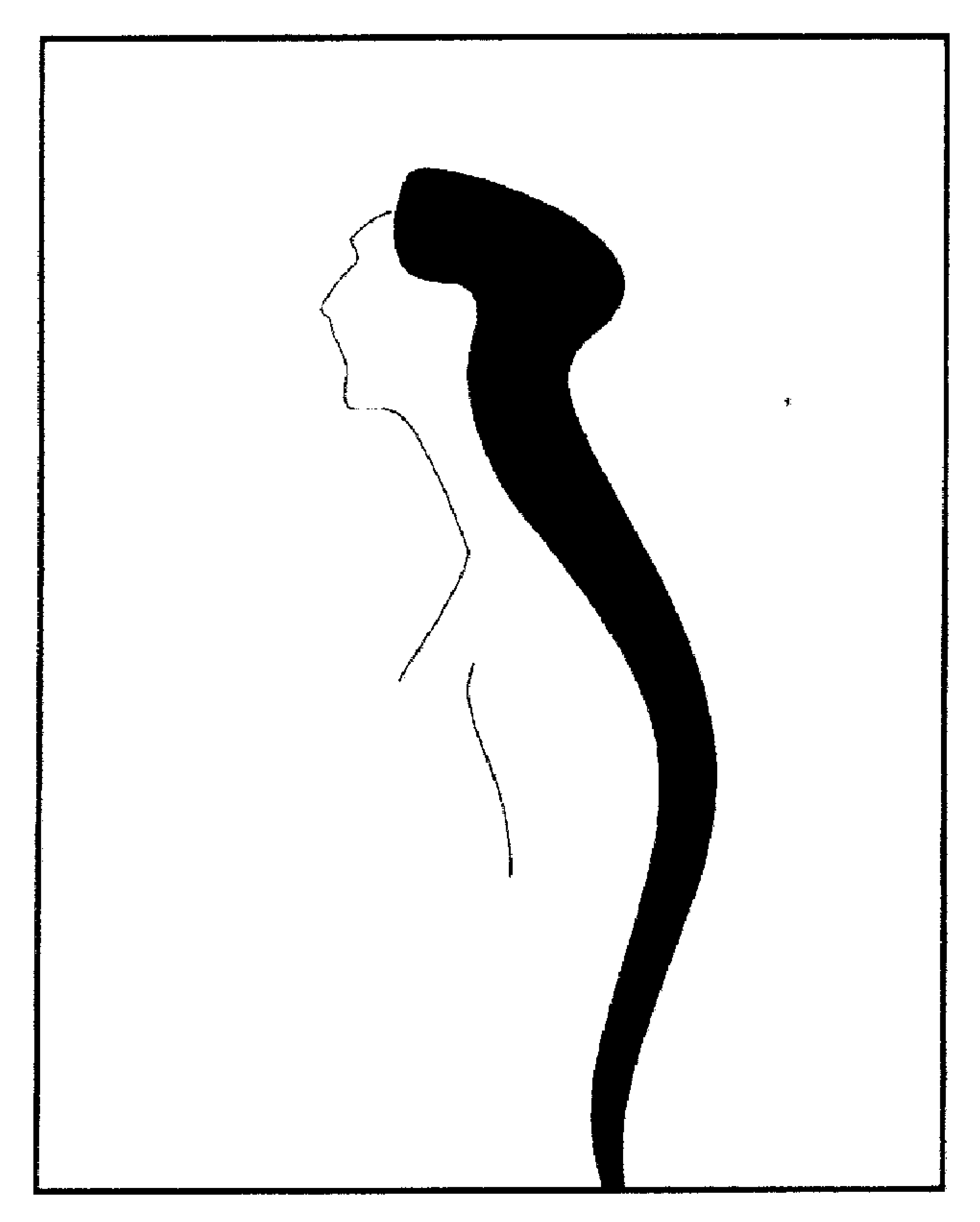
ابن من؟!

كانت السرية مطلوبة! وكان اختراق حياة سناء مطلوب أيضا! وابتلعت سناء الطعم حينما وثقت فى صديقتها القديمة التى تقابلت معها بصدفة مرتبة.. لم تكن الصديقة متلهفة على تكرار المقابلة.. لكنها جعلت سناء تطلبها بنفسها مرة ومرتين وعشر مرات.. كان الحذر طابع الصديقة أكثر مما كان طابعا لسناء التى كانت فى لهفة إلى صديقة تطمئن إليها وتثق فيها وترتاح للحديث معها!

نجحت مهمة الصديقة.. ظلت صابرة حتى روت لها سناء قصة طفلها الرضيع الذى تذهب لرؤيته فى احدى دور الحضانة الداخلية كل خمسة عشر يوما.. وعن الطبيبة التى قامت بتوليدها فى احد المستشفيات الخاصة.. وكيف كتبت طفلها فى الدفاتر باسم الرجل الذى تعيش معه فى شقة واحدة! الخطر الوحيد من الصديقة والذى لم يتوقعه احد كان حينما بدأت تتعاطف مع سناء التى تفكر جديا فى العودة إلى زوجها معتمدة

على تسامحه وحسن نواياه.. خاصة بعد أن ذاقت الذل على يد عشيقها الذى يعاملها كمحترفات الرذيلة.. كانت الصديقة قد تأثرت بدموع سناء وهى تعترف بخطيئتها الكبرى حينما حملت من هذا الرجل وفشلت كل محاولات الاجهاض.. أنها لا تفكر إلا فى الخلاص من الطفل بإيداعه أحد الملاجىء بحيلة قانونية.. ثم الخلاص من هذا العشيق والعودة إلى بيت الزوجية! ثار حسين.. وتوقف دور الصديقة بعد أن عرفنا منها كل المعلومات المطلوبة وفى الاستئناف توالت المفاجآت.. شهدت طبيبة الولادة أن سناء حضرت إليهما حاملا.. وقيدت طفلها بعد الولادة باسم رجل يدعى أشرف.. وضبطت المباحث طفل الخطيئة ذات ليلة شتوية عاصفة فى احدى دور الرعاية.. بل وشهدت مديرة الدار بأن سناء قد سلمتها هذا الطفل باعتباره ابنها.. بينما تيقنت المحكمة من أن سناء لاتزال فى عصمة زوجها حسين.. وعندما ضاق الخناق على المتهمة توالت اعترافاتها بعد أن انهارت وفاضت دموعها! وصدر الحكم بسجن سناء وعشيقها.. وعاد حسين منتصرا إلى بيته وطفليه.. لكن حجم الهزيمة فى قلبه بلغ ذروته..

كبرياء الأنثى!



يا حضرات القضاة.. أنا حريصة على بيتى أكثر من القضاء ومن حكماء العالم جميعا.. اعترف بأنى أحبه.. لكن الزواج لا يعيش بالحب وحده..

هذه السيدة شدت انتباه وأنظار كل الموجودين بقاعة المحكمة.. فهى أول من حضرت إلى القاعة وآخر من غادرتها ومعها طفلها الصغير.. ولولا هذا الطفل لم يكن ممكنا أن يصدق أحد أنها زوجة وأم تخطت الثلاثين بثلاث أو أربع سنوات فالقوام لايزال ممشوقا كعرائس الأساطير.. والملامح طفولية كأن صاحبتها عذراء تقترب من سن المراهقة.. الأهم من هذا وذلك كان حديث السيدة التى فكت كل القيود وتحررت من كل المحاذير ووصلت فى اعترافاتها إلى نهاية الشوط.. لم تتحرج وهى تتحدث عن ماضيها.. لم تخجل وهى تكشف أدق أسرار مشاعرها وعواطفها.. لم تتردد وهى تتكلم عن ثلاثة رجال..! عيناها صافيتان لكن نظراتها حادة.. رقيقة المظهر لكنها سليطة اللسان.. أما الأكثر إثارة انها لا تكره زوجها.. وإنما تحبه.. لكنها قررت أن تنفصل عنه.. وأعلنت أنها لم تعد تطيق الحياة معه.. أو النظر إليه.. أو سماع صوته.. أو الوجود معه فى مكان واحد حتى لو كان هذا المكان هو قاعة المحكمة التى لجأت إليها بنفسها!

عندما حضرت لى فى مكتبى أحسست لأول وهلة أن مدام هيام ليست امرأة ككل النساء.. ولا حكايتها حكاية مثل حكايات باقى النساء.. لا البداية ولا النهاية..!

ما هى قصة هيام؟!

وما هى قصة اعترافها المثير؟!

ما رأيكم لو سمعنا منها نفسها تفاصيل المأساة كما يحلو لها أن تطلق عليها.. نسمع اعترافها وكأننا نجلس فى قاعة المحكمة ذاتها التى شهدت نظر القضية.

حضرات القضاة.. إذا كان زوجى قد سارع بإنذارى الدخول فى طاعته. وقضت له المحكمة بما شاء لأننى لم أكن حاضرة لجلسات الدعوى.. فإننى أمامكم الآن أطلب الطلاق.. رافضة الدخول فى طاعته.. واسمعوا حكايتى ثم افصلوا فيها..

يا حضرات القضاة..

منذ عشر سنوات أو يزيد رافضة كنت طالبة فى كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية.. وكان زملاء الجامعة قد قسموا أنفسهم إلى مجموعات.. كل مجموعة تضم عددا من الفتيات والفتيان.. إلا مجموعتى التى كانت اغرب المجموعات.. فلم نكن سوى أربعة.. ثلاثة شبان وفتاة.. هى أنا! محمد ومحمود وأحمد وهيام.. لا نعرف لماذا تكونت مجموعتنا بهذا الشكل.. ولم نشغل انفسنا بالبحث عن هذا السبب.. بل حينما حاول أن ينضم إلينا بعض الطلاب أو الطالبات رفضناهم نحن الأربعة فى وقت واحد.. وأصبحت مجموعتنا معروفة بأنها لا تقبل جديدا ولا غريبا... وكان تفوقنا نحن الأربعة وساما على صدورنا.. ومبعث فخر اساتذتنا.. فالمراكز الأربعة الأولى فى ترتيب أوائل الكلية كانت محجوزة لنا دائما.. محمود الأول وأحمد الثانى وأنا الثالثة ومحمد الرابع.. كان شعارنا دائما هو إما التفوق أو الموت.. وكانت الصداقة هى دستورنا.. صداقة حميمة ونادرة الوجود فى هذا الوقت.. يخاف كل منا على الآخر كما يخاف على نفسه ويحب للباقين ما يحبه لنفسه.. لكن كان هناك شىء واحد لا يعرفه مخلوق غيرى عن هذه العلاقة..! فالثلاثة احبونى فى وقت واحد.. وبالتحديد فى العام الجامعى قبل الأخير.. كل منهم صارحنى بحبه الجنونى على حده.. كل منهم طلب أن أكون شريكة حياته بعد التخرج.. كل منهم أصبح يغار من الآخر ويرى أننى من حقه وحده.. بل طلب منى كل منهم ألا يعلم الآخرون بعواطفه نحوى.. أو أنه طلب الزواج منى.. أو أنه يغار علىّ منهم!! ووجدت نفسى فى حرج شديد.. أنا نفسى كنت أحب الثلاثة.. وكان الاختيار صعبا.. لكنى عالجت الأمر بمنتهى الحكمة.. فقد منحت نفسى مهلة للتفكير حتى امتحانات التخرج.. كما اقنعت كلا منهم بتأجيل مناقشة هذا الأمر حتى تنتهى امتحانات العام الأخير..

وبدبلوماسية ماهرة نجحت فى اقناع الثلاثة!

ومرت الأيام سريعة.. ربما أسرع مما تصورت!

انتهت امتحانات التخرج.. وجاءنى الثلاثة واحدا تلو الآخر.. كل واحد طالبنى بتحديد موقفى النهائى منه وهو يعتقد أن أحداً غيره لم يفاتحنى فى هذا الموضوع.. والحقيقة أننى فى هذا الوقت كنت قد انتهيت من الاختيار.. وحددت موقفى النهائى الذى صارحت به الثلاثة دون أن يخدش ردى كرامة أحدهم.. ودون أن يتهمنى الاثنان الخاسران بأننى مادية أو سطحية إلى آخر مثل تلك الاتهامات.. والسبب أن قلبى دق لمحمد وحده.. صدفة ساقتها الاقدار نحوى.. لحظة لا تعرف حقيقتها سوى المرأة مثلى.. وكان اختيار محمد يبعدنى عن أية شبهة أمام محمود وأحمد.. والسبب أن محمد كان اقلهم ثراءاً.. وأقلهم وسامة وأناقة.. لم يكن يمتلك سيارة مثل محمود وأحمد.. ولا هو يسكن فى الأحياء الراقية مثلهم.. بل كان من سكان الاحياء الشعبية.. لم يكن محمد يحمل فى جيبه غير جنيهات «فكة» أما محمود وأحمد فكل منهما يحمل الأوراق المالية فئة العشرين والخمسين جنيها.. لكن محمد كان ثريا فى مشاعره.. وغنيا بأحاسيسه ورجولته الفائقة.. اخترته عن حب جرف اعماقى لأول مرة.. خاصة وأنه حينما صارحنى بحبه لم يعد إلى هذا الحديث كما فعل صديقاه اللذان ألحا علىّ بشكل قد يدعو إلى الملل لولا صداقتى العميقة بهما.

زواج.. وطلاق!

تقبل احمد ومحمود خبر اختيارى لمحمد بروح رياضية.. قدما التهانى وملأت باقات الورود التى أرسلاها قاعة حفل الزفاف.. لكنى رأيت من واجبى أن أبلغ محمد بعد أن أصبحت زوجته بالسر الوحيد الذى اخفيته عنه.. وكيف اسعدنى ان احمد ومحمود اقتنعا باختيارى.. وقدما كل ما يثبت انهما سعيدان بزواجنا.. إلا أن محمد طلب منى وبحسم شديد أن نخفف تماما من علاقتنا بهما وألا نتبادل الزيارات وخاصة أنا.. لا أتحدث مع احدهما ولا اتواجد فى مكان يتواجد فيه احدهما.. وعلى الرغم من ثقافتى وافقت زوجى فهو عندى أغلى من كل العالم.. لكن ثورة الشك بدأت تجتاح حياتنا.. المرة

الأولى عندما حضر زوجى فى موعده ككل ليلة إلى عيادتى فوجد محمود يزورنى وينتظره.. ولم يقتنع محمد أن محمود كان ينتظره ليسهر معه.. بل اعتقد أنه جاء لى بصفتى حبيبته القديمة.. واضرمت النار بعدما عدت مع زوجى إلى البيت.. وانتهى الشجار إلى طلاق لم يطل.. جاء محمد لبيت اسرتى وتوسل لى أن احترم مشاعره وأعود إلى عصمته.. ووعدته أن انتحل أى اعذار لعدم مقابلة أى غريب سوى مرضاى عيادتى! كنت صادقة. ونفذت وعدى على الرغم من فضيحتى أمام اصدقاء وزملاء عمرى الذين علموا بطلاقى بسبب شكوك زوجى..!

ولم تدم السعادة.. ولا الثقة.. إذا دق جرس التليفون ولم يرد احد كما يتعرض كل الناس للمعاكسات ظن زوجى أن المتحدث احدهما! وأنه حينما علم بوجوده اغلق الخط!

وإذا عاد زوجى وتأخرت عليه فى فتح الباب سارع بتفتيش الشقة.. تحملت وصبرت وعانيت الكثير.. تعددت زياراته المفاجئة لعيادتى.. ووضع التليفون تحت المراقبة.. ولم ابلغه بأننى تضايقت.. بذلت اقصى جهدى لحماية بيتى وطفلى.. لكن زوجى اعتاد ان تفلت اعصابه ثم يتعذر ويتوسل.. كما حدث فى الواقعة الكبرى حينما طلقنى للمرة الثانية على مرأى ومسمع من الناس.. ليلتها كنا نحتفل بعيد زواجنا.. وفجأة حضر احمد ومحمود ومعهما هدية قيمة وسألهما زوجى فى جفاء عمن دعاهما.. شعر الاثنان بحرج شديد وانصرفا بعد دقائق.. تحولت شقتى بعد انصرافهما إلى ساحة معركة.. اتهمنى زوجى أننى وجهت الدعوة لصديقينا.. اقسمت له فلم يصدقنى.. وحينما انفلتت اعصابى ضربنى وانكسرت اسنانى.. وألقى يمين الطلاق وهو فى قمة غضبه.. ووصل الأمر إلى قسم الشرطة.. لكنه عاد وبكى واستحلفنى بكل الإيمانات ان اغفر له من أجل طفلنا الوحيد.. وغفرت له وانذرته.. فلم يعد أمامنا سوى طلقة واحدة..

ولكن لم يمض غير تسعة شهور على هذه الواقعة حتى كانت المحطة الأخيرة!

كنت اجلس مع طفلى حينما دخل علينا زوجى من باب الشقة ثائرا ومحتداً، سألته عن سبب ثورته فانفجر فى وجهى.. علمت منه انه شاهد احمد يسير إلى جوار عمارتنا.. أين كان؟! وماذا كان يفعل؟! ولماذا ارتبك حينما شاهد زوجى.. وتظاهر أنه لم يره؟!

صرخت فى زوجى: ألم تكن تعلم أن خالة أحمد تسكن فى شارعنا من قبل أن نتزوج؟

ولابد أن ارتباك احمد كان بسبب احراجه له فى حفل عيد الزواج.. لكن زوجى لم يقتنع.. ونام وحده فى حجرة طفلنا.. وتخاصمنا حتى عاد بعد اسبوع لينفجر من جديد.. لقد قابل احمد مصادفة.. ونصحه ألا يدعنى أفلت من يده بالمعاملة السيئة والشكوك التى لا تنتهى! شجار جديد انتهى بتدخل الجيران.. فضيحة جديدة اثارها زوجى حولى فقررت أن احزم حقائبى وأغادر هذا البيت إلى الأبد!

يا حضرات القضاة..

أنا أحرص على بيتى من القضاة ومن حكماء العالم.. أنا لم أكره زوجى وهو لم يكرهنى.. اعرف هذه الحقيقة.. لكن الحب وحده لا يحمى الزواج من الانهيار.. الحياة مع زوجى من جديد معناها الوحيد أن يقتل احدنا الآخر.. اطلقوا سراحى ويكفينى طفلى من عالم الرجال كله.

وبعد أن عادت هيام إلى مقعدها بالقاعة.. قدمت مستندات وشهود الاثبات على استحالة الحياة الزوجية بين هيام ومحمد.. وأن الطلاق فى مثل هذه الحالات يكون رحمة للطرفين.

وقضت المحكمة بالطلاق

خرج الزوج من القاعة.. انصرف القضاة والحاضرون.. وتأخرت هيام حتى كانت اخر من يغادرالقاعة.. ملامحها ارتسم فوقها كبرياء الأنثى.. بينما كانت ملامح زوجها تحمل هزيمة الرجل.. لكن الشخص الوحيد الذى كان يبكى بحرقة ويهز بكاؤه القلوب هو أيمن.. هذا الطفل الصغير الذى ادرك بعواطفه أن الدنيا لم تعد تتسع لوالديه معاً.. فى مكان واحد.. يكون هو فيه ثالثهما.

هذه واحدة من القضايا التى لاتمحى من ذاكرة المحاكم ابداً.. مهما مضى عليها من سنوات أو طال بها الزمن!

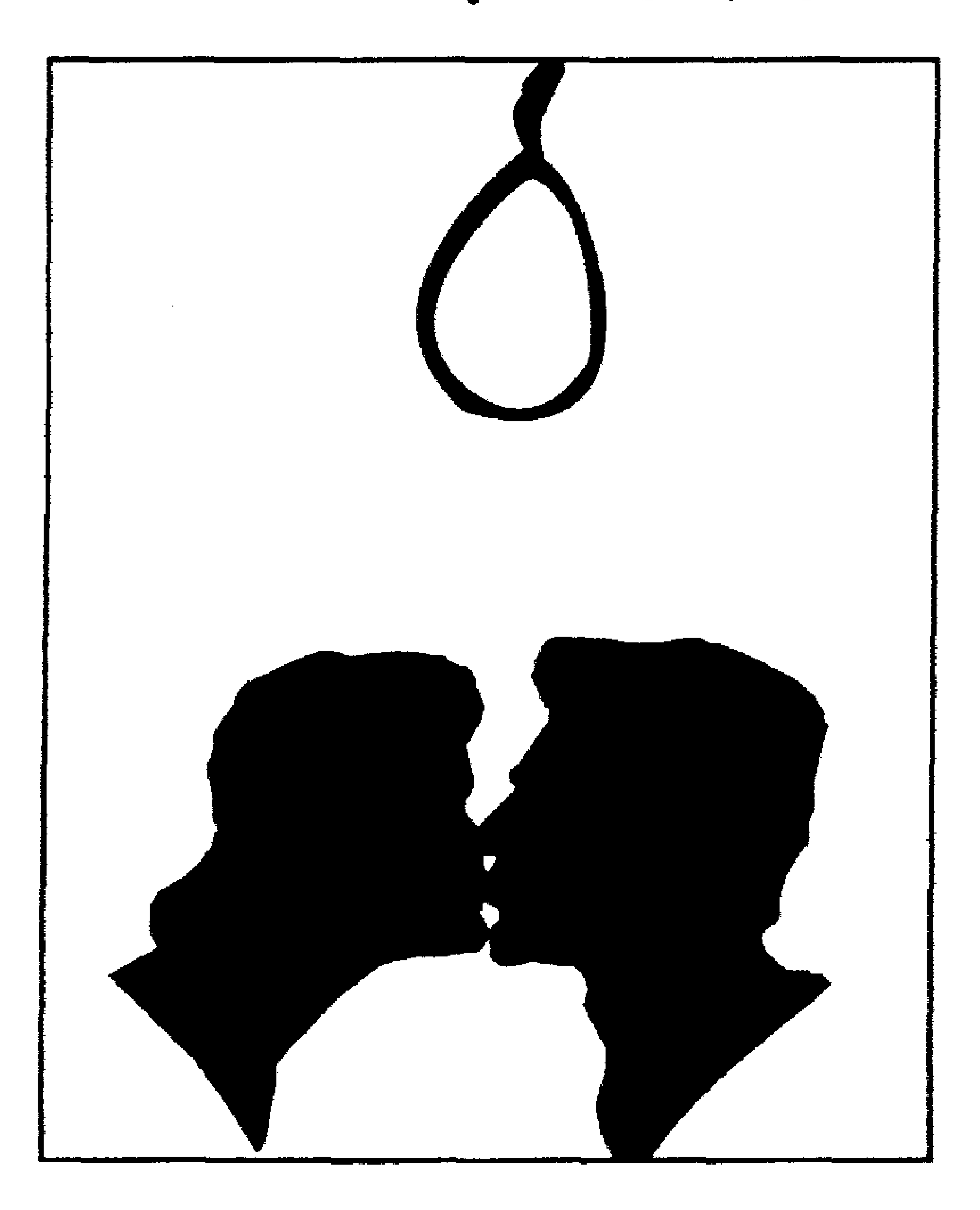
قضية لاتتكرر إلا نادرا.. ربما مرة كل مائة عام أو مرتين على أكثر تقدير.. وربما يمر قرن كامل من الزمان دون أن يشهد أحداثا مثلما شهد ملف قضية الدكتورة أمل.. إنها امرأة فى نظرالقانون متهمه.. جانيه.. تستحق أقصى العقاب.. لكنها قد تكون فى نظر

المجتمع مجنيا عليها.. بريئة.. لا تستحق غير الشفقة والعطف والاحترام!

وقبل أن نسمع أمل.. أو نسمع عنها.. تعالوا نقلب فى أوراق قضيتها.. ونفتش عن أدق اسرارها.. ونتعرف منذ البداية إلى الحقائق المذهلة التى لم تعلم عنها أمل شيئا إلا بعد ثلاثة وعشرين عاما كاملة.. عندما وجدت نفسها فى مهب الريح.. واكتشفت أن حياتها كلها كانت مزيفة!.. وأن كل الحقائق الثابتة فى تلك الحياة التى عاشتها قد انهارت فجأة.. وأن الصرح الهائل الذى كانت تحتمى فيه لم يعد سوى سراب مهمل!

وشتان الفارق بين البداية.. والنهاية!

غرام فوق حبل المشنقة!



« .. وبعد جلسة الحكم اتجهت الدكتورة أمل إلى قبر فريال لتشكو إليها ظلم هذا الرجل!».

البداية التى شهدها فى النصف الثانى من السبعينيات حى حدائق القبة.. وبالتحديد أمام أحد المساجد فى الشارع الجانبى المؤدى إلى الميدان مباشرة.. هناك كان الأستاذ حسن عائدا من عملة وقت الفجر.. لم يكن معتاد التأخير إلى هذا الوقت.. لكنه كان عملا مفاجئا طال حتى الساعات الأولى من الصباح.. وربما كانت الصدفة القدرية وحدها وراء التأخير إلى هذا الموعد.. أوقف حسن سيارته إلى جوار المسجد الملاصق لبيته كما اعتاد كل ليلة.. أغلق باب السيارة بعد أن نزل منها متعبا، مرهقا، لكن صوت بكاء طفل صغير كان يشق سكون الليل ويصر على الاحتجاج!.. أتجه حسن نحو مصدر الصوت.. فوجىء برضيع صغير داخل بعض «الكوافيل».. تردد لحظة.. ثم سارع يحمل الرضيع بينما كان جسده كله يرتجف.. تلفت حوله فى كل الاتجاهات بحثا عن شخص ما قد يكون صاحب هذا الطفل.. لكن الشارع والبرد وظلمة الليل جعلت المكان خاليا من المارة.. وبعض الناس داخل المسجد يؤدون صلاة الفجر.. اعتقد حسن للوهلة الأولى أن شخصا قد ترك الطفل على باب المسجد ودخل لتأدية الصلاة.. انتظر حتى فرغ المصلون من صلاتهم ووقف على باب المسجد يسأل عن والد هذا الطفل أو والدته..لكن لا أحد يرد.. ولا أحد يهتم.. ولا أحد يعرض تسلم هذا الرضيع.. الجميع يسرعون الخطى عائدين إلى بيوتهم.. شعر حسن بالدهشة ثم وجد نفسه مدفوعا إلى طبع قبله على جبين الرضيع الذى توقف فجأة عن البكاء؟

صعد حسن إلى شقته.. حكى لزوجته فريال عن الواقعة.. أخذت الرضيع واحتضنته وهى تبكى بلا مقدمات.. لعنت أمه التى القت به فى الشارع بينما هى منذ تزوجت حسن لم تكن تتمنى فى حياتها أكثر من طفل يملأ عليهما حياتهما.. لكن الأطباء الذين أكدوا

لهما العقم، نصحوهما بأن يستمتعا بالحياة دون أن تفسد عليهما صدمه العقم سعادتهما.. وبالفعل مضت خمس سنوات كاملة نسيا خلالها هذه الفكرة.. والليلة تجددت الجراح.. ووجدا بين ايديهما طفلا!

حملت فريال الرضيع واسرعت به إلى سريرها.. قررت أن تغير ملابسه وتدفئة فى هذه الليلة الباردة.. وفجأة صاحت وهى تتجه نحو حسن:

الحق ياحسن.. دى بنت.. ياما انت كريم يارب!

خلع حسن ملابسة بسرعة ثم ارتدى بيجامته وقفز إلى جوار زوجته على سريرها.. راح يمعن النظر فى الطفلة الرضيعة بينما فريال تمطرها بسيل من القبلات.. كانت الطفلة جميلة.. تبدو فى الشهر الرابع من عمرها.. وكان حسن يرتجف وهو يدعو الله أن تكون الطفلة من نصيبه هو وزوجته!

فى الصباح اتفقا على اتخاذ الاجراءات التى تضمن أن تظل الصغيرة معهما إلى الأبد.. ذهبا إلى محاميهما.. ونفذا الخطة المحكمة.. ذهبت فريال لتقيد الطفلة باسمها هى وزوجها.. قدمت ما يثبت مرضها لتبرر تاخرها فى استخراج شهادة الميلاد.. وخلال أيام قليلة كانت الطفلة التى اسموها «أمل» قد أصبحت ابنتهما فى الأوراق الرسمية!

مدللة ومتفوقة!

تعاطف الجيران مع الطفلة.. والأبوين!

شعر الجميع بأن وجود هذه الرضيعة وسط اسرة محرومة من الأطفال خير ضمان لمستقبلها بعد أن القت بها أمها فى عرض الطريق.. وأن الصدفة التى أهدت الطفلة إلى فريال وحسن هى أجمل هدية عطفت بها السماء على هذين الزوجين اللذين اضناهما طول الانتظار واليأس من عدم الإنجاب.. ورغم هذا كله بحث حسن عن شقة أخرى فى مكان لايعرفه فيه أحد.. وانتقل مع زوجته وأمل للحياة فى هذا المجتمع الجديد باعتبار أن الجميع فيه على يقين من أن أمل هى أبنتهما دون أن يتطرق الشك إلى مخلوق أو تظهر مفاجأت قد تعكر عليهما حياتهما أو تسرق منهما حلمهما الجميل أو تنتزع الصغيرة من بين احضانهما!

وبدأت أمل تكبر وسط رعاية ربما لم تكن تحظى بنصفها أو حتى بجزء ضئيل منها لو إنها عاشت وسط أبويها.. كل طلباتها مجابه قبل أن تنطق.. لها حجرة مستقلة.. يحيط بها المدرسون الخصوصيون.. وتمتلىء حجرتها باللعب والدمى كل مايسعد الأطفال ويرغرغ بخيالهم.. لم يترك حسن وفريال دارا واحدا للملاهى إلا واصطحبوا أمل اليها.. كل الحدائق العامة.. وحدائق الحيوان.. والسيرك.. ودور السينما والشواطىء والأماكن المفتوحة.. لم يكن عندهما ما يشغلهما غير أمل وسعادتها وارتبطت الصغيرة بأبويها ارتباطا وثيقا.. لم تكن تطيق الابتعاد عنهما لحظة واحدة.. وكلما صاحت أمل بابا أو ماما هرول اليها الأبوان فى لهفة وحب ودمعت عيناهما مع وقع اللحن الرائع الذى كانت تعزفه كلمة بابا أو ماما فى اذنيهما!

ودارت الأيام

كبرت أمل وتفوقت فى دراستها، بدأت تستوعب الدنيا حولها.. تتمنى أن تلتحق بكلية الطب وتتخرج طبيبه.. الأبوان فرحا بأمنية الأبنة التى أصبحت جزءا لايتجزأ منهما واصبحا جزءا لايتجزأ منها .. وفرا لها كل مقومات الحياة.. اغدقا عليها بالمال والهدايا.. اشتريا لها أجمل الفساتين من ارقى دور الأزياء اهدوها سيارة تتغير مع كل عام بموديل جديد.. وصارت أمل هدفاً للحسد من كل بنات المنطقة التى تسكنها وهدفا للزواج من كل الشباب المثقفين الذين يتابعونها ويبهرهم جمال اخلاقها قبل فتنة انوثتها.. لكن أمل كانت تحب ابويها بجنون.. وترفض الزواج قبل أن يتحقق حلمها فى أن تصبح طبيبة وتدخل الفرحة إلى قلب أمها فريال وابيها حسن.. اجتهدت ليل نهار حتى نالت الشهادة الثانوية وفى كلية الطب حققت نبوغا مبكرا فى الأعوام الثلاثة الأولى نالت معه مكافأة التفوق.. وراح عرسان جدد يطرقون باب حسن لطلب يد أمل.. كانت الأم تفرح بكل عريس جديد وتهمس لزوجها بإنها عاشت عمرها كله تحلم بيوم زفاف أمل وهى ترتدى طرحتها البيضاء.. إلا أن حسن كان يرفض بإصرار.. ويقسم بأن أمل لن تتزوج إلا بعد أن تتخرج.. لم تكن أمل تتضايق من هذا الإصرار.. لكنها مرة واحدة تمنت أن يوافق ابوها على زميلها الشاب المتفوق الذى كان يسبقها بثلاثة أعوام وينوى الهجرة مع أمل إلى الخارج بعد أن تحصل هى الأخرى على بكالوريوس الطب.. لكن أمل سرعان ما اذعنت

لابيها وأغلقت ملف حبها وأعلنت طاعتها العمياء لقسم والدها!

فجأة.. ماتت السيدة فريال!

كانت أمل فى العام الدراسى الأخير قبل عام التخرج.. اصابها حزن عارم.. واجتاحتها الأم نفسية لم تتصور معها أن تظل على قيد الحياة بعيدة عن أمها.. تشبثت بالجثمان وهو يغادر البيت لآخر مرة.. هزت كل القلوب وهى تتوسل إلى جثمان أمها وتصرخ: لاتتركينى يا أمى!

لكن الأيام من وظائفها أن تداوى الجراح.. وتبتلع الأحزان.. وتجفف الدموع.. وتلهى القلوب.. قررت أمل أن تبذل كل جهدها حتى تحقق أمنية أمها فى أن تصبح طبيبة.. كتمت أحزانها عن ابيها وراحت تحاصره فى كل لحظة حتى لايشعر بفراق أمها.. تحرص على أن تعد له الطعام بيدها.. وتسرى عنه.. وتسلى وحدته وتبعد عن الاحاديث فى سيرة المرحومة التى كان حسن يهتز كلما تذكر اسمها أو شاهد صورتها.. ويبدو أن أمل قد نجحت بمهارة فى مهمتها.. تنافس معها أبوها على تبادل الرعاية.. يسهر الليل يعد لها الشاى.. يسرع إلى حجرتها مع أشراقة الفجر ليوقظها لتذهب إلى كليتها!

حب رائع بين أب وابنته.. تباهت به أمل أمام كل اصدقائها طوال العامين اللذين مرا منذ وفاة أمها.. كانت تفخر أن والدها يعاملها كصديقة أو حبيبة حتى يكاد يغنيها عن أية علاقة حب.. تحكى باعتزاز عن أغلى الفساتين التى يشتريها لها ويصر على أن تلبسها أمامه!

وما كادت أمل تتخرج.. حتى دعاها أبوها إلى جلسة طارئة لمناقشة أمر مهم!

جلست أمل تضرب اخماسا فى اسداس.. لكن حسن بعد لحظات ارتباك بدأ يتكلم وهو شديد التماسك.. حكى لأمل قصتها كاملة!

قدم لها الشهادات الطبية التى تثبت عجزه عن الانجاب وعجز زوجته أيضا فى صدفة نادرة الحدوث.. صرخت الدكتورة أمل ترفض الحقيقة المرة.. دوى صراخها فى أرجاء المكان يمزق صمت الليل.. صاحت فى حسن تتهمه بأنه قتلها فى وقت كان يمكن له فيه ألا يصدمها بتلك الحقيقة ابدا.. لعنت اللحظة التى اتخذ فيها قراره باعدامها

دون حاجة ضرورية إلى هذه المصارحة.. لكن حسن قاطعها من جديد وبغاية الجرأة:

اسمعى يا أمل.. هناك ضرورة لا غنى عنها من هذه المصارحة.. لقد انفقت عمرى عليك.. وجاء الوقت لتردى إلى الجميل.. أنا أطلب منك يدك!.. لقد ماتت السيدة التى ملأت على حياتى.. لم يبق لى سواكى.. لو تزوجتى رجلا أخر فمعنى هذا أن يكون حكمك بالإعدام قد نفذ فى هذا القلب الذى أحبك ٢٣ عاما.. يا أمل لقد صارحت الحاج شوقى جارنا العجوز بكل الحقيقة فلم يعترض على زواجى منكى أبدا.. وهو رجل صالح تحترمينه أنت وتؤمنين بتقواه وورعه.. ردى لى الجميل فأنا بحاجة إلى امرأة مثلك.. زوجة وابنه وكل الدنيا تتمثل فيها أمام عينى!

دماء وهستيريا!

لم تصدق أمل ما سمعت.. حملت الشهادات الطبية واسرعت إلى حجرتها غاضبة.. سمعها حسن تبكى بشدة.. حاول أن يقتحم الحجرة ورفضت أمل.. انهمرت دموعها كالسيل واحتبس صوتها وأمسكت بصورة السيدة فريال تغمغم بكلمات حزينة تتساقط مع دموعها داخل برواز الصورة وتقفز فوق زجاجه!

وفى الصباح خرجت أمل باشيائها.. تركت البيت غير آسفة.. إلا أن حسن استغل كل موهبته فى البحث عن مكان أمل حتى وصل اليه.. علم أنها تقيم فى أحد الفنادق.. تسلل اليها.. فوجئت به فى حجرتها.. كانت فى سريرها حرصت على أن تلتقط الغطاء لتستر به جسدها اقترب منها حسن.. جلس على حافة السرير زائغ العينين.. كتم انفعالاته.. وراح يحاول إقناع أمل من جديد..

لماذا ترفضينى.. أننى لا أزال فى أول الخمسينيات من عمرى.. ويمكننى أن اتزوج من أية فتاة فى سنك.. لماذا تهربى منى وأنا الوحيد الذى يصلح زوجا لك.

قاطعته أمل فى جفاء.. طلبت منه أن يغادر حجرتها ولايعيد قتلها من جديد.. انفعل حسن.. علا صوته.. جذبها من يدها.. وارتعدت الدكتورة.. فكرت فى الصراخ.. لكن ماذا يقول موظفو الفندق.. إنهم يعلمون منها أن زائرها هو ابوها.. توسلت اليه أن يتركها لشأنها.. لكنه لم يستمع اليها.. كاد قلب أمل أن يتوقف.. احتارت فى مقاومة الرجل

الذى عاشت عمرها تعامله كأب حنون.. استجمعت كل قوتها ودفعته إلى الأمام.. لكنه عاد مسرعا وأمسك بها من جديد.. ومرة أخرى تستجمع قواها وتحاول دفعه بكل قوة.. لكن حسن قاوم بشراسة.. نظرت أمل حولها فالتقطت عيناها سكينا على مائدة الطعام التى كانت تتناوله منذ لحظات.. تظاهرت بالتجاوب.. مدت يدها فى خبث وإصرار حتى أمسكت اصابعها بالسكين.. ولم تشعر بنفسها بعد ذلك إلا والسكين قد اختفى نصله فى صدر حسن !! دماء يغرق فيها السرير وهيستريا يدوى صداها من داخل الحجرة.. يهرول الناس وموظف الأمن وتحضر الشرطة وتظل الجريمة غامضة شهرا كاملا حتى افاقت أمل من غيبوبتها! وأمام محكمة الجنايات حكت أمل القصة كاملة وقدمنا نحن كمحامين عنها الشهادات الطبية التى تثبت إنها لم تكن يوما ابنة لهذا الرجل.. واتينا بالحاج شوقى ليشهد بما سمعه من حسن من مصارحة ورغبة فى الزواج من أمل.. وهل هذا جائز شرعا أم لا.. بل اثبتنا بكل الأدلة أن أمل كانت فى حالة دفاع شرعى عن شرفها.. ولا يقدح فى ذلك إنها تسببت فى قتل المجنى عليه.. الذى قتلها من قبل حينما باح لها بالسر الذى يدمر حياة أى إنسان مهما كانت قوته.. وحينما حاول اغتصابها والنيل من شرفها فراحت تقاومة بشراسة دون جدوى.. وقدمنا الاصابات التى اثبتها الطب الشرعى فى جثة القتيل وانتهى تحليلها إلى أنها كانت أثار مقاومة عنيفة من المتهمة التى كانت مصابة هى الأخرى.

وجاء الحكم ببراءة الدكتورة أمل لينقذها من حالة الدمار الساحق الذى اجتاح اعماقها.. وكان من أغرب ما عشته هو تلك اللحظة التى اتجهت فيها أمل من المحكمة مباشرة إلى قبر السيدة فريال.. كانت أمل تبكى وهى تردد أن فريال لاتزال أمها.وإنها ذاهبة إلى قبرها لتشكو إليها جريمة هذا الرجل!.

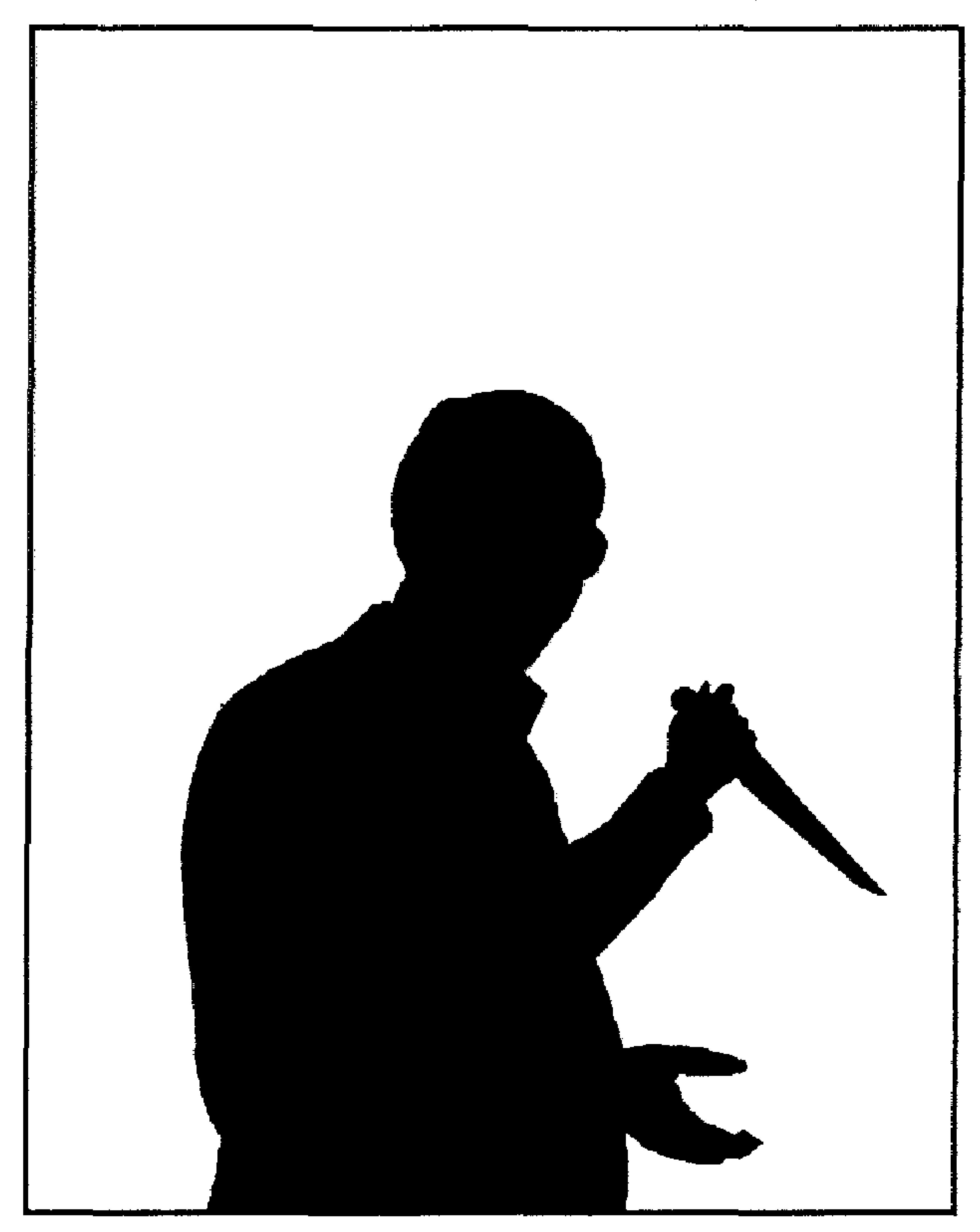
فى بلاد الغربة تحدث أشياء.. وأشياء!

أبناء الوطن الواحد يختبرون بعضهم بعضا.. معادن الناس تظهر على حقيقتها.. والمشاعر أيضا!.. لكن أكثر المغتربين هما وتعبا ونكدا هو هذا الإنسان الرومانسى الذى يعيش على احاسيسه.. وينكسر على صخرة الغدر والخيانة.. وعلى الرغم من أن هذا كله قد يصبح يوما ما وحشا مفترسا.. يدوس مشاعر الآخرين دون أن يشعر بما يصيبهم من

تمزق!.. الغربة إذن إمتحان عسير.. وابتلاء خطير.. وينبوع متدفق للذكريات.. حلوها ومرها!.. تماما كما حدث لمدام نبيلة المليونيره الأرمل.. وعلاء المحاسب الشاب كلاهما لم يكن يعرف الآخر.. كلاهما من مصر.. وكلاهما صار يعيش فى بلاد الورد الأحمر.. فى قلب العاصمة اليونانية أثينا حيث سافرت اليها نبيلة تحلم برحلة حب خاطفة مع زوجها الذى كان حبه يسرى فى عروقها مجرى الدم.. لكنها لم تعد من هناك.. ولم يعد معها زوجها يشاركها حياتها مثلما حدث فى السنوات القليلة التى سبقت وصولها إلى اثينا.. وهناك أيضا كان علاء الذى سافر من مصر وهو يحلم بالمال والثروة التى كان يسمع أن اصدقاءه حققوها من البلاد التى هاجروا اليها.. أو اغتربوا فيها.. هناك فى اثينا لم تكن هناك أية شواهد على أن نبيلة يمكن أن تلتقى بعلاء.. أو تجمع بينهما حتى الصدفة.. لكن كلاهما التقى بالآخر وهو يظن أن اللقاء الأول والأخير.. فلا يمكن أن ترتب الأيام بينهما مثل هذا اللقاء.. إلا أن الزمن كان له رأى أخر!

تغيرت حياة نبيلة مئة وثمانين درجة.. وانقلبت حياة علاء رأسا على عقب! وتبادلا المواقع بين القمة والسفح حتى حسم الزمن حكايتهما.. لكن كانت النهاية هذه المرة فى القاهرة.. والتحديد فى حى شبرا!

إغتيال زوجة



« دخلت نبيلة المحكمة فوق كرسى متحرك.. أصرت على البوح بمآساتها أمام القضاة.. وقالت إنها مستعدة للحياة فوق الرصيف أو على سطوح أى منزل.. لكنها ترفض الحياة مع هذا الرجل الوغد ! »

ما هى قصة نبيلة وعلاء التى انتزعت دموع الناس فى اثينا والقاهرة؟!

كيف التقيا.. وماذا حدث فى فصل النهاية المثير؟!

السماء والأرض!

كان علاء قد وصل إلى اثينا مع أحد اصدقائه وفى يد كل منهما عقد عمل.. الأحلام كانت تراودهما ليل نهار.. علاء يتمنى العودة بعد سنوات إلى مصر وفى يده نفقات الزواج من حبيبته لبنى.. وصديقه اشرف لايتمنى سوى العودة ومعه ثمن سيارة!

منذ اليوم الأول لوصولهما اثينا أكتشفا إنهما وقعا فى فخ نصاب.. وأن العقدين اللذين فى ايديهما من مجموعة عقود مزورة اكتشفتها السلطات اليونانية واعادت اصحابها فورا إلى بلادهم..

لكن علاء واشرف تمكنا من تجنب رجال البوليس.. قررا ألا يعودا إلى القاهرة وليس مع كل منهما فى حقيبته سوى الفشل والأحلام الضائعة!.. أصرا على البقاء مهما كان الثمن.. ارتضيا العمل فى أية مهنة مهما كانت وضيعة.. أشرف وجد عملا فى إحدى محطات البنزين.. وعلاء عثر على فرصة عمل فى غسل الصحون بأحد المطاعم.. مع الوقت تعرف على باقى المصريين فى اثينا.. ونجح أشرف فى اقتناص فرصة عمل مغرية دون أن يعلم علاء.. وقع عقدا ومنحته جهة العمل شقة صغيرة وأصبح وجوده شرعيا.. بينما فشل علاء فى العثور على مثل هذه الفرصة التى اخفاها عنه أشرف.

لقد اختفى أشرف اياما ثم عاد يتفاخر بضربة الحظ التى هبطت عليه من السماء.. بل وبدأ يتعالى على صديقه علاء وينصحه بالعودة إلى القاهرة!.. أيام وقطع علاء علاقته بأشرف وتعاطف معه المصريون هناك خاصة بعد أن هاجمته أزمة قلبية حادة ظل شهرا أو شهرين يعانى منها.. انقطع عن عمله.. لكن اصدقاءه هناك لم يتركوه وحده.. كانوا يجمعون له نفقات المعيشة وثمن الدواء من دخلهم الخاص.. أحبوا فيه اخلاقه وصدقه ونبل مشاعره ورقة احاسيسه.. جن جنونهم حينما عرفت الشرطة طريق علاء.. وأصرت على ترحيلة على الرغم من آلام المرض التى يعانيها.. واحلامه الوردية التى تكسرت على أرض اليونان، جلس أصدقاء علاء فى المقهى الذى اعتادوا اللقاء فيه..

فكروا طويلا فى حالة صديقهم سيىء الحظ.. لقد تعودوا عليه.. وأصبحوا لايستطيعون الاستغناء عن نصائحه الصادقة وحبه المجرد.. لكن ظروفهم صعبة.. إنهم يكسبون قوت يومهم بالكاد.. والمبلغ الذى جمعوه لن يحقق شيئا مما يحفظ ماء وجه علاء.. أو حتى يشترى له تذاكر الطائرة.. فجأة.. صاح أحدهم:

ـ مفيش غيرها.. مدام نبيلة!

وقال آخر:

ـ عمرنا ما طلبنا منها حاجة.. وقد جاء الوقت المناسب لتخدم ابن بلدها.. وبعدين دى مليونيره ومعاها!

تشجع الأصدقاء وذهبوا اليها.. حكوا لها قصة علاء واوصافه.. وظلت شاردة.. كل صفة يرويها الأصدقاء عن علاء كانت تجعل نبيلة تشرد أكثر.. وتسرح عيناها نحو الأفق البعيد.. وفى النهاية.. سألوها أن كانت تستطيع تقديم مساعدة لعلاء تنقذه على الأقل من محنة المرض وتشفى قلبه العليل.. وبدلا من أن تفتح حقيبتها لتخرج مالا.. طلبت من الأصدقاء أن يصطحبوها معهم إلى حيث يقيم علاء!.. وهناك وقعت عيناها فى عين علاء فاهتز جسدها بعنف.. صمتت لحظة ثم قالت للأصدقاء:

«.. لاتقلقوا على علاء!»

كانت أحلى كلمة سمعها علاء فى اليونان.. أول مرة يسمع فيها أسمه فيعتز به!.. إنها المسافة ذاتها بين علاء ونبيلة.. السماء والأرض!

تركت نبيلة عنوانها لعلاء بعد أن اصطحبته إلى أكبر أساتذة القلب اشترت له الدواء.. ثم حجزت له بإحدى المستشفيات حتى تأكد شفاؤه تماما.. أسبوع كامل كانت تلازمه فى كل مكان.. أنهت له بعلاقاتها مشكلة الإقامة.. ولم تعد هناك فرصة عمل ينتظرها.. فقد الحقته بالعمل فى متجر إحدى السيدات اليونانيات من صديقاتها هناك.. لم يعد أيضا هناك مبرر لترافقه نبيلة حيثما ذهب.. لكنها منحته عنوانها وهمست له بإنها تتمنى رؤيته فى اليوم التالى.. زارها.. جلسا معا وطال اللقاء.. وتكرر اللقاء.. وأصبح كلاهما معلقا بالآخر!..

حكت له نبيلة قصتها.. تزوجت من ثرى عربى.. بعد سنوات قليلة رحل عن الدنيا بعد قصة حب كانت حديث كل معارفهما.. ورثت ملايين الجنيهات.. لكنها خسرت قلبا حنونا ظنت إنها لن تعوضه ابدأ.. حتى كان لقاؤها مع علاء الذى أثار عاصفة من دقات الهوى بين ضلوعها.. احبته بجنون.. صارحته إنه العوض الوحيد لها عن زوجها الراحل.. والرجل الوحيد الذى لم تشعر لديه طمعا فى ثروتها.. قال لها «أنا فين وإنت فين؟!» وردت عليه: «أنا فى قلبك وأنت فى قلبى!».. سألها لماذا تعيشين فى اليونان.. قالت له أنا أهرب من كل مكان زرته مع زوجى.. والقاهرة لم يعد لى فيها أهل أو أقارب.. أنا انتقل بين اثينا ولندن حيث توجد بعض الصديقات.. ومن اليوم ساكون حيث تريد!.. سألها : «تتجوزينى ياهانم».. ردت عليه: «بشرط واحد.. تنسى حكاية الهانم دى:» .. همس لها «نبيلة أنا بحبك وعاوز اتجوزك!».. طارت من الفرحة وطارت بعلاء حيث تمت مراسم الزواج وسط دهشة كل المغتربين.

غروب وهروب!

عاش الاثنان فى اليونان عامين.. فجأة.. قررت نبيله أن تعود بزوجها إلى القاهرة.. حجزا فى أول طائرة.. وفى العاصمة المصرية سارعت نبيلة بتنفيذ خطتها لتكون مفاجأة لعلاء.. اشترت فيلا باسم علاء.. واشترت مقرا فخما ليكون مقر لشركة المقاولات التى كتبتها هى الأخرى باسم زوجها.. ومن معرض سيارات كبير اشترت له سيارة فارهة.. ثم منحته باقى اموالها لتكون رصيدا لشركته.. كانت قد احبته بجنون.. لم تصدق أنه اعادها إلى الحياة من اكفان الموت.. ضحت بكل مالها لتسعده.. وإذا بعلاء يتحول إلى رجل أعمال شهير خلال سنوات قليلة. حتى كانت الليلة الموعودة التى اكتشفت فيها نبيلة أن علاء ليس لها وحدها !.. صدمتها المفاجأة حينما تأكدت أنه تزوج من حبيبته الأولى بعد عام واحد من وصولهما للقاهرة.. وإنه أنجب منها ولدا وبنتا.. وأوصى لهما بكل ثروته!

كانت الصدمه أعنف حينما أعترف علاء بما حدث فى برود.. قالت له فى هستيرية الجنون: «لقد ضاع مالى كله.. كيف أعيش.. ماذا كسبت ؟؟.. ورد عليها ببرود أكبر: «.. أنت كسبتينى.. كان لازم أعمل كده.. أنت عارفه إنك ما بتخلفيش.. وأنا عاوز أولاد! صرخت «تقوم تعطيهم ثروتى ياندل !».. وضع يده فى وسطه ثم همس لها: «يعنى أنت

تعبتى فى الفلوس دى.. ماهى برضه أنت وارثاها من جوزك»!

سقطت مغشيا عليها.. نقلوها إلى المستشفى.. عالجوها على يد كبار الأساتذه.. لكنها لم تعد قادرة على الحركة.. اصابها شلل نصفى عجز الأطباء عن علاجه.. خرجت من المستشفى على كرسى متحرك!

قررت أن ترفع قضيتها أمام محكمة زنانيرى فى شبرا.. وهناك وبعد أن قدمت كمحامى عنها للمحكمة كل أدلة الغدر والخيانة أصرت نبيلة على أن تقص على المحكمة حكايتها منذ البداية.. تقدمت بكرسيها المتحرك حتى وصلت بالقرب من المنصة.. ثم قالت فى نهاية حديثها.. وبينما كانت دموعها تسابق كلماتها:

«.. وها أنا أعيش حياتى الآن من فوق هذا الكرسى المتحرك.. اغتالنى هذا الرجل.. كان سلاحه الذى قتلنى به هو قلبى.. لا أريد من هذه الدعوى مالا ولا نفقه.. ولا أتمنى سوى الطلاق.. سوف أعيش فوق سطوح أى منزل وحدى.. وبكرامتى.. وسوف تداوى الأيام جروحى.. لكن هذا الرجل لا أطيق رؤيته.. لقد سرقنى وأغتالنى.. ودمى لايزال فى يده!.. وتقضى المحكمة بالطلاق فى جلسة لم يحضرها الزوج.. لكنه كان خارج القاعة.. يجلس فى سيارته مع زوجته الجديدة وأولاده.. وخرجت نبيلة تحرك بيدها مقعدها.. وما أن وقعت عينا علاء عليها حتى أنطلق بسيارته.. المسافه ذاتها التى كانت فى أول لقاء.. السماء والأرض.. لكن نبيلة هذه المرة كانت هى التى سقطت إلى الأرض.. والمؤكد أنها لن تجد من يرفعها إلى أعلى من جديد!...

عملية إجهاض!



« .. أقسم حسن أنه لن يشارك فى عملية الإجهاض.. وتظاهرت نعمة بالموافقة على رأيه.. ونزل الاثنان من الشقة دون أن يعلم أحدهما أنه لقائهما الأخير! »

جمع الحب بين قلبيهما منذ الصغر.. وحينما كبرا ظل كلاهما ينتظر من الآخر مبادرة حب.. ولو من كلمة واحدة.. أو حتى إشارة تطمئن قلب الآخر إلى أن الوقت أصبح مناسبا للإعتراف.. والمصارحة.. وقص شريط الإفتتاح.. كان كل منهما يمثل شخصية فريدة فى المدينة الساحلية التى يعيشان فيها.. هى أجمل بنات المدينة وأكثرهن سحرا وأنوثة.. وهو أقوى شباب المدينة الحائز على أكثر من بطولة رياضية.. كلاهما يعمل فى سلك التدريس أيضا.. لكن حسن كان يكبر نعمة بعامين.. ويعمل فى مدرسة تبعد عن المدرسة التى تعمل فيها نعمة بكيلو متر على الأقل.. غير أن الأيام قربت بينهما أكثر.. والتقيا.. والتهب الحب فى صدريهما.. أصبحا أسطورة مثل قيس وليلى وعنترة وعبلة حكاياتهما على كل لسان.. واخلاصهما لبعضهما البعض مضرب الأمثال بين الناس.. العيون تتابعهما حيثما يتواجدا.. أو التقيا.. تخاصما أو تصالحا.. مشيا على اقدامهما أو ركبا سيارة والد حسن الموظف بالمعاش.. وبعد أن عبرا الحواجز والموانع وجاء اليهما المأذون بالأوراق والدفاتر.. وقعت المفاجأة التى لم يحسب كلاهما لها حسابا.. حسن يريد حبيبته بخلال العادات والتقاليد فى المدينة التى لاتسمح بالخلوة لمجرد الزواج.. هذه المدينة لاتعترف بالزواج الكامل إلا حينما يذهب العريس إلى أسرة العروس حيث يتم زفافها اليه وسط الناس والأهل والجيران! حسن عجز عن الصبر.. ومن هنا كانت البداية إلى قسوة النهاية.. النهاية التى تحولت معها اسطورة الحب إلى حكاية جريمة فى نظر المجتمع.. وقصة حب لم تصل بمحبيها إلى محطة النهاية السعيدة.. وكانت الشخصية الثالثة فى الأسطورة عطيات المرضة المثالية التى كانت هى الأخرى شخصية معروفة وشهيرة بالمدينة الساحلية.. فهى المرضة صاحبة اليد الساحرة التى تحقن

المرضى بمهارة فائقة.. وتغير على الجروح والعمليات كأنها الطبيب الذى نال درجة الأستاذية! ما الذى جمع حسن ونعمة وعطيات فى حكاية واحدة؟!

لماذا تعثرت قصة غرام حسن ونعمة بعد أن تم عقد القران بينهما؟!

وكيف يتحول الحب إلى جريمة.. ونبضات الحب إلى سلوك يعاقب عليه القانون؟!

.. هذا هو ماتشرحه قصة حسن ونعمة التى بكى الناس أمام تفاصيلها المريرة وهى تصل إلى نقطة النهاية الحزينة!

الحب الصامت

كان والد حسن زميلا لوالد نعمة فى إحدى المصالح الحكومية.. وشاءت الظروف أن يصطحب منير ابنه الصغير الى العمل ذات يوم من سنوات طويلة .. كان حسن تلميذا فى الصف الأول الإعدادى .. و فى اليوم نفسه يتصادف أن اصطحب طه هو الآخر ابنته نعمه الى مكتبه الملاصق لمكتب منير .. ضحك الابوان من الصدفة البريئة ..لكن سرعان ما انشغل كلاهما فى الحديث عن اعداد الميزانية الجديدة التى ينكب عليها الموظفون كلهم بينما انشغل الصغيران باللهو معا فى حديقة المصلحة الحكومية!

انتهى يوم العمل.. واصطحب منير ابنه حسن وامسكت نعمة بيد والدها طه وهى تلوح بيدها الأخرى إلى صديقها الصغير حسن.

.. ودارت الأيام!

نشب خلاف حاد طال لسنوات بين الأبوين.. لكن نعمة كانت تحلم بحسن.. وكان حسن يتلصص على اخبارها.. ويتابعها من دون أن تدرى أو تشعر بوجوده عن بعد.. نظرة واحدة كانت تكفيه حتى يضيع النوم من عينية طوال الليل!.. الطفلان يعلمان بحجم الخلاف الكبير بين العائلتين.. خلاف تحول إلى حرب وعداء.. إلا أنه لم يمح اسم حسن من قلب نعمة.. ولم يشطب على اسم نعمة من ذاكرة حسن.. كبر الصغيران مع الأيام وكان الحب الصامت الذى يحتفظ به كل منهما للآخر دافعا على التفوق الدراسى الذى تفوق فيه حسن جنبا إلى جنب التفوق الرياضى.. وعلى الرغم من تفوق نعمة هى الأخرى إلا أن جمالها كان يفوق الجميلات.

الحب ينتصر دائما!

وجاء اليوم الموعود ! تشجع حسن.. تناسى الخلافات.. عبر فوق كل العقبات.. لكن نعمة طارت من الفرحة.. وهمست من دون وعى منها.

- كنت فين من زمان ياحسن؟

تكرر اللقاء.. وأصر حسن على أن يتنازل أبوه عن موقفه وإلا ترك له الدنيا كلها وهرب إلى الأبد!.. طلب حسن من ابيه أن يخطب له نعمة.. ثار الأب وهدد وتوعد.. لكن سرعان ما رضخ لطلب ابنه الذى ساءت احواله وتدهورت صحته وتوالت هزائمة الرياضية على حلبة الملاكمة التى نال فوقها الميداليات وحصد الكؤوس! والد نعمه كانت زوجته قد اخبرته أن وحيدتهما وقعت فى غرام حسن.. والأفضل معالجة الأمور بحكمة حتى لاتهرب الفتاة مع حبيبها وتجلب الفضائح لاسرتها تفاهم الأبوان بسرعة. اتفقا على موعد الشبكة وعقد القرآن.. واشترط الأب ألا تزف ابنته إلى حسن إلا بعد اكتمال شقة الزوجية واقامة حفل كبيريكون حديث الناس فى المدينة حتى مائة عام مقبلة على الأقل وافق حسن.. وفى حفل عائلى جلس الأبوان إلى جانبى المأذون ويتم عقد القران ويضع حسن دبلة الخطوبة فى يد نعمة!.. نعم.. لقد أصر والدها على أن يطلق عليها وصف دبلة الخطوبة لا الزواج! فالتقاليد فى المدينة لاتعتبر العروس زوجة إلا بعد زفافها من بيت ابيها!

تنطلق الزغاريد بينما حسن يوقع على وثيقة زواجه من نعمة.. لم يكن حسن يعرف أنه قد بدأ الطريق إلى نهاية أغرب من الخيال.. ولم تكن نعمة وهى تكاد تقفز من فوق الأرض من فرط سعادتها تعرف أن البداية الحقيقية قد فرضت نفسها.. ولم يتبق على النهاية سوى خطوات قليلة.

ولم تمض غير أشهر قليلة حتى صارح حسن عروسه برغبته فى الزواج الكامل.. لم يعد قادرا على الصبر أو الانتظار ثلاث سنوات حتى تكتمل شقة الزوجية.. حاورته نعمة كثيرا.. لكنها انهزمت فى النهاية أمام توسلات حسن.. وربما لأنها كانت هى الأخرى تحلم بهذه اللحظة!.. ذهبت معه إلى الشقة التى استأجرها لها.. لم تكن تخشى أحدا

فهى زوجته والشقة شقتها وهما الأن فى مرحلة الاعداد لها.. كانت ترجوه أن يؤجل تلك الخطوة للزفاف فهى لاتريد أن تكسر بخاطر حبيبها.. إلا أن حسن لم ينس أن نعمة أصبحت زوجته على سنة الله ورسول.

وذات يوم فوجئت نعمة بأعراض غريبة.. اصطحبها حسن إلى الطبيب.. وقف على اعصابة ينتظر التشخيص.. لكن الطبيب همس له مبروك.. المدام حامل ! لم تتم نعمة ليلتها لو أن أمها على قيد الحياة كانت ستوفر لها الحماية والرعاية والنصح.. والتفاوض مع الأب الذى يصعب التفاوض معه..لم تجد نعمة فى النهاية سوى حل واحد.. عملية اجهاض.

رفض حسن بإصرار.. وبكت نعمة بشدة.. حسن يريد الحياة لابنه.. ونعمة تخشى من رد فعل والدها إنه لن يغفر لها حينما تكبر بطنها وتمشى بين الناس وهى حامل من قبل أن تزف علانية إلى عريسها!!

اقسم حسن أنه لن يشارك عملية الاجهاض.. وتظاهرت نعمة بالموافقة.. نزل الاثنان من الشقة دون أن يعلم كلاهما إنها المرة الأخيرة التى يلتقيان فيها فى هذا المكان.

فى اليوم التالى لم تحضر نعمة فى موعدها مع حسن.. ظن أنها مريضة أو مكتئبة أو فى حالة خصام.. انشغل فى عمله حتى المساء حتى جاءه الخبر المشؤوم.. عثر الناس على جثة نعمة فى مكان بعيد على أطراف المدينة!.. وأثبت تحريات المباحث أن أخر مرة شوهدت فيها.. نعمة وحسن كان فى شقة الزوجية التى قاما بتجهيزها.ولم يكن معها سوى حسن!.. ويتهم والد نعمة حسن بقتل ابنته انتقاما لوالده لخلافات قديمة!!

يذهب رجال المباحث للقبض على حسن بينما كان يخبط قبر نعمة بيده ويصرخ فى جنون «اسمعينى يا حبيبتى.. ماذا حدث ؟! قبضوا عليه وهو لايدرك ما حدث لايفهم شيئا مما يدور حوله.. ساقوه إلى قسم الشرطة وطلبوا منه تفسير لمصرع نعمة من دون قصد السرقة أو الاغتصاب.. لابد أن هناك سرا.. لكن حسن لم يجب ثلاثة أيام وهو فى الحبس حتى توليت الدفاع عنه.. وحاولت جمع أدلة البراءة بيدى.. استمعت من حسن تفاصيل التفاصيل.. الأسم الوحيد الذى استرعى انتباهى هو اسم عطيات التى كانت

نعمة تنوى الاتفاق معها على اجهاضها.. خاصة وأن عطيات مستعدة لخدمة نعمة فهى التى تعطف على اولادها اليتامى.

وبالاتفاق مع رجال المباحث، يتم البحث عن عطيات والقبض عليها لتفجر أخر المفاجآت وهى تعترف بالجريمة.. وقصة اتفاق نعمة معها على ضرورة التخلص من هذا الجنين بأى شكل من الأشكال.

نعمة والمجنون

وراحت عطيات تروى أمام المحكمة فى أولى جلسات القضية، كيف ماتت نعمة فى يدها.. وكيف فكرت فى ضرورة الخلاص من الجثة كى لاتقع تحت طائلة القانون.. ولم تجد من يعاونها فى هذا الأمر غير أحد الخفراء الذى يرغب فى الزواج منها.. ساعدها ليلا فى حمل الجثة والقائها فى مكان بعيد من دون خلع المجوهرات التى كانت ترتديها نعمة حتى تكون ملابسات الحادث مثيرة وتبعد الشبهات عن عطيات وشريكها!! تواصل المحكمة نظر القضية بعد القبض على شريك عطيات.. وتقضى ببراءة حسن.. لكنه يخرج من المحكمة وقد أصابه الجنون وصفه الأطباء بأنه جنون مؤقت وعودة عقل حسن اليه مرهونة بصدمة عاطفية أخرى.. لا أحد يعلم متى تكون.. ومن تكون بطلتها هذه المرة.

المرأة الحديدية



« .. واثبتت التحريات أنها كانت عاقرا.. وظهر طفل فى حياتها فجأة حينما سافرت للخارج.. وأن هذا الطفل تربى فى حضانات أوروبا! »

الدنيا ليست حسب مزاج أو قياس أحد.. لهذا لم تنخدع داليا حينما ابتسمت لها الحياة.. وفرشت الورود فى طريقها.. ووهبتها كل مقومات السعادة.. كانت داليا تعلم أن من يتمسك بالدنيا تتخلى عنه.. وتلعب به.. وما أسهل أن تخلع الورود لتزرع تحت قدميه الأشواك.. وتنتزع الضحكات لتحل مكانها الأهات.. تسرق الأحلام وتدفع بالكوابيس.. وتسترد السعادة لتقدم الأحزان.. هذا الدرس كانت داليا تحفظه عن ظهر قلب.. لكنها لم تتوقع يوما أن ضربات الدنيا سوف تأتيها متلاحقة.. وقاضية.. وفى أعز الناس!.. كادت تموت فى لحظة.. واستردت فى لحظة أخرى قوتها.. تخلت عن راية الاستسلام البيضاء.. وتحولت إلى جيش بأكمله فى صورة امرأة عنيدة.. وعند هذا الحد فقط. لوحت لها الدنيا بأمل جديد.. أصبح بمقدورها أن تستعيد إلى احضانها ابنها الضائع.. وزوجها المخطوف.. لكن كان مطلوبا منها الصبر إلى أقصى الحدود.. وأن تتناسى جراحها كامرأة.. وتتعامل فقط بمشاعر الأم.

داليا كانت كتابا مفتوحا حتى بداية التسعينيات.. وفجأة أصبحت لغزا يستعصى على الفهم.. ولا تكشف النقاب عن أسراره غير التفاصيل الدقيقة لحياة هذه المرأة الجميلة.. أو الزوجة الحديدية التى ركعت من أجل أمومتها.

ترجع البداية إلى أمسية صيف رائعة كانت تقضيها أسرة داليا فى شقتهم بمدينة الإسماعيلية.. كان الحوار دائرا بين أفراد الأسرة حول العريس اللقطة الذى تقدم يطلب يد كبرى بنات الأسرة داليا.. لم تكن الأسرة فقيرة ولا ثرية، وإنما تنتمى إلى الطبقة المتوسطة التى تقضى معظم حياتهافى الأحلام والطموحات.. وكان العريس ثريا فى غير

عـجـرفـة.. ولا كـبـرياء.. طيب القلب.. جـميل الملامح.. مـثـالا للأناقـة فى غيـر تكلف.. نموذجـا للبـسـاطة بغيـر تمثـيل.. شـهـم فى طبـاعـه دون منظرة.. لم يكن فـيـه عـيبـا واحـدا سـوى أنه مـتـزوج من سـيدة عـربيـة يعـيش مـعـهـا فى بلاد الغـربة حيث يعـمل هناك طبـيـبـا بإحـد المسـتـشـفـيـات.. عـيب واحـد لكنه عند المرأة خطيـر.. خـاصـة حـينمـا تـكون بكرا لم يسـبق لهـا الزواج.. وجـمـيلة لم يسـمـهـا أحـد من قـبل.. وقطار الزواج لم يفـتـهـا بعـد فـهى لاتزال فى أول العشرينات من عمرها.

موافقة يا بابا!

فـجرت داليـا المفـاجـأة وأعلنت عن قـبـول العريس الجـديد الذى تـوقع الجـمـيع أن داليـا سـوف ترفـضـة بشكل حـاسم وقـاطع.. لكنهـا قـدمت مـبـررات مـوافـقـتـهـا لأسـرتهـا وقـالت - لماذا ترفـضـه؟ لقد كـان صـريحـا إلـى أبعد حـد.. كـان بإمكانه أن يخـفـى عنا زواجـه خـاصـة وأن زوجـتـه تعـيش على بعـد آلاف الأمـيـال.. كـان صـريحـا مـرة أخرى حـينمـا وصـف زوجـتـه بأنهـا رب نعـمتـه.. فـهى التى وقـفت إلى جـواره وسـاعـدته بمالهـا وسـاندته فى بلاد الغـربة وخـسـرت من أجلـه كل عـائلتـهـا الكبـيـرة.. وحـينمـا مرضت الزوجة كـانت هـى التى سـارعت تحـثه على الزواج من جـديد.. ظلت تلح عليـه حـتى وافق.. لم يشـأ أن تكون زوجـتـه الثـانيـة مـجـرد دوبليـر للأولى.. ظل يؤجـل الفكرة حـتى تـعـارفنا واحـبنـى.. وإذا كـانت المرأة قـد تخطىء فى أمـور كثـيـرة إلا إنها لاتخـطـىء لقد تسـاويت مـعـهـا منذ البـداية على الرغم من اقدميتها المطلقة فهى تسبقنى فى زوجى إن كان لى نصيب معه بأكثر من سبع سنوات

انتهى رد داليا وقال الأب لابنته:

- عين العقل يابنتى

صدمة قلب!

أقيـمت الأفراح والليالى الملاح.. وأنفق مجدى آلاف الجنيهات فى زفـاف داليا فى ليلة عمـريهما كما وصـفها لها.. أحـبها بـصدق.. ويعنف.. طلب منها أن تعـاهده على أن تنجب له دسـتـة أطفـال.. فليس فـى الدنيـا شـىء ينقصـه.. زوجـتـه الأولى لا تـحب الأطفـال.. وقـد اشـترطت عليه منذ البـداية ألا يحـدثهـا كثـيـرا عن الإنجـاب لأن صـحـتـهـا لاتحـتـمل الوضع

والولادة.. وأقسمت داليا لمجدى أن تنجب له كل عام طفلا حتى يزدحم البيت ويتحول إلى دار حضانه.. ضحكا معا.. وكأن الدنيا كانت تسمع ضحكتهم وتسمح لصداهما أن يملأ كل بقاع العالم.

وتمضى الأيام فى سعادة لاتصدقها داليا.. فى بيتها المال والحب والزوج.. وفى احشائها أول طفل اشتاقت طويلا أن تضمه لاحضانها.. وتسمع منه أحلى كلمة فى الوجود «ماما».. وبالفعل انجبت محمد.. وفى العام الثانى تنجب محمودا.. ويطير مجدى من الفرحة بطفلين.. ويعفى داليا من مسئولية حمل جديد كما عاهدته.. يخبرها أنه يخشى على صحتها من ناحية.. وعلى وقته معها الذى بدأ طفلاه الصغيران يقتسمانه مع والدهما!

فى اجازته الأخيرة قرر أن يصطحب أسرته إلى حديقة الحيوان قبل سفرة بثلاثة أيام.. كان محمد يقترب عمره من الثلاثة أعوام.. والحيوانات عالمه المفضل.. ذهبت داليا مع زوجها فى الرحلة وقلبها مقبوض.. وفجأة.وقع المحظور.. وتكهرب الجو.. وتعالت الصيحات.. أختفى محمد بينما كانت الأسرة تقترب من قفص إنسان الغابة حيث الزحام الشديد.. انشقت الأرض وابتلعت الصغير.. ضاع الحلم الجميل.. أغشى على داليا.. نقلوها إلى المستشفى.. وسارع الأب إلى قسم الشرطة يحرر محضرا بخطف ابنه من حديقة الحيوان دون أن يتهم أحدا.. وتمر الأيام الثلاثة كابوس ثقيل يخيم على حياة داليا.. قلبها المصدوم إنكسر.. اعتزلت الناس والطعام والشراب واعتكفت تبكى فى حجرتها، وهى تضم لعب محمد إلى صدرها المحترق.. استأذنها مجدى فى السفر كى لا يثير ضده شركاءه فى العمل الذين يغيب عنهم ستة أشهر كاملة.. ويطمئن مجدى زوجته بأن ابنهما لابد أن يظهر يوما ما لأن الله لايحب الظلم.

ضربة جديدة!

بعد أربع سنوات كان بيت داليا قد ازدحم بطفلين آخرين غير محمود.. لكن داليا لم تنس محمد.. لم يغب عن عينيها لحظة واحدة.. لم تحرك أشياءه من مكانها.. كان الخلاف الوحيد الذى شهدته حياة داليا الزوجية هو شجارهما الذى لم يكن موجودا من

قبل.. شجار تتهم فيه داليا زوجها بأنه أهمل فى رعاية ابنه وتركه ينسلت من يديه لتلتقطه يد الخاطف ببراعة.. وكان مجدى يكره أن تذكره زوجته بأعز الناس.. شجار يبدأ بالدموع الشديدة فى عينى داليا وينتهى بالمصالحة الدافئة من مجدى وباقى أطفاله..لكن دون أن تجف دموع داليا.

ويبدو أن الدنيا ارادت أن تضيف إلى داليا هما جديدا.. وكأن قلبها كانت تنقصة الأحزان.. سافر زوجها فى موعده.. لكنه لم يعد الموعد المحدد.. عام كامل لاحس ولاخبر عن مجدى.. كل المسئولين فى شركته يردون على مكالمات زوجته من القاهرة بأنهم يبحثون عنه مثلها تماما.. وكأنه خطف هوالأخر.. سكن الحزن حياة داليا.. اسودت الدنيا فى عينيها.. راحت ترشف دموعها كل ليلة وهى تسترجع شريط الذكريات إلى أن ظهر مجدى فجأة فى القاهرة.. استقبلته داليا استقبال الفاتحين.. نست وقارها فاطلقت الزغاريد.. ونسيت أحزان محمد فعاهدته ألا تفتح له سيرته ابدأ.. لكن مجدى لم يكن يعلق.. أصبح صامتا كأبى الهول.. عيناه تخفيان سرا.. هكذا كانت تشعر داليا.. إلى أن جاءت الدنيا بمفاجأة جديدة.. أصيب مجدى فى حادث تصادم قطارين.. كتب الله له الحياة بأعجوبة.. لكنه فقد النطق.. وعاش فى غيبوبة طالت شهرين.. أشفق عليه الجميع.. ولم تتركه داليا لحظة واحدة.. كلما فتح عينيه لحظة وجد دائما داليا تبكى إلى جواره وتدعو له بالشفاء.. لكن سرعان ما يعود إلى غيبوبته.. حتى كانت الليلة الموعودة.

أفاق مجدى ساعة كاملة.. كان يتحدث بصعوبة.. قال لها سر عمره.. أن زوجته الأولى عاقر.. وأن محمد يعيش معها الأن بشهادة ميلاد مزورة.. وأن رغبتها فى الأمومة كانت وراء خطتها التى رسمتها معه بمهارة.. ويطلب مجدى من زوجته أن تسامحه وتبحث عن ابنهما قبل أن يذهب ابوه للقاء ربه.. وعاد مجدى إلى غيبوبته.

المرأة الحديدية.. مهزومة!

لم تدرى داليا هل تطير من الفرحة بعد أن أضىء أمامها أمل العثور على محمد أم تبكى حتى الموت على زوجها الذى لم تستطع أن تكرهه حتى هذه اللحظة.. وجائتنى داليا واقمنا لها دعوى قضائية مستندين إلى الشهود الذين سمعوا مجدى وهو يعترف

بالحقيقة أمام زوجته.

وسافرت داليا إلى الدولة العربية التى تعيش فيها الزوجة الأولى.. واثبتت التحريات أنها عاقر لم تكن تنجب.. وإن طفلا ظهر فى حياتها فجأة.. لكن هذا الطفل يعيش منذ عام فى حضانة أطفال بأوروبا..

المرأة الحديدية التى تحملت كل هذه اللطمات ذهبت إلى ضرتها فى عقر دارها.. ركعت امامها على قدميها توسلت اليها أن ترحم امومتها.. وتفجر الزوجة الأولى مفاجأة حينما تحتضن داليا.. وتتوسل اليها أن تترك لها محمد وكفاها ثلاثة أطفال.

بكت المرأتان بشدة.. شكت كل منهما همومها للأخرى.. اقترحت الزوجة الأولى أن تدفع فى محمد مليون جنيه كاملة.. عدا ونقدا.. رفضت داليا بإصرار.. عادت الزوجه الأولى تقترح نقل كل ما تملك باسم محمد وتتركه أمه يعيش معها حتى تموت.. خاصة وهى مريضة وايامها معدوده.. وردت داليا بأن كنوز الدنيا لاتساوى لحظة واحدة يغيب فيها محمد عن صدرها.

كادت الأمور تتأزم.. وتتعقد.. وهددت الزوجه الثانية باللجوء إلى المحكمة والاستمرار فى قضيتها.. وردت الزوجه الأولى أعلى ما فى خيلك اركبيه.. لن تعرفى عنوانا لى من الليلة.. أبحثى عنه فى قارات الدنيا الخمس.. ويتدخل العقلاء.. وتقبل داليا الاقتراح الأخير للزوجه الأولى.. يعيش الجميع معا.. ويظل محمد تحت عينى أمه ورعايتها.. وتستمتع الزوجه الأولى بمشاعر الأمومة المزيفة.. أخيرا وأفقت داليا وتخرج الزوجة الأولى شيكا تحرره بمليون جنيه باسم الطفل محمد.

توقعنا جميعا أن داليا تقوم بمناورة حتى تمسك ابنها بيديها فلا تستطيع جيوش العالم أن تأخذه منها.. لكن داليا اهتزت بشدة أمام دموع ضرتها المريضة.. سافرت معها إلى سويسرا.. أحضر محمد وسط دموع تفجرت من عيون الأم الحقيقة.. وضرتها.. عادتا إلى القاهرة.. ظلتا إلى جوار مجدى فى المستشفى حتى شفى.. وهنا قالت الزوجة الأولى لداليا.

- هل لى عندك خاطر؟

- طبعا

- بلاش تحاكمى مجدى على خطته فى تسفير محمد لى.. كنت مجنونة بالأمومة.. ولا أزال.. أرجوك.. سامحيه.. وتنازلى عن قضيتك ضدى

- حاضر

ولم تنته القصة.

بعد ستة أشهر سافرت الزوجة الأولى لتغيير صمام جديد فى قلبها المريض.. لكنها لم تعد من لندن.. وورث محمد مليون جنيه.. وعاد ابوه إلى بيت أسرته التى حرمت منه كثيرا.

أنا لن أعود إليه!



« .. ووافق على الزوج على أن تكتب زوجته إلى إدارة الفتوى بالأزهر الشريف.. لم تكذب الزوجة خبرا.. وجاء رد إدارة الفتوى بأن زواجها غير جائز شرعا! »

لم يكن أحد يتوقع أن يشهد هذا المكان المزدحم أغرب قضايا الغرام والانتقام.. المكان بالتحديد هو شارع الأزهر المزدحم بمئات المشاة فى جميع الاتجاهات.. السيارات بكل أنواعها تنطلق غير عابئة باشارات المرور أو ذراع الجندى الحائر.. ملاكى وتاكسى ونصف نقل وعربات كارو تزيد الشارع ارتباكا وازدحاما.. مناطق أتربة هنا وهناك يتدفق اليها وفيها عشرات السياح.. زبائن خان الخليلى يدخلون ويخرجون محملون بالهدايا التاريخية ومحلات المجوهرات ومتاجر العطارة وحوانيت الياميش.

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة صباحا عندما كان سيد يسير إلى جوار زوجته الجميلة نادية وسط الزحام.. لعل حديثهما كان اخطر حديث يدور بين رجل وامرأة، وسط هذه التجمعات البشرية المتحركة.. كان سيد متوترا.. وكانت نادية شارده الذهن زائغة النظرات.. تدور فى خاطرها الأفكار والهواجس.. لقد اقتربت وزوجها من دار الإفتاء.. أو بمعنى أدق إدارة الفتوى التابعة للجامع الأزهر الشريف. كانت نادية تحمل فى حقيبتها ورقة صغيرة اتفقت مع زوجها على تقديمها لعلماء الفتوى.. الورقة تحمل سطورا وسؤالا.. والإجابة سوف يترتب عليها مستقبل الأسرة الصغيرة التى هجرتها السعادة وخاصمها الأستقرار وسادتها قلة الراحة.. مشكلة بين الزوجين لم يعد لها حل بعيدا عن شرع الله.. لهذا لجأ الزوجان إلى إدارة الفتوى!

الساعة العاشرة وخمس عشرة دقيقة.. سلمت نادية الورقة لعلماء الفتوى وخرجت تنتظر دورها فى الرد.. اخبروها أن تنتظر حتى الواحدة ظهرا.. الوقت لايزال مبكرا.. وأعصاب الزوجين تجاوزت كل الخطوط الحمراء.. نادى سيد على زوجته بعد أن اختار

صخرة مرتفعة دعاها لتشاركه الجلوس عليها.. اللحظات تمضى فى تثاقل وبطء شديدين.. الزوجان فقدا أية شهية للحوار أو الكلام.. كل منهما لاذ بالصمت الرهيب.. لكن شريط الذكريات كان يلعب بخيال كل منهما على حده.

أحلى ليالى العمر

شريط الذكريات عند سيد بدأ بلحظة اللقاء الأول

كان يجلس أمام محله الكبير كعادته كل مساء.. ينفث دخان سيجارته فى كبرياء.. ويمسك بيده الأخرى كوب الشاى الساخن.. وقعت عيناه فجأة على فتاة تتمايل كغزال يلهو.. فتاة فى العشرين من عمرها.. يسكنها جمال خارق.. ورقة متناهية.. تلفت اليها كل الانظار.. كانت نادية كنقطة ضوء تتحرك فى الظلام.. لم يمتلك سيد أعصابه.. نادى على أحد صبيانه فى لهفة:

- واد يارزق.. مين القمر اللى ماشى فوق الأرض ده؟!

- دى نادية يا معلم.. بنت فوزى أفندى الله يرحمه

- معقول يا واد يارزق؟ تبقى جارتنا وأول مرة اشوفها النهاردة.. ده أنا كنت أعمى وفتحت بقى على كده.. لم ينم سيد.. إنها أول امرأة يرفع لها الراية البيضاء من أول نظرة.. كان معروفا فى الحى بثرائه واضرابه عن الزواج.. وكان يقول لاصدقائة والمقربين منه، إنه ليس بحاجة إلى هذا المشروع الذى يسمونه زواجا.. فلسفته كانت تتلخص فى أنه طالما يمكن شراء امرأة أو استئجار عواطفها ساعة أو ساعتين.. ليلة أو ليلتين.. فلا داعى لشرائها العمر كله.

كان سيد يرى كل النساء خائنات.. شجعه على نظريته أن كلهن خضعن لرغبته وقبضن الثمن.. كان يردد دائما أن كل امرأة لها سعر أو مفتاح.. امرأة يغريها المال.. وأخرى تلعب المجوهرات برأسها.. وثالثة تعشق السهر والسيارات الفارهه وفنادق الخمس نجوم.. كان سيد يرى أن المال هو القوة العظمى لكل النساء دول العالم الثالث.. لكن نادية تبدو شكلا آخر.. لايزال يتذكرها ساعات الليل الطوال عندما كانت تسير من امامه.. كانت على الرغم من رقتها الشديدة تخطو فى جدية لاتلتفت لعبارات الغزل التى

يمطرها بها شباب الحى.. حتى عندما اقتربت من مدخل بيتها استدارت كجندى يقود طابور الصباح فى خشونة.

طال الليل وأشرق الصباح.. وتوالت الأيام.. وسيد حائر مهزوم.. جرب مع نادية كل المفاتيح فإذا بكل الأبواب موصدة.. حاصرها بالهدايا فرفضتها جميعها.. طاردها برسله ومندوبيه فنهرتهم واحدا بعد الأخر.. قطع عليها الطريق بنفسه فتجاهلته.. حاول الحديث اليها فاسرعت الخطى.. أغدق على اسرتها بالمساعدات فحكمت نادية على أمها بقفل كل الأبواب فى وجهه.. أخيرا لم يجد غير الإسراع بطلب يدها.. اعترف بالهزيمة.. خلع قفازه واحنى هامته .. رق قلب نادية.. سمع اسمها فوق لسانه كأنه سيمفونية رائعة همس لها حينما وافقت على الزواج منه.. شبيك لبيك.. خدامك بين ايديك.. اشترى لها شقة تمليك.. أتى لها بأفخم أنواع الأثاث.. قدم لها شبكته من الماس الحر.. أقام ليلة العمر فى أكبر فنادق الجيزة.. قرر أن تكون ليلتهما أحلى ليالى الدنيا.. تزوجها وهو يحمد ربه.. لكن فى الأغلب، تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن.

جنون الغيره!

شريط ذكريات نارية بدأ بلحظة الزفاف

بيت سعيد جميل.. يملؤه الحب.. شهر العسل يمضى كأنه لحظة فى عقارب الزمن.. ظنت نادية أن السعادة دائمة.. وأن الأيام لم تنتزع منها حبيب العمر كله.. كلاهما كان بحاجة للآخر.. هو بلا أهل.. خرج للدنيا يتيما وعاش فيها لايعرف له قريبا يسأل عنه أو يشتاق اليه.وهى وحيدةأمها عاشت تنفق على نفسها من عملها الذى تمتهنه إلى جوار دراستها.. كانت قانعة على الرغم من مرض أمها الذى يلتهم كل دخلها.. اليوم أصبحت فى قلب النعيم.. أنجبت ابنها الأول فأضافت للبيت السعيد بهجة غامرة.. كل شىء يمضى مثاليا عدا سلوك سيد فى غيرته عليها.. لقد منعها من الوقوف بالشرفة أو الخروج إلى الشارع أو الرد على التليفونات أو حتى مخالطة الجيران.. لا يطيق أن يشاهد رجلا ينظر إليها.. كلما خرجا معا تحدث مشاجرة بين زوجها وأحد السائرين فى الطريق.. غيرة مجنونة أصبحت مع الأيام غيرة حمقاء مدمرة.. الشجار عرف طريقه

إليهما بدلا من الهمسات.. كانت نادية تحتمل ما يفوق قدرتها.. لكن سيد كان يفقد أعصابه ولا يهدأ إلا بعد أن ينفلت منه يمين الطلاق.. وقع مرة.. مرتين.. وبعد الثالثة انهارت نادية.. لطمت خدودها.. بكت بحرقة.. عرف الخراب طريقه لبيتها. تقمص الشيطان جسد زوجها وضحك عليه.. نعم هى تمتلك كل شىء.. لكن بيتا بلا زوج وأب يساوى صفرا حتى لو بلغت قيمته ملايين الجنيهات.. خرج سيد من البيت حزينا.. ترك زوجته وأولاده الثلاثة بدموع عينيه.. وقضت نادية ليلتها ساهرة على الفراش حتى الصباح.. فجأة.وجدته أمامها.. توسل إليها أن توافق على احضار محلل يثق فيه يعقد قرانه عليها وينصرف ثم يطلقها.. فى اليوم التالى.. عانقته نادية.. افهمته ان هذا تحايلا على شرع الله.. وأن علاقته بها بعد لعبة المحلل سوف تكون زنى يعاقبهما عليه الله.. ثار سيد وهدد وتوعد.. لم تصغ إليه نادية حاول أن يجبرها على النزول معه حتى يرتب لها عقدالقران الوهمى مع شخص غلبان يعرفه.. بينما أصرت نادية على موقفها.. تصاعد الشجار.. ضربها.. تجمع الجيران.. كلهم انصفوا نادية ووقفوا فى صفها.. وساندوا موقفها الذى تخشى فيه الله. وانصرف سيد يائسا ذليلا.

مضت الأيام ونادية تتابع أخبار سيد دون أن يشعر.. عرفت أنه طريح الفراش.. هاجمته الأمراض.. ساءت تجارته.. عرفت الخسائر طريقها إلى كل الصفقات التى يعقدها.. تدهورت صحته عندما علم أن رصيده أصبح صفرا.. اعتزل الناس.. وأطلق لحيته ورفض أن يزوره أحد أو يكلمه أحد.. عام كامل من العذاب عاشه سيد.. لكن ما فى اليد حيلة.. كانت تبكى على ما أصاب زوجها.. ذبل وجهه.. وأسودت ملامحه.. خشيت عليه من الموت.. ذهبت تزوره.. تعلق بها كطفل يرجو أمه ألا تتركه.. عرض عليها أن يكتبا مشكلتهما لإدارة الفتوى.. اقسم لها أنه سينفذ شرع الله فى الفتوى التى تخصهما مهما كانت نتيجتها.. كتبت نادية قصتها فى ورقة واختتمت القصة بسؤال عن شرعية عودتها لعصمة زوجها بعد طلاقها من المحلل الذى لم يقترب منها.

رصاصة

الساعة الواحدة وخمس دقائق جاء رد يحمل الفتوى.. المحلل غير جائز.. ولابد أن تتزوج نادية زواجا شرعيا صحيحا.. ويدخل بها زوجها الجديد.. ولا يكون فى نيتهما

الطلاق.. ثار الزوج.. حنث فى يمينه اخبرها أنه سيقتل أى إنسان يلمسها ولن ينتظر ولن ينتظر حتى يدخل بها أحد.. ردت عليه بأنها لن تنفذ إلا شرع الله أو تبقى بلا زوج حتى الموت.. قال لها أنا لا استطيع الحياة بدونك.. واجابته إذن ليس أمامنا سوى أن اتزوج زواجا صحيحا.. عاد سيد لثورته وهو يصيح فيها إذن أنت تقبلين أن يجمعك بيت واحد مع رجل آخر.. قالت له أنت السبب.. وكأنها نطقت كفرا.. وضع سيد يده فى سترته وأخرج مسدسا وسط الزحام.. اطلق رصاصة اخترقت بطن زوجته ثم خرجت من ظهرها.. سقطت ناديةوسط بركة من الدماء.. وألقت الشرطة القبض على سيد الذى ظل يبكى بحرقة إلى جوار زوجته. الاطباء انقذوا نادية فى المستشفى فيما يشبه المعجزة.

النيابة حبست سيدوأمرت بإحالته للمحاكمة أمام محكمة الجنايات بتهمة الشروع فى القتل.. بينما أولاد الزوجين أصبحوا فى رعاية الجيران.

مضى عام كأنه دهر.

القضية لاتزال متداولة أمام محكمة الجنايات بعد الافراج عن سيد بكفالة مالية كبيرة.. خرج سيد من السجن الصغير إلى السجن الكبير.. تسلم أولاده من الجيران وعاد بهم إلى شقته.. بحث عن زوجته فى كل مكان فلم يجدها.. آخر خبر عنه كان من داخل المستشفى الذى ظلت فيه شهرين بعد الحادث.. قال له الناس اعذرها.. عاش لياليه يبكى فراقها.. ويندب حظه.. ويعلن غيرته.. كان يتمزق وهو يرى أطفاله بلا أم.. رسبوا فى المدارس لأول مرة.. اصفرت وجوههم، وارتسمت الاحزان فى عيونهم.. حاول سيد أن يبدأ من جديد لكن المفاجأة كانت فى انتظاره.. لقد افلس تماما وباعوا محله لسداد باقى ديونه.. لم يعد له فى الدنيا ما يحصل عليه.. لا المال ولا الزوجة ولا الصحة ولا الاستقرار. فكر فى الانتحار لكنه تراجع أمام أطفاله المعذبين. استسلم لليأس واعتكف فى بيته ينتظر الموت.. لكن الموت لم يأت.. بل أتت نادية..

الماضى كله جراح

دبت الحياة فى البيت من جديد.. جرت الدماء فى عروق سيد وأطفاله التفوا جميعا

حول نادية.. حكت لزوجها ما حدث معها.. لقد احبها الطبيب المعالج.. لم يعرف قصتها ولا أنها كانت متزوجة.. تركته يحبها حتى طلب يدها وتزوجها.. اعترفت انها لم تكن تنوى الطلاق من جانبها حتى تتجنب الوقوع فى خطأ شرعى.. اعترفت أيضا أنها كانت تنتظر أول مناسبة يصل فيها زوجها الجديد إلى نقطة اللا عودة ويطلقها.. ونجحت نادية بعد عام من الزواج فى الحصول على الطلاق.. وصاحت نادية فى سعادة غامرة تحدث زوجها قائلة:

ـ انتهت المشكلة يا حبيبى.. هذا الحل كنت أفكر فيه على الرغم من رصاصتك التى مزقت احشائى.. كنت افكر فيه فور افاقتى من البنج داخل المستشفى.. كنت افكر فيه من أجلك.. وأجلى وأجل ابنائنا.. انت لا تعرف الرجل الذى تزوجته.. ولا هو يعرفك.. فلا تضايق نفسك.. ويكفى اننا لم نغضب الله.. ثم أن جلسة الحكم فى قضيتك غدا وسوف احضرها معك.لم يعلق سيد.. انتابته لحظة تعقل وحكمة.. تذكر قضيته التى نسياها.. ارتجف وهو يتخيل أسوار السجن.. لكن نادية ضمته وأصرت أن يرتدى ملابسه فورا.. ذهبت معه للمأذون.. عادت إلى عصمته وسط ذهول الجميع.. خرجت معه فى الصباح إلى المحكمة والناس تضرب كفا بكف.. أمام هيئة المحكمة أصرت أن تتحدث بدلا من دفاع زوجها.. بكت أمام المستشارين وهى تمسك بأطفالها وتردد..

ـ أنا المجنى عليها.. لقد سامحت الجانى.. إن المجنى عليها والجانى يا حضرات القضاة يعيشان الان تحت سقف واحد.. لو ادخلتموه السجن سوف يتشرد الأطفال.. اتوسل إليكم امنحونا فرصة للحياة.

بعد المداولة.. قضت المحكمة حكم كأنه البراءة.. حكم إنسانى اطلقت نادية بعده زغرودة طويلة خرجت من المحكمة تتأبط ذراع زوجها.. ترجوه أن يكملا حياتهما فى سعادة.. لكن سيد ظل صامتا.. دخلت نادية سوبر ماركت.. اشترت طعام الغداء وخرجت.. عادت لبيتها وهى تطير من الفرحة مع أولادها.. جهزوا المائدة.. نادت زوجها ليحضر ويتناول الطعام معها بعد طول غياب.. لكن سيد أشار إليها.. دخلت عنده.. سألها فى غضب.

- عاوز اعرف حاجة.. جوزك اللى حكيتى لى عنه دخل بيكى فعلا

غضبت نادية.. تمالكت اعصابها.. حاولت أن تهدىء روعه لكن سيد اصر على أن يسمع منها جوابا.. قالت نادية والدموع تتساب من عينيها أيوه دخل بى وهنا صاح سيد.

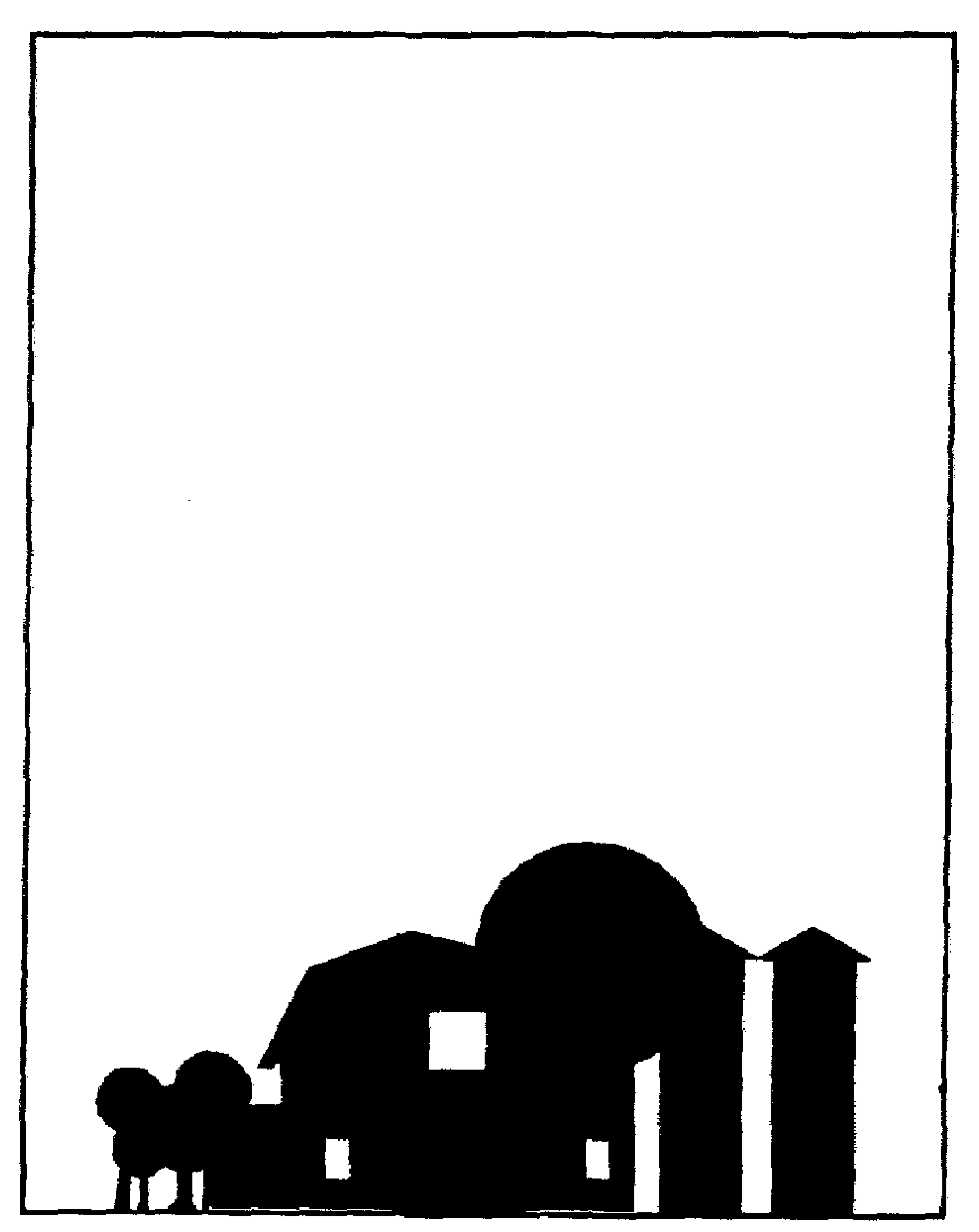
- نادية.. انت طالق بالثلاثة.

سقطت نادية مغشيا عليها.. صرخ أطفالها.. اندفع الجيران إلى الشقة ابعدوا سيد فى احدى الحجرات حتى تهدأ ثورته.. انشغلوا بنادية حتى استردت وعيها وجلست وسط اطفالها ونادى الجميع على سيدلكنه لم يرد.. ذهب إليه أكبر اطفاله ثم عاد يخبرهم بأن أباه نائم.. انقبض قلب نادية.. خشيت أن تكون نوبة القلب قد عاودته.. اسرعت إليه.. غابت دقائق ثم اطلقت صرخة مديوة

- سيد مات يا جماعة.

ولاتزال نادية تضرب عن الزواج إلى الآن.. على الرغم من مضى عشرة أعوام على وفاة زوجها.. ولاتزال تعلق صورته أمام سريرها.. وكل ليلة قبل أن تنام تحكى له كل ما دار فى ساعات النهار.

غرام فى البيت الضائع!



.. وقالت وفاء فى اعترافاتها: «ظللت أتردد عليه واطارده بعد أن قطع علاقته بأمى.. وهددته بالانتحار إن لم يتزوجنى!

عزب مدير عام بالمعاش.. لم يترك عمله بقرار بلوغه سن الستين.. لكنه خرج بإرادته الحرة حينما قدم استقالته وأصر عليها.. ورفض كل محاولات الأصدقاء والزملاء لاثنائه عن هذا القرار الذى جاء مبكرا عن موعده القانونى بعشر سنوات.

كان الأستاذ عزب مثالا ونموذجا للرجل صاحب الأصول.. يعمل وكأنه خلق للعمل وحده.. يحكم بين الناس فلا يظلم حتى لو كان بحكمه سيؤذى اقرب الناس إليه.. ينام مبكرا ويستيقظ مبكرا.. ويكره النميمة والنفاق.. بينما يعشق الحياة والرومانسية.. لم يفرح بمنصبه الكبير على الرغم من أنه حظى به فى شبابه.. ولم يتردد فى الإستقالة منه والانسحاب من حياة الأضواء ومقعد الرجل الثانى فى المؤسسة الكبرى.. كل ما كان يهمه أن يتفرغ لحياته الجديدة التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً.. فقد كان عزب متحفظا فى أسراره الشخصية.. والعائلية.. لا يبوح بها إلا لصديق أو صديقين هما كل ما خرج به من الحياة بعد أن انعدمت ثقته فى إناس كثيرين! صديقه الأول هو فؤاد افندى موظف البنك الكبير بالاسكندرية.. والثانى هو صديقه أنور أو الحاج أنور كما يناديه الناس حيث يعيش فى الاسكندرية أيضا.. فعزب نفسه كان من الاسكندرية وتركها منذ عشرين عاما حينما رقى إلى منصبه الكبير فى القاهرة.. لكن علاقته بفؤاد وأنور والاسكندرية لم تنقطع طوال هذه الفترة.. فهو دائم التردد على صديقيه فى مقهى المعاشات بالثغر الجميل.. ودائم الاتصال التليفونى بهما حتى بعد أن استقال من وظيفته فى العام الأخير وبدأ الاعتكاف الطويل فى منزله بالقاهرة لم تنقطع مكالماته التليفونية بصديقيه.. حتى كانت تلك المكالمة الأخيرة التى أخبرهما فيه بأنه حجز فى قطار

التاسعة صباحا من القاهرة.. طلب منهما أن يكونا فى انتظاره على رصيف المحطة فى الحادية عشرة والنصف بالاسكندرية.. فرح الثلاثة بلم الشمال بعد غياب دام شهرين بينهم.. وفرح فؤاد وأنور بزيارة عزب التى ستستغرق اسبوعين كما اخبرهما.. لكن الشىءالخطير الذى فشل الصديقان فى معرفته قبل وصول عزب هو ذاك السر الذى ابلغهما أنه سوف يحكيه لهما فور وصوله.. وفى الموعد المحدد وصل عزب.. لكن ليته ما وصل!

سالت دماء عزب على رصيف محطة الاسكندرية!

لفظ اخر انفاسه بين احضان فؤاد افندى.. لكنها لم تكن وفاة طبيعية.. بل جريمة قتل!

صرخ الصديقان وهما يشاهدان المدير العام السابق يودع الحياة بنظرة ساخطة طويلة.. ولسان يحاول الكلام بصعوبة.. لم يسمع كلاهما من صديق عمرهما سوى كلمات عابرة.. الورقة.. وفاء.. كلموها!

ثلاث كلمات ودع بها الحياة ومع السر الكبير.. لكن الجميع انشغل بجثة الراكب الأنيق فوق رصيف المحطة فور مغادرته للقاهرة.. ثلاث كلمات حفظها الصديقان لكن كلاهما لم يفهم معناها.. أو المقصود منها.. أو الرسالة التى أراد أن يبلغها لهما عزب.. وبسرعة كانت المباحث وسط زحام المحطة.. وبعدها وصل وكيل النيابة.. وخبير الطب الشرعى وخبير الأدلة الجنائية.. وتم رسم موضع الحادث ومعاينته بدقة.. لكن كان لابد من اصطحاب الصديقين إلى التحقيقات لسماع اقوالهما.. كما عثرت المباحث على مطواه ملوثة بالدماء أسفل الجثة وتم تحريزها!

عاشق الجمال!

بكى فؤاد افندى طويلا ثم استجمع قواه ليحكى علاقته بالقتيل فى التحقيقات: «.. نعم أنا حافظ أسراره الوحيد.. ومن بعدى الحاج أنور.. لكنى والحاج أنور فى الفترة الأخيرة كانت الحيرة تنتابنا كثيرا لطول غياب عزب بيه عنا.. كنا نشعر من مكالمته التليفونية أنه مشغول بشىء ما.. لكن صوته كان يقول أنه يعيش سعادة لم نألفها فى

صوته من قبل.. وحينما سألناه كان سعيدا وهو يبلغنا أنه سيصارحنا بالسر فى زيارته التى مات فيها:

ويحاور ضابط المباحث فؤاد أفندى

● ....؟!

●● مالوش حد غيرنا فى الاسكندرية!

● ....؟!

● زوجته ماتت من زمان.. ومالوش أولاد

● ....؟!

●● لا يا بيه.. كان رجلا مستقيما!

● ....؟!

●● لا برضه.. ما كنش بيهتم بأخبار النساء إلا لما يشوف واحدة جميلة ماشية فى الشارع ينظر لها كثيرا.. كان بيحب الجمال الله يرحمه.

● ....؟!

●● على ما افتكر عرف واحدة أرمل من سبع سنوات وكان هيتجوزها.. لكن ما حصلش نصيب!

● ....؟!

●● ايوه اعرف اسمها وعنوانها.. ورقم تليفون

لم أقتلـه!

يشعر الحاج أنور ان نظرات الشك تتجه نحوه حينما يواجهه المحقق ان بصماته فوق المطواه التى تم ارتكاب الجريمة بها .يصرخ الحاج انور فى هسيترية :

أنا.. أقتله ليه؟! ده حبيب عمرى.. أسألوا فؤاد.. أحنا رحنا نستقبله سواء.. ولما نزل من القطار فؤاد أخذه فى حضنة.. الدنيا كانت مزدحمه بالناس بسبب وصول المصيفين

للأسكندرية.. كنا هنقع أحنا الثلاثة لما نزل عزب بيه من باب القطار واندفع الينا واندفعنا له.. وفجأة.. سمعناه بيصرخ.. فؤاد صرخ يسأله مالك ؟! مالك ؟!.. لكنه ما قالش غير الثلاث كلمات.. بصيت أنا لتحت لقيت الدم الكثير على الأرض.. وعزب بيه بيقع.. بصيت تانى لقيت مطواه فى جنبه.. افتكرت نفسى أقدر انقذه.. شددتها من جسمه.. أيوه مسكتها بإيدى.. لكن الخوف خلانى تركتها تقع تانى.. وأنا اللى قلت للمباحث عليها.. أبقى أقتله ازاى ياجماعة.

امرأتان

تتحفظ جهات التحقيق على الحاج أنور وتخلى سبيل فؤاد أفندى.. وتتجه أوراق التحقيق بشده نحو السيدة الأرمل فهى الخيط الوحيد الذى يمكن أن يكون الطريق إلى فك اللغز!.. فلا أحد يعرف شيئا عن حياة القتيل فى القاهرة.. لا من زملائه ولا جيرانه ولا حتى بواب عمارته.. بل لا يوجد خيط واحد فى شقته يمكن الاعتماد عليه فى كشف سر كلمة وفاء أو الورقة التى نطق بها عزب بيه فى لحظات حياته الأخيرة.

.. وتنجح المباحث فى الوصول إلى الأرمل.. وتحاورها:

- اسمى: عواطف
- عمرى: خمسون عاما
- ......؟!
- كنا سنتزوج فعلا.. لكن الفكرة فشلت وانقطعت علاقتى به منذ سنوات؟!
- ....؟!
- فشلنا لأسباب أعتذر عن ذكرها إذا أمكن
- ....؟!
- إذا كان صالح التحقيق يبقى أقول لكم الحقيقه.. فوجئت أنا وعزب أن ابنتى الوحيدة أحبته.. بل وصارحته بحبه أمامى بشكل ازعجنى واحرجنى.. ولما ضربتها بشدة قام هو وترك المنزل ثم حدثنى تليفونيا محادثة طويلة قررنا فيها إنهاء علاقتنا تماما

حرصا على ابنتى المراهقة التى كانت مخطوبة.. والقت بالشبكة فى وجه خطيبها بعد أن ظهر عزب بيه فى حياتنا.. وكان الرجل رائعا حينما استجاب لندائى وقطع علاقته بى وبالبيت كله..

● ....؟!

● ابنتى اسمها وفاء!

● ....؟!

● خطيبها اسمه مدحت!

● ....؟!

● طالب فى نهائى صيدلة وابن اسرة ثرية!

الاعتراف!

أيام سبعة تتكشف بعدها المفاجآت والحقائق.. لم تثبت التحقيقات أيه ضغائن بين القتيل وصديقه الحاج أنور الذى نجحنا فى الإفراج عنه بكفالة على ذمة القضية.. كما اتجهت الشكوك شبه المؤكدة إلى وفاء ومدحت!

لم تتحمل وفاء صدمة الخبر!.. انهارت ونقلت للمستشفى فور معرفتها بمصرع عزب بيه.. وعندما أفاقت حكت المفاجأة الكبرى فى اعترافها: ظللت اتردد عليه واطارده بعد أن قطع علاقاته بأمى.. احببته بعنف.. كان أعظم من أى شاب فى عمر خطيبى.. هددته بالانتحار إذا لم يتزوجنى.. وكدت أنفذ تهديدى.. لولا أنه سارع ووعدنى بدراسة الأمر.

ومع الوقت شعرت أنه بدأ يحبنى فعلا.. تعود على وهذا كان مكسبا كبيرا لى.. وكان كل ما يهمه خطيبى أن أرجع إلى علاقتى به وارتدى شبكته!.. لكنى تعمدت استغفاله لأنه شاب بلا مشاعر.. وتزوجت عزب بيه بورقة عرفيه احتفظت بها فى شقتى دون علم ماما.. كان يحضر للأسكندرية خلسة ويقابلنى مرة واحدة كل أسبوع.. ثلاث ساعات فى النهار لايشاهده فيها أحد ثم يعود للقاهرة بالطائرة.. وبعد ثلاث أعوام قررنا إعلان الخبر فى وقت قريب.. أعدت الشبكة لخطيبى من جديد واخبرته أننى سأتزوج عزب

بيه مهما كان السبب.. وبعدها لم أسمع سوى خبر قتل الرجل الذى أحبه!

يتم القبض على مدحت.. ينهار ويعترف بمراقبته للقتيل.. وتلصصه على أخباره.. وحينما نجح فى معرفة خبر وصوله للأسكندرية أندس وسط الزحام ومن بين الركاب غرز مطواته فى بطن وجانب غريمه العجوز دون أن يشك فيه أحد!

ترى هل تعود وفاء إلى حياتها من جديد وهى تحمل مثل هذا الجرح العميق؟!.. لقد ظلت تتردد على محاكمة مدحت أمام الجنايات وفى كل جلسة كانت تصاب بإغماءة طويلة.. بينما تبكى أمها عليها بشدة.

هوان الحب!



« .. احتارت هبه أين تذهب بطفلها.. نامت به فى الشوارع والحدائق ومداخل العمارات.. وتفننت فى الهروب من سيارات الشرطة التى تقبض على المتسولين! ».

الحب لايعرف المسافات.. ولا قانون له.. فهو ديكتاتور يفرض نفسه دائما فى عالم المحبين.. حتى لو كان ضد المنطق والعقل.. وهذا ماتحكيه قصة هبه وأسامة التى أبكت من تابعوا احداثها وعايشوا فصولها واذهلتهم مفاجآتها.. إنها فى النهاية مأساة امرأة ضحت بكل ما تملكه من أجل الاحتفاظ بزوجها لكنها فى النهاية وجدت نفسها فى سراب بلا نهاية.. فقدت اسرتها وحريتها وآدميتها وتحولت إلى قطعة من الورق تتقاذفها الأيام هنا وهناك.. وتتلقفها العواصف حيثما حلت.. لكنها ظلت تحمى نفسها من ذئاب الطريق وفاقدى الضمير.. اختارت أن تتسول بالطريق العام على أن تنهزم فى اعماقها وتتنازل عن أشياء تفضل الموت قبل أن تفقدها.. كل هذا وهبة فى عصمة رجل أحبته بجنون.. وانجبت منه طفلا جرب معها قسوة النوم فى السجن الاحتياطى بالشركة فى عز البرد وليالى الشتاء التى ترتجف فيه الأجساد تحت الأغطية الثقيلة!

نامت هبه فى العراء مع طفلها الوحيد خوفا من العودة إلى قسوة زوجة ابيها وجبروت هذا الأب الذى خرجت عن طوعه فهددها بالموت ذات يوم.. قصة مثيره نظرتها فى النهاية محكمة الأحوال الشخصية وتضمنتها عريضة دعوى مليئة بالصفحات والسطور.. لكن سيناريو الحكاية كان أكثر ايلاما وقسوة على ضمير كل إنسان تابع القضية.. فما هى حكاية هبه وأسامة وطفلهما الصغير حمادة؟!

الحب الأول!

كيف يصل الحب بامرأة إلى هذا الهوان؟! وكيف تكون النهاية بعد الفصول التعسة من حكاية تلك الزوجة التى قاست ولم يتجاوز عمرها الرابعة والعشرين؟!

لم تكن هبه وهى تعيش فى بيت ابيها المعلم صاحب المقهى الشهير بالحى الشعبى تعرف معنى الحب حتى قاربت العشرين عاما من عمرها..

لم تعرف من الحب إلا اسمه وحكاياته من أفلام التليفزيون التى تشاهدها بإذن من زوجه ابيها وبعد أن تشغلها فى تنظيف الشقة كما لو كانت هبه من عمال السخرة!

لم تكن هبه تجرؤ على الرفض أو التمرد على زوجة ابيها.. كانت ترى بعينيها مدى تسلط الست زوبه على ابيها الذى يبلغ كل درجات الضعف امامها.. كانت هبه هى الضحية دائما.. فالست زوبه تكره هبه منذ دخلت بيت المعلم شوقى.. لاتطيق رؤيتها.. لم تكتفى باخراجها من المدرسة الابتدائية.. بل كانت تفتعل المشاجرات معها وتضربها بقسوة.. تجلدها.. تكوى جسدها بالنار.. وكانت الزوجة لاتنجب والمعلم شوقى يحب ابنته الوحيدة من زوجته الراحلة.. لكنه تغير مع الوقت.. وصار ينقلب على هبه لأتفه الأسباب أرضاء لزوجته.. يأخذ ابنته إلى حجرتها ويجلدها بالكرباج ثم يذهب إلى حجرة زوجته ليتلقى المكافآة منها!

احتملت هبه طالما إنها ترفض بشدة كل العرسان المشبوهين الذى تأتى بهم زوجه ابيها.. صبرت حتى ساقت اليها الأيام هديتها.. أو هكذا ظنت هبه.. تعرفت إلى أسامة.. شاب يعمل طبالا بالنوادى احبته بجنون.. تعلقت به بشدة.. أصبح جزءا لايتجزأ من حياتها تفننت فى الهروب من أعين زوجة ابيها لتقابله دقائق كل أسبوع.. أو اسبوعين حسب الظروف.. لم تتم الليالى.. كانت تحلم به فى يقظتها وفى رقدتها.. تتخيله عريسها وفتى احلامها الذى سيخطفها على جواد أبيض.. وتظاهر أسامة بأنه يبادلها الحب الجنونى.. بل حرضها على الهروب والزواج منه والعيش معه فى الحجرة التى يسكنها فوق السطوح.. لكن هبه أصرت على أن يتقدم لخطبتها من ابيها.. ويذهب أسامة فإذا بالمعلم شوقى يطرده شر طرده أمام رواد المقهى وهو يصيح فيه فى غضب:

ـ ما بقاش ناقص غير نسب الطبالين كمان!

عاد الأب إلى بيته وانتقم من هبه بعقوبة ساخنة أنكرت فيها أية صلة لها بأسامة الطبال ابن زوبه العالمة! لكن هبه قررت أن تنفذ عرض أسامة فى أقرب وقت.. تهرب

معه.. تتزوجه على سنة الله ورسوله وتعيش معه فوق السطوح.. أحيانا تسكن السعادة بيوت الفقراء التى يعشش فيها الحب الكبير! تشكك الأب فى ابنته وفى سلوكها وهددها بالموت إذا هى فكرت فى الزواج من أسامة رغما عنه! على الرغم من التهديد هربت هبه إلى حبيبها الأول.. صاحب أول دقة نبض بها قلبها.. طار بها إلى المأذون.. تزوجها فى الحلال.. لكن كل سلوك أسامة بعد ذلك كان حراما فى حق الفتاة الجميلة الهادئة.. بعد شهور قليلة تركها بحجة أنه ذاهب للتجنيد.. وانقطعت أخباره بينماكانت تستعد لوضع طفلها الأول حمادة!

وكانت أولى المفاجآت حينما ظهرت زوبه العالمة أم أسامة الهارب.. لم تكن هبه تعرف أن زوبه هى صاحبة العشه التى تسكنها فوق السطوح.. وإنها كانت تقضى عقوبة الحبس عامين فى السجن.. فاستغل ابنها خلو الشقة وحينما عصت عليه هبه وجد الفرصة مواتيه من أوسع أبوابها.. فالزواج من هبه لن يكلفه شيئا على الإطلاق.. فهى هاربة من جحيم لايطاق..

إذهبى.. ياحبيبتى!

لم يستغرق اللقاء الأول بين زوبه العالمة وهبه البريئة سوى دقائق.. وينتهى الحوار بينهن بأمر تصدره زوبه وهى تمضغ اللبان!

بره ياحبيبتى!

علشان خاطرى ياطنط.. علشان الولد الصغير اللى فوق أيدى

بره يا حبيبتى بدل ماروح أجبلك أبوكى اللى عامل سبع الحته!

كان والد هبة قد نقل للمستشفى بعد أيام من هروب ابنته.. وأجريت له عدة عمليات جراحية وطال بقاؤه تحت العلاج عاما كاملا لم يفكر خلاله فى الانتقام من ابنته.

لكنه يخرج من المستشفى ولا هدف أمامه سوى غسل عاره!! إلا أن القدر يجعل هبه تفلت بعمرها وطفلها قبل يوم واحد من عودة ابيها إلى الحى.. نفذت أمر الطرد الذى أصدرته زوبه وخرجت بابنها.. ركبت قطارا وهى لاتعرف أين تتجه.. عادت به فى الليلة

نفسها إلى ضاحية على أطراف القاهرة.. رق قلب حارس عجوز لها.. سمح لها بالمبيت فى الجراج والعمل به فى تنظيف السيارات بالنهار.. لكن يظهر أول ذئب وتتابعت بعده الذئاب فى حياة هبه.. ابن صاحب الجراج المراهق يظل يطارد هبه حتى إنه يحاول اغتصابها.. وحينما تصرخ هبه ويتجمع الناس يشعر صاحب المنزل بأن الفتاة سببت فضائح لاتحتمل.. فلا يجد مفرا من طرد هبه.. وتمضى هبه بلا هدى تبحث عن عمل شريف.. لكن يظهر لها فى كل مرة ذئب جديد.

وتعانى السيدة الصغيرة أشد المعاناة وهى تحمل طفلها الرضيع من مكان لمكان.. نامت به فى الحدائق.. وداخل العمارات.. وتفننت فى الهروب من سيارات الشرطة التى تقبض على المتسولين.. أحست أن كرامتها جرحت.. وإن كبرياءها اغتالته الأيام.. فقدت الأمل.. لكنها ظلت تتلصص على أخبار أسامة حتى علمت أنه تزوج من راقصة مشبوهه وسافر معها إلى الخارج ليتزوجها ويخلصها من المغازلات التى قد ترفضها ويحمى شكلها الاجتماعى لا أكثر.. بينما هبه تتلقفها الشوارع وتحمى شرفها كالأسد!

وتجمعهما الأقدار!

فكرت هبه فى العودة كثيرا إلى بيتها.. لكن عودتها قد تقودها للموت.. على الأقل بالنسبة لوحيدها الذى تحبه بجنون.. ربما لأنه أصبح الذكرى الوحيدة الباقية لها من أول حب..! لكن الذئاب لاتتركها فى حالها أبداً.. أخر مرة كانت تعمل خلالها شغالة فى أحد البيوت.. يحاول الزوج هذه المرة اغتصابها.. وعندما تقاومه تستيقظ الزوجه.. لكن كل حسابات الكبار تتم تسويتها دائما على حساب الصغار.. دفعت وحدى الثمن واخبرتنى الزوجة بأننى لم يعد لى مكان فى هذا البيت.. بينما هى تسامح الرجل الذى حاول خيانتها وقطع عيشى!

انتهى بها المطاف إلى النوم فى الشارع فى ليالى فبراير شديدة البرودة.. شهر كامل كانت تتسول فيه نهارا.. وتاوى فيه إلى النوم فى إحدى الحدائق ليلا وسط صقيع لايحتمله بشر.. إلى أن كانت المفاجأة!

استيقظت ذات صباح وحملت ابنها إلى مكانها الذى تتسول فيه.. وبعد نصف ساعة وقفت أمامها سيارة ونزل منها أسامة وإلى جواره الراقصة التى تزوجها وسافر بها !

تقع عين أسامة على يد هبه وهى تتسول وتصفقة المفاجأة وهو يشاهد ابنه جالسا إلى جوار هبه حافى القدمين ممزق الثياب إلا أنه يتجاهل هبه بسرعة.. ويحاول المضى بعيدا.. لكن هبه تمسك بخناقة فى الطريق.. يتجمع الناس.. وتتجرأ زوجة أسامة على ضرب هبه معه.. لكن الأهالى ينتشلون هبه وطفلها الباكى من بين أسامة والراقصة.. ويتم تحرير محضر باصابات هبه التى تهرول خلف أسامة وهما يخرجان من قسم الشرطة وأمامها الراقصة.. لكن أسامة يصفع هبه على وجهها ويمضى مع زوجته الجديدة.

القصاص!

تعود هبه للتسول من جديد.. ويأتى لى بها فاعلوا خير قرروا مساعدتها فى رفع دعوى ضد زوجها بعد أن اتوا لها بعنوانه ومحل اقامته الجديدة.

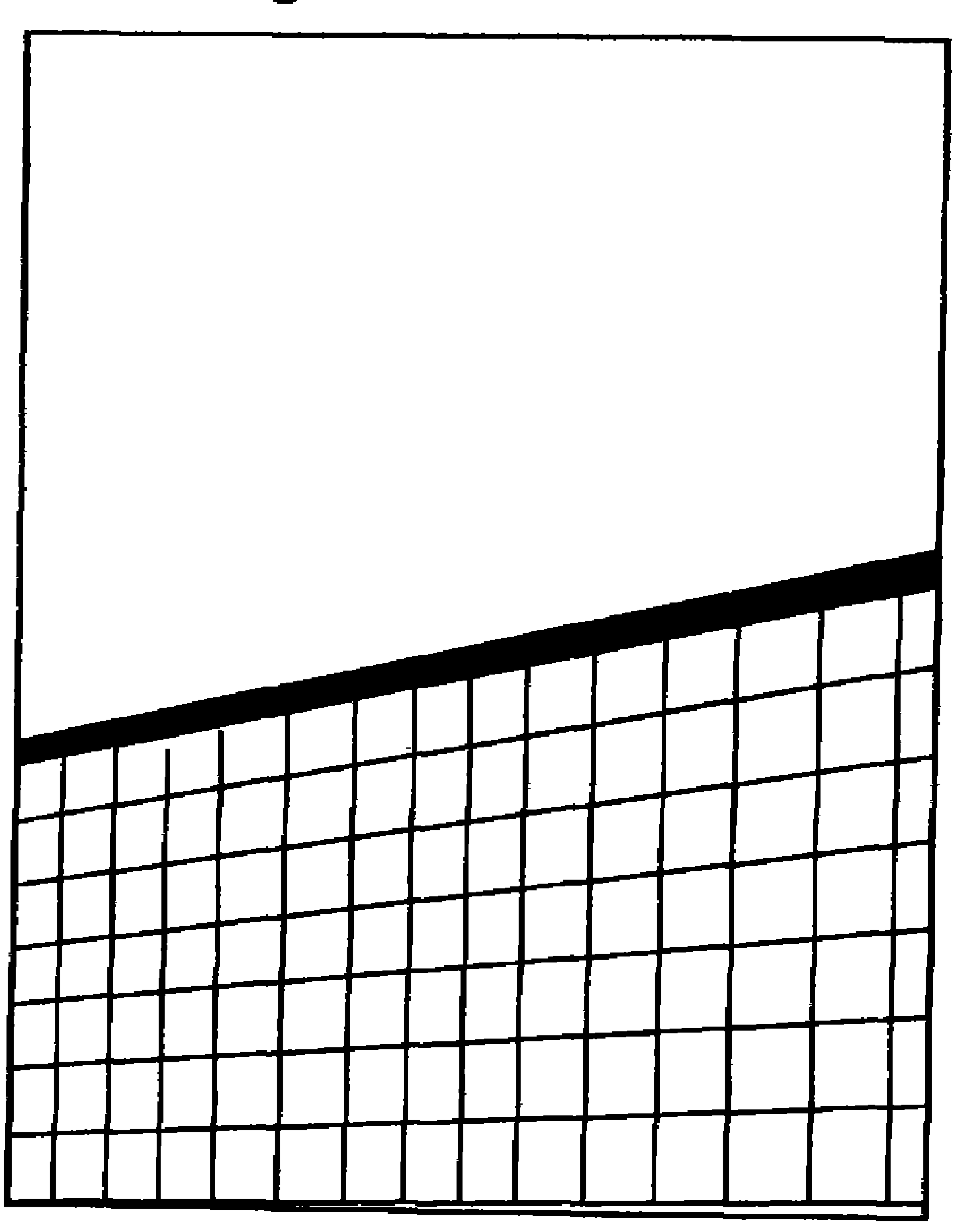
وتبدأ المحكمة فى نظر الدعوى.. لم يكن مع هبه سوى الورقه الوحيدة التى احتفظت بها منذ خروجها من البيت وطوال رحلتها مع التسول.. عقد الزواج.. وورقة صغيرة برقم المحضر الذى حررته لأسامة والراقصة.

تطلب هبه فى قضيتها الطلاق والنفقه ونفقة المتعة.. ويفاجىء أسامة الجميع بحضور الجلسات ويعرض على هبه الحياة مع زوجته الجديدة.. لكن هبه ترفض بعنف.. وتصر على تحدى كل ظروفها وتربية ابنها الوحيد بشرف حتى يتخرج من الجامعة.

تحصل هبه على كل ما أرادت بعد أن استجابت المحكمة لكل طلباتها.. لكن إلى أين تذهب هذه المرة؟!.. هل تعود للتسول ؟ هل تنام بابنها فى الحدائق وعلى قارعة الطريق؟ انشقت الأرض عن والد هبه.. تظنه جاء ليقتلها فإذا بالأب يرجوها ويتوسل اليها أن تعود إلى بيته مع صغيرها.. تسأله عن زوجته فيبكى ويقص عليها قصة خيانة زوجته له أثناء مرضة بالمستشفى مع أحد صبيانه.. ! ويبكى بحرقة حينما يعتذر لابنته التى عاقبها ظلما طوال حياته.. ولكنها حافظت على شرفه فى كل الظروف كما تحكى له الناس!

تلقى هبه بنفسها فى احضان ابيها وهى تصيح بينما تنهمر دموعها فوق وجهها.. يامعلم شوقى راجعالك.. راجعالك على عينه ويمسك شوقى بحفيده ويعود الجميع إلى الشقة القديمة.. ومعلوماتى الآن أن حمادة أصبح طالباً بالثانوى!

الحاجز المنيع!



« .. عجز الجميع عن تفسير موقف الأب ورفضه القاطع لعريس ابنته.. بل وإصراره على أن تتزوج من أى شاب آخر فى مصر إلا هذا الشاب!».

رفض خاله المستشار أن يذهب معه لطلب يد حبيبته ناهد.. بل نصحه قائلاً: إختر أية فتاة فى مصر إلا هذه البنت وسوف نذهب معك لخطبتها.. اخترها هى لو كانت فقيرة وجاهلة ومن اسرة مغمورة.. فلن نتردد فى قبولها إلا هذه «الناهد»!

ذهب فؤاد إلى عمه الضابط الكبير بالمعاش.. كان يعقد على عمه أمالا عريضه فهو الذى رباه واحتضنه وتولى أمره منذ فقد ابويه وهو طفل صغير.. لكن العم انتفض واقفا واحمرت وجنتاه وراح يرد بكلمات أشبه بطلقات المدفع الآلى: مين يا فؤاد؟.. ناهد تانى.. أنت عاوز تجيب لنا العار أكيد..أسمع يا ابنى دى أخر مره اسمع فيها سيرة الناس دول.. روح هات مطلقة ومعاها دسته عيال هنوافق.. هات أية بنت أو ست إلا ناهد دى. سامع يا فؤاد.. ولا عاوزنى أموت ناقص عمر!!»

جلس فؤاد حزينا مهموما يرفض هذا التحالف العنيد من كل أفراد اسرته ضد الحبيبه التى اختارها قلبه.. وعقله.. ولامعنى لحياته بعيدا عنها.. حتى عمته التى لم ترفض له طلبا من قبل ظلت ترجوه وتتوسل اليه حينما لجأ اليها مهزوماً كسير يطلب مساندتها.. أن يغلق ملف هذه الحكاية.. ويفكر فى أية عروس إخرى.. ثم قالت بنفس نبرة الغضب العائلى: هو ربنا ما خلقش غيرها وإلا أية يافؤاد ياحبيبى! ... إصرار غريب.. وعناد لايلين.. وموقف واحد من كل أفرد الأسرة يرفض ناهد زوجة لابنهم فؤاد الذى يتشدق به الجميع فكان الإتهام بلا دليل لوالد ناهد.. قالوا إنه تاجر مخدرات كبير.. المعلومه أتى بها العم وتأكد منها الخال وارتعدت لها العمة!.. ما الغريب فهو ما قاله ورده بعض أصدقاء العدالة الذين يشغلون مواقع مهمة فى الصفوف الأولى من

المجتمع .. لقد اجمعوا أيضا على أن والد ناهد من كبار تجار المخدرات فى مصر!

وخرج فؤاد عن أعصابه الحديدية.. ووقاره المشهود له به.. وصوته الخفيض.. وصاح فى عمه وخاله صارخا:

- أعطونى دليلا واحدا على أن والد ناهد تاجر مخدرات!

قال العم «أرجع إلى ملفات المحاكم.. له قضية شهيرة عام ١٩٨٥ ألم أقل لك ذلك مرارا؟!»..

يتحكم فؤاد فى أعصابه، ويضغط على شفتيه باسنانه ثم يجيب على عمه قائلا: «نعم كانت له قضية .. لكنه حصل على البراءة.. حتى عندما طعنت النيابة فى الحكم.. تأكدت البراءة للمرة الثانية.. فهل يؤخذ إنسان بإتهام ثبتت براءته منه مرتين أمام أعلى المحاكم؟!» يتنهد خال فؤاد ثم يحاور ابن شقيقته الذى بدأ يتجرأ على الحديث والرد فى ندية.. قال الخال: كانت براءة لعيب فى إجراءات القضية.. والكل يعلم ذلك!

- يا ابنى.. لقد تعلم من تجربته الوحيدة أمام المحاكم.. وسد كل الثغرات على نفسه.. واعترف أنه ماهر فى التخفى عن أعين العدالة.. لكنه رجل يعد مشبوها والدليل أن المدعى العام الاشتراكى طلب وضع أمواله تحت الحراسة!

- ياخالى لقد استرد امواله وأنت خير العارفين بذلك.. لقد كسب القضية وعادت اليه كل ثروته.. فهل تكونوا قضاة أكثر من القضاة أنفسهم!

- أسمع يا فؤاد.. ليس عندنا كلام جديد.. اذهب أنت إلى هذا الرجل وأطلب يد ابنته.. لكن كما اعطيناك حرية الاختيار فإن لنا حرية القرار.. سوف نسقطك من حساباتنا وننسى أنك قريب لنا!

أزمة قلب!

عاد فؤاد إلى شقته المفروشة التى يقيم فيها منذ اختلف مع عائلته وراح يفكر بعمق فى تحديد موقفه من الأزمة.. إما ناهد أو أسرته.. كان عليه الاختيار الصعب.. قلبه يرفض كل التحالف المشبوه من أسرته ضد ابنه تاجر المخدرات المزعوم.. وعقله يراجعه ويوقظ فيه ضميره نحو الذين قاموا بتربيته بأفضل وسائل التربية.. وعلموه فى أرقى

المدارس الخاصة.. وانفقوا عليه بسخاء.. ودللوه كما لو كان ابنا وحيدا لكل أقاربه.. لقد وقفوا إلى جانبه وساندوه حتى تخرج فى الجامعة بتقدير ممتاز.. وساندوه وتوسطو له مرة أخرى بعد التخرج حتى أصبح مديرا للشئون القانونية بأحد الفنادق الكبرى المطلة على النيل.. واليوم عليه أن يتخذ قراره ويختار بينهم جميعا.وبين ناهد التى لم يدق قلبه إلا لها.. ولم يشعر بالسعادة إلا معها.. ولم يكتشف ذاته إلا بها !

استلقى على فراشه يسترجع ذكرياته هنا وهناك.. وذكرياته مع الأهل الذين لم يتخلوا عنه طفلا يتيما.ومع ناهد التى رفضت كل العرسان الأثرياء من أجله.. ولم تتبهر بأصحاب المناصب المرموقة حتى تبقى له وحده.. بل تحدث والدها المليونير الكبير حينما رشح لها أحد نجوم السينما الشبان للزواج منه فوقفت تعلن أنها لن ترضى إلا بفؤاد!

كان عليه أن يعلن تضحيته بأحد الطرفين.. أهله أو حبيبته.. فكر طويلا.. راجع نفسه.. أعاد حساباته.. درس حجم خسائره حينما يضحى بأقاربه الذين خرج بهم من الدنيا.. أو يضحى بناهد التى صارت فى عينيه وقلبه هى كل الدنيا!.. واختار فؤاد ناهد!.. لم يتردد فى قراره الأخير.. كان واثقا من أن أزمته مع عائلته قد تجد حلا ذات يوم.. أما أزمة حبه فلن تحل أبدا مدى الدهر.. أهله لن يضيعوا منه غدا إن هم ضاعوا اليوم.. أما ناهد فلن تترك له سوى الجراح أن طارت من بين يديه الأن!

.. وذهب وحده يطلب يدها!

.. إلا هو!

ويبدو أن أزمة الحب كانت تستعصى على الحل!

طلب أبوها مهلة.. أنصرف فؤاد يضرب كفا بكف.. لم يتفاءل من مقابلة والد ناهد.. ملامحة كانت جافة.. وكلماته فاترة.. ونظراته لا تحمل الاطمئنان.. حتى الموعد الذى حدده للمقابلة الثانية لم يكن واضحا ولا محددا ولاقريبا.. كل الذى قاله والد ناهد: أترك تليفوناتك.. وسوف أتصل بك!

فى اليوم التالى أتصل فؤاد بناهد تليفونيا.. أخبرها بما جرى فى لقائه مع والدها.. وكيف حاصره بالأسئلة السخيفة وكيف كان بعضها مستفزا.. لقد سأله أين شاهد

ناهد؟! وهل تحدث اليها من قبل؟! ولماذا اختارها من بين كل فتيات مصر؟!.. ولماذا يبدو واثقا من موافقتها؟!.. وراح فؤاد يستعرض تفاصيل اللقاء لحظة بلحظة فى حديثه التليفونى مع ناهد.. لكن ناهد ظلت تطمئنه وتهدىء انفعالاته وتخفف ثورته.. بل راحت تؤكد له أنها لن تكون زوجه إلا له حتى لو كان عمرها هو الثمن.. واخفت الحسناء الشابه عن فؤاد أن والدها حاول معها بكل الطرق بعد مقابلتة لفؤاد اقناعها بقبول أى عريس من طرفه أو من بين معارفه أو الذين يثق بهم وفى قدرتهم على اسعادها.. لكن ناهد ظلت تصر على فؤاد.. حتى قام الأب من جلسته يائسا!

بعد أيام التقت ناهد وفؤاد خلسة.. طال اللقاء وتشعب الحديث بحثا عن حل يحمى كلاهما من الحرمان أو الإبتعاد أو الفراق.. وضعا كل أوراقهما على المائدة.. بحثا كل البدائل والاقتراحات بعد أن وضح لهما أن الطريق إلى الزواج ملأه الأهل فى العائلتين بالعوائق والحواجز والمتاريس.. أخفى فؤاد مارردده أهله عن والد ناهد خوفا على مشاعرها.. واخفت ناهد عن فؤاد رأى والدها فيه حينما وصفه بأنه رجل «مايع» !.. وفجأة.. قالت ناهد : «لنهرب معا.. أنا أمتلك وحدى نصف مليون جنيه استطيع أن أتصرف فيها ببيع شقتين فقط من برج السكن الفخم المطل على شاطىء البحر بالأسكندرية.. ودون أن يعلم بابا أو رجاله.. وقال فؤاد فى حماس: وأنا أمتلك مئتى ألف جنيه ومرتب شهرى لايحلم به أى موظف فى مصر!.. تدبرا الفكرة جيدا.. اتفقا على أن يتزوجا أولا.. ثم أن يشتريا شقة فى إحدى ضواحى القاهرة بمائتى ألف جنيه.. ويؤثثاها بالمائة وخمسين الأخرى.. ثم يطيران إلى إحدى العواصم الأوروبية لقضاء شهر العسل!.. وحينما سألها فؤاد فى ارتباك: وهل يتركنا أبوك فى حالنا؟!

ردت ناهد: سيجد نفسه أمام الأمر الواقع.. أنا ابنته الوحيدة ولن يتجاوز غضبه أكثر من الحرب الباردة.. لاتقلق يا فؤاد!

خلال أسابيع قليلة نجحت خطتهما بعد أن التزما الحذر والحرص والسرية فى تطبيق بنودها.. عقدا قرانهما ذات ليلة بإحدى المحافظات.. وباعت ناهد الشقتين.. وسحب فؤاد المبلغ من البنك.. ثم اشتريا شقتهما الجديدة التى أطلقا عليها اسم موطن الحب.. وبعد تاثيثها أنطلقا معا إلى فرنسا حيث يعيش صديق عمر فؤاد ويعمل هناك!

وما أعظم الحب حينما يصنعه الإنسان ويحارب من أجله ويتحدى الدنيا كلها من أجله.. تحول شهر العسل إلى شهور من النعيم الذى جعل ناهد وفؤاد يشعران بانهما يحلقان فى الفضاء لايعيشان فوق سطح الأرض.. شهدت مدينة النور والعطور أجمل فصول الحب الكبير حينما بدأت أحشاء ناهد تعلن عن حركة مولود.. وأصر صديق فؤاد على أن تمتد الزيارة والضيافة.. وكانت المفاجأة حينما وافق فؤاد على عقد العمل المغرى الذى توسط فيه صديق للعمل بإحدى أكبر الفنادق الباريسية.. طارت ناهد من الفرحة بعد أن تسلم فؤاد عمله الجديد وحصل لها على شقتهما المستقلة.. بل لم تمضى شهور حتى اتسعت شقة العريسين لاستقبال مولودهما الأول.. وكادا أن ينسيا القاهرة!

المفاجأة الكبرى!

ثلاث سنوات مضت كثلاث ساعات على ناهد وفؤاد فى باريس.. بعدها شعرت ناهد بوحشة إلى أبيها الذى لم ير حفيده الوحيد.. استأذنت فؤاد فى الاتصال بوالدها ليزورهما فى احتفالات نهاية العام.. لم يتردد فؤاد.. اتصل بوالد ناهد واستسمحه وطلب غفرانه.. بكى الأب وهو يسأل عن ابنته.. وابتهج صوته وهو يتحدث عن حفيده بعد أن علم بخبر وصوله.. وفشلت كل محاولات فؤاد وناهد فى دعوة الأب لزيارة باريس.. أصر الأب على أن يحتفل بهما وبحفيده فى القاهرة.. اقسم أن يفاجئهما بحفل اسطورى يظل حديث المجتمع لسنوات مقبلة.. وافق فؤاد وناهد وبدأ كلاهما يستعد لزيارة الوطن بعد عشرة أيام!

مضت الأيام العشرة بسرعة البرق.. ووصل الحفيد بين أبويه إلى القاهرة.. سيارة فارهة كانت فى انتظارهم أمام مطار القاهرة الدولى.. لحظات وانطلقت السيارة وسط موكب حافل من السيارات المرسيدس آخر موديل..انطلقت الزغاريد طوال الطريق فى فرحة صاخبة حتى باب فيلا والد ناهد التى هرولت إلى الطابق الثانى حيث يقيم والدها.. لكن ناهد فوجئت هى وزوجها بأن والدها فى اجتماع مع اثنين من كبار رجال الأعمال.. رفضت ناهد الانتظار.. اخذت زوجها من يده وحملت حفيدها على ذراعيها واقتحما الاجتماع الذى طال عن موعد نهايته.. ارتبك الأب لحظة لكن سرعان ما اندفع إلى احضان ابنته.. حمل صغيره ودمعت عيناه.. وأخيرا تذكر فؤاد فصافحه بحرارة..

هنا وقف رجلا الأعمال واستأذنا فى الانصراف على وعد بحضور الحفل الاسطورى فى الليلة المقبلة.. لكن فجأة تداهم الشرطة المكان.. وتلقى القبض على والد ناهد ورجلى الأعمال ومعهم فؤاد وزوجته!.. إذن النيابة كان يسمح بتفتيش المكان والقبض على كل من يتواجد فيه.. وها هى حقيبة المخدرات الكبيرة أسفل مكتب الأب.. وثمن الصفقة فى الحقيبة الأخرى والتى يحملها رجلى الأعمال المزيفين!

يحال الجميع إلى النيابة.. ومنها إلى السجن ومحكمة الجنايات.. شريط من الذكريات المريرة يمرق أمام عينى فؤاد وهو يتذكر عمه وخاله وعمته وتحذيراتهم لهم.. لكنه كان واثقا من براءة ناهد ثقته فى براءتها.. بكى الزوجان الشابان حتى تورمت عيونهما.. وصرخ الحفيد حتى بح صوته.. وتوليت الدفاع عنهما بعد أن وضعت يدى على بعض الكلمات التى تحملها الشرائط المسجلة لحوارات الأب التليفونية مع تاجرى المخدرات الكبار اللذين وصفا نفسيهما فى تعاملاتهما برجلى الأعمال.. وكلمات أخرى تحملها الشرائط التى سجلتها المباحث الجنائية لمكالمات الأب فى مكالمته مع ناهد وفؤاد بباريس.. كان واضحا من كلام الأب ان ابنته وزوجها لا يعلمان شيئا عن نشاطه.. وأنه كان يخطط لتسليم صفقته ليلة الحفل.. لولا بعض الظروف الطارئة التى دفعت إلى تقديم الموعد ليوم واحد.

كان رجال المباحث فى قمة فرحتهم بسقوط تاجر المخدرات الكبير وشريكيه.. لكنهم شهدوا أمام المحكمة بأن ناهد وفؤاد لم يكن لهما دور بارز فى العلم بصفقة المخدرات!

وكانت المعجزة التى لم يصدقها فؤاد وناهد.. حكمت المحكمة ببراءتهما عملا بمبدأ أن الشك يفسر لصالح المتهم.. لكنهما خرجا من باب السجن إلى باب المطار مباشرة!.

العناق الأخير!



.. ولم يعرف سر خيانة الزوجة سوى الخادم الذى لفقت له تهمة سريعة وشغلته بالدفاع عن نفسه!

كان فوزى يعيش فى قريته الصغيرة على حب الناس يساند الفقر والمظلوم لا يعرف الحقد، يحبه الناس ويحترمونه فى آن واحد رغم صغر سنه وحينما جاء حفل زفافه كان بمثابة مظاهرة استفتاء ضخمة لم يجتمع عليها كل أفراد العائلات المتخاصمة من قبل لهذا لم يتردد كبير القرية فى تزويج ابنته من فوزى فور أن طلب يدها والارتباط بها والحياة معها على سنة الله ورسوله، لم يثقل كبير القرية على فوزى بالطلبات والأعباء مثلما فعل مع ازواج بناته الكبار، بل وقف إلى جانب فوزى يعفيه من التزام ويقاسمه التزاما آخر كان كبير البلد يردد أمام الناس انه اشترى رجلا وكان الناس يهمسون فى احاديثهم تعليقا على ما قاله كبير بلدتهم معه حق فوزى لا يقدر بمال، وتم زفاف العروسين فى ليلة لا تنساها القرية وتمضى الأيام.

بعد ثلاث سنوات فقط من زواج فوزى يستيقظ من نومه يحاول أن يستريح اندهشت زوجته محاسن فاليوم يوم اجازته ولم يفعلها أن يستيقظ مبكرا بهذا الحماس من قبل إلا فى المناسبات القهرية سألته بما يدور فى خاطره ورد عليها بسؤال من الواجب أن أزور خالك محمد فى المستشفى ولا إيه رأيك.

فكرت لحظة وردت فى حياء طول عمرك صاحب واجب يا فوزى أنا كنت ناسية خالص انك مازرتش خالى محمد.

كان اعجابها بزوجها فوزى قد تجاوز كل الحدود فأحبته بجنون واحترمت طباعه والواجبات التى يؤديها تجاه من يستحق ومن لا يستحق وبينما هى شاردة قطع فوزى صمتها بسؤال ما تيجى معايا يا محاسن.

وأكدت محاسن أنها كانت تتمنى زيارة خالها لولا أن ابنها صفوت يعانى من ارتفاع درجة حرارته وأصابته نوبة اسهال ليلة الأمس ويرتدى فوزى جلبابه الصوفى ويلف الكوفية حول رقبته والطاقية فوق رأسه ثم يخرج إلى احد مستشفيات القاهرة السفر طويل ومرهق لكن فوزى احتمله حتى ينجز مهمته ويعود لزوجته سريعا كما وعدها وقف أمام باب المستشفى يسأل والموظفون يردون على ممنوع الزيارة إلا الساعة عشرة الآن ممنوع، نظر إلى ساعته صاح فى ضيق ياه ده لسة باقى ساعة كاملة اتجه إلى المقهى المجاور فوجىء برجل يقترب منه ويهمس إليه طالبا أن يحتفظ فوزى ينتابه من حقيبة كبيرة وضعها الرجل إلى جوار فوزى.

لوسمحت تخلى بالك من الشنطة حتى اشترى علبة سجائر من الكشك، كان الرجل يبدو مرهقاً من حمل الحقيبة كما فهم فوزى ذلك، بادره بشهامة أهل الريف قائلا عينى يا عمى اختفى الرجل، وبعد لحظات وبينما فوزى يرتشف أول رشفة من الشاى ظهر رجال أشداء قدموا أنفسهم لعم فوزى.

احنا مباحث الادارة العامة للمخدرات اسقط فى يد الرجل رد بتلقائية يا أهلا يا أهلا اتفضلوا امسك الضابط بالحقيبة فتحوها أمام فوزى تناثرت منها المخدرات كمية هائلة ورائحة فواحة لكن يرد بثقة وهدوء دون أن يتوقع ما تخبئة له اللحظات المقبلة صاحبها جاى دلوقت أصله بيجيب سجائر.

ألقوا القبض على فوزى صرخ بأعلى صوته مؤكدا أنه لا يعرف شيئا عن الحقيبة لكن صرخته ضاعت مع الريح لأن المتهمين كلهم يرددون الجملة نفسها عند القبض عليهم أخيرا بكى بشدة ايقن أنه تورط فى قضية كبيرة وأنه صار متهما أمام محكمة الجنايات وهو الذى لم يدخل قسم شرطة من قبل.لم يجد من يدافع عنه كان ذلك فى النصف الأخير من الستينات وقضت المحكمة عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ضاع كل شىء فى لحظة واحدة غلطة عمر استغلها مجرم دنىء اطاح بسعادة رجل طيب القلب.

دخل فوزى السجن ومضت السنوات الخمس الأولى كالدهر ماتت أمه بعد عامين وماتت زوجته فى العام الخامس وانتقل صفوت إلى كفالةعمته فى القاهرة ولم تحمل سنوات السجن التالية إلا كل الأخبار التى تؤكد له أنه صار مقطوعا من شجرةلم يبق له

فى الدنيا كلها سوى ابنه صفوت الذى اخفت عنه العمة أن والده سجين لكن فى العام الخامس عشر وبينما كانت العمة تحتضر نادت على صفوت وصارحته بالسر الخطير، أبوك فى السجن احنا واثقين من براءته لكن التهمة لابساه يا ابنى ويسألها صفوت فى تبرم تهمة إيه يا عمى وترد العمة رغما عن ارادتها مخدرات يا حبيبى.

يكفهر وجه الابن يشيع جنازة عمته ثم يعود إلى بيته فتنهمر دموعه على العار الذى سيفجره عن طريق والده ذات يوم لقد أوشك على التخرج من كلية الطب صار بين قوسين أو أدنى من لقب دكتور مما سيمهد له الطريق ليطلب يد حبيبته نانى من والدها الموظف الكبير هاجمته أسئلة حائرة بلا جواب ماذا يفعل لو علمت أسرة نانى بأن والده سجين فى قضية مخدرات ماذا يفعل أمام زملائه واساتذته تجمدت عواطف صفوت نسى أن يفكر فى أبيه وهو يقضى سنوات شبابه خلف الأسوار العالية نسى ما حكته له عمته من أن أباه كان لا ينام إلا وصفوت بين احضانه ولا يأكل طعاما قبل أن يتذوقه ابنه الوحيد نسى أن يبحث فى أمر أبيه فقد يكون مظلوما ومقهورا ويحتاج إلى من يعطف عليه فى ازمته.

نسى أباه الذى لا يتذكر حتى ملامح وجهه ولم يعد فى قلبه إلا نانى ولم يعد يفكر إلا فى وسيلة اخفاء هذا السر عنها مدى الحياة لكن تأتى الأيام بما لا تشتهى السفن.

ذات يوم وبينما كان صفوت يطلب من ممرض عيادته الخاصة ادخال المريض الذى حل على الدور وجد نفسه أمام رجل رث الثياب منزوع الاسنان ملىء بالتجاعيد ووجهه غارق فى الدموع يتكلم وكأنه يحتضر.

أنا اسمى فوزى المنفادى يا ابنى أنا كان نفسى أشوفك من زمان زمان قوى لكن الحمد لله انى شفتك قبل ما أموت ما هو أنت برضه ضناى ونور عينى أنا أبوك يا صفوت.ارتجف فوزى وارتعد، الذى صعقته المفاجأة واخرست لسانه لحظات إلا أنه عاد وتماسك وداس على قلبه بقسوة لم يمد يده لمصافحة والده لم يرحم شيخوخته الواضحة وجسده الهزيل ولوعة الشوق الحارق فى قلب أب لم يعدله من الدنيا سوى ابنه الوحيد.

سأل أباه فى جفاء وقسوة وماذا تريد؟ اريد مكان يأوينى ليس من المهم الأكل ولا الشرب المهم المكان الذى يسترنى

أنا كنت طالب فراشا من بكرة ممكن تبقى فراش العيادة وتبقى تنام فيها بس عندى شرط مهم .. أمر يا ابنى ماحدش يعرف السر اللى بينى وبينك مش عاوزك تهدم مستقبلى.. ده يبقى آخر يوم فى عمرى يا ضناى أنا كلى فداك وسرك هو سرى ما تخافش يا دكتور.

ظن فوزى ان ابنه سوف يعود إلى رشده ويحسن معاملته حينمايكونان منفردين على الأقل توهم أن المفاجأة التى ألجمت ابنه وافقدته حسن التصرف لكن الأيام كشفت للأب مالم يخطر له ببال ظل ابنه يعامله فى حدود صاحب المكان والفراش الفارق الوحيد ان الابن كان يغدق على الفراش ماديا لكن عم فوزى لم يكن بحاجة لشىء فى الدنيا أكثر من كلمة حنان تجرى على شفتى ابنه وهو يخاطبه لم يرد عم فوزى يوما فى السجن أشد قسوة من أيامه مع ابنه يقف أمامه عاجزا عن إلقاء نفسه بين احضانه لا يجرؤ على محادثة زوجة ابنه واحفاده فالكل يتعاملن معه كفراش لا أكثر.

مع الوقت ازدادت ثقة الزوجة بفراش زوجها طلبت نقله إلى البيت بدلا من الخادم الذى طردته قبل أيام، وافق زوجها على الفور فلم يكن يملك أن يرفض لها طلبا، اعاد الدكتور تحذيراته على عم فوزى ورد يطمئن ابنه على أنه لن يكون أبدا عقبة فى طريقه.

مضى عام كان عم فوزى سعيد بوجوده مع ابنه الوحيد وأسرته ليس مهما صفته كخادم فحتى لو كانوا يتعاملون معه كرجل محترم فقد كان سيعاملهم كخادم لهم، فزوجة مثل ابنته واحفاده هم أولاده وكبير العائلة خادم للجميع منطق استراح له عم فوزى لكن الشىء الوحيد الذى ظل ينغص حياته هو شكوكه المريبة فى سلوك زوجة ابنه ولأن الأيام علمته بقسوة لم يكن عم فوزى يفترض حسن النية أبدا منذ اتهامه ظلما فى قضية دمرت حياته راقب زوجة ابنه بعد أن تمادى فى التمثيل عليها بأنه لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم ضبطها ذات نهار متلبسة بالزنا عاد إلى حجرته فى بدرون الفيللا يبكى كالأطفال المقهورين أحست زوجة صفوت بأن خادمها شعر بشىء لم تتوقع أبدا أن الرجل سوف يكتم السر الرهيب ويبتلعه حتى لا يدمر حياة ابنه، سارعت هى تلفق الاتهامات لخادمها حتى اقنعت صفوت بأن خادمها قد راودها عن نفسها طار صواب الطبيب الشاب طرد عم فوزى شر طردة ألقى به على رصيف الفيللا فى عز الشتاء ووسط هطول الأمطار

وعم فوزى يرفض الحديث تشتت الأب العجوز حاول أن يتسول فأغشى عليه ذات ليلة حمله الناس إلى أقرب مستشفى اكتشفوا مرضه حجزته المستشفى لخطورة حالته ثم طالبته بعد شهر من نزوله بها بفاتورة الحساب ويجد الأب الحزين نفسه فى مأزق فهو غير قادر على سداد الفاتورة أو الخروج من المستشفى بلا دواء ولا نقود ولا مأوى واقمنا له دعوى نفقة على ابنه الذى فشلت كل الوساطات لحل أزمات ابيه كان صفوت واثقا من ان الخادم الذى لا تعرف زوجته انه أبوه حاول أن يغتصب زوجته بالفعل.

وأمام المحكمة قدمنا كل ما يثبت أبوة عم فوزى للطبيب الشاب ومدى ما يتكسبه الابن من دخل شهرى يحسد عليه ولكنه رفض الانفاق على ابيه الذى طردته المستشفى واشفق عليه الناس باستضافته فى حجرة بواب عمارتهم.

وحضر صفوت يوم جلسة الحكم وتعهد أمام المحكمة بإصلاح كل اخطائه مع أبيه وطلب مهلة يثبت خلالها حسن نواياه، كانت المفاجأة مدهشة لى وللجميع وسألنا الطبيب الشاب لماذا لم يسارع بهذه الخطوة منذ خرج ابيه من السجن جاء اجابة صفوت لتخرس ألسنتنا جميعا، قال لقدانتقم لى الله اكتشفت خيانتها بنفسى وعرفت أنها طردت الخادم الأول، لأن الشكوك بدأت تتتابه نحوها وأدركت انها لفقت التهمة لوالدى طلقتها بالثلاثة والآن أريد أن أصالح أبى الذى جعلنى أكره نفسى كل الفترة الماضية لأنى حرمته من لحظة كانت ترد له اعتباره أمام نفسه خير البر عاجله قالها احد الواقفين وبعدها انطلقنا جميعا ومعنا الطبيب صفوت إلى بيت عم فوزى فى مهمة انسانية شجعتنا على أن نتفرغ لها لكننا لم نجد عم فوزى إلا جثة هامدة قال الجيران انهم وجدوه ميتا فى الصباح حيث كان يبيت فى حجرة البواب واندفع صفوت كالمجنون يعانق جثة أبيه لكن لم يعد للعناق معنى.

ليلة في شقة شوشو



.. ظل حازم أسفل العمارة حتى الثانية وخمس دقائق صباحا .. وبالفعل شاهد مدير الملهى وهو يخرج من بوابة البرج السنى بعد أن قضى ليلة فى شقة شوشو!

هل يمكن أن يعيش الوفاء والغدر تحت سقف واحد؟!

السؤال كان صريحاً وواضحا ومحددا، وجهته شقيقة حازم إلى أخيها حينما كادت أعصابها تفلت وهى تحدث حازم للمرة الأخيرة فى سيرة العروس التى اختارها لنفسه!

طال النقاش بلا فائدة.. عواطف ترى أن أخاها حازم يلف حبل المشنقة حول رقبته بالزواج من شوشو.. بل وصفت زواجه منها بكل سخرية قائلة إنه «انتحار رومانسى»! وتمادت فى موقفها من العروس مؤكدة أن الغدر يسكن عينيها.. والخيانة تجرى فى دمها..! وهنا ثار حازم.. اعتبر موقف اخته لا ينبع من النصيحة بقدر ما ينبع من الكراهية لشوشو والرغبة فى أن يظل حازم أعزب مثلها!.. بكت عواطف دون أن تعلق وخرج حازم غاضبا.. لكنه اقسم أن يتزوج شوشو خلال أيام!

جلس على احد المقاهى يتأمل موقف اخته.. تذكر يوم عارضت زواجه من فاتن لأنها سمراء.. ومن فريدة لأنها نحيفة.. مبررات واهية تخفى خلفها رغبة فى ألا يتزوج حازم أبدا.. كان حازم واثقا من أن عواطف تحبه.. لكن الحب المريض الذى يؤذى أكثر مما يفيد.. هذه المرة يستسلم حازم لعواطفه.. فى الماضى كان يضحى بأى شىء حتى لا يثير غضب عواطف أو يجرح كرامتها.. وها هو اليوم قرر أن تكون شوشو زوجة له على سنة الله ورسوله وسيكون لزفاف ليلة الجمعة المقبلة.. أما عواطف فلابد أن ترجع لصوابها يوما ما.. لابد أن تقدم غرام أخيها بشوشو.. خاصة بعد أن يتم الزواج وتصبح عمة لأطفاله.. استراح ضمير حازم وراح يغلق ملف أخته ويطلق العنان لأفكاره عن شوشو.

كان يشعر أن زملاءه قد لا تحريهم هذه الزيجة.. وخاصة الأصدقاء المقربين أمثال طلعت وأشرف.. لقد أعلنوا موقفهم من قبل.. وكانوا جميعا مع رأى عواطف.. إلا أن حازم كان يدرك الأبعاد التى بنى عليها اصدقاؤه وزملاؤه رأيهم فى شوشو.. بعضهم يحقد، وبعضهم يغار من أن تكون أسطورة الجمال كما أطلق عليها حازم ليست من نصيب أحد غيره وحده.. والبعض الثالث يؤمن بتعميم الاحكام.. ولا يرى أمام عينيه إلا اللون الأبيض الشفاف أو الأسود القاتم.. فكل أمرأة لها علاقة بالفن من وجهة نظرهم يأبى الرجل الشرقى أن يفكر فى الزواج منها.. شوشو تجمع بين كل ألوان الفن فهى استعراضية وتغنى وتشارك فى الإعلانات وتحرص على العمل فى الملاهى الليلية!

وقف حازم مذعورا!

كره الناس ونصائحهم.. فالكل ضده.. لا أحد يؤمن بأن لكل قاعدة استثناء.. وأن الحب قادر على صنع المعجزات.. وأن شوشو هى قضيته الخاصة.. وليست قضية مخلوق سواه.. لهذا عاد حازم وجلس بعد أن لمعت عيناه ببريق حادوهو يتخذ قرارا جديدا بمقاطعة كل من يعارضه أو يقف ضد سعادته مع أول حب حقيقى يهز كيانه.. ويعصف بقلبه.. ويهشم المنظار الأسود الذى كان يرى به الحياة طوال عمره!.. استراح لقراره الثانى.. جلس لحظات ثم اتجه إلى بيته.. تسلل إلى حجرته كى لا تسمعه عواطف.. امسك بسماعة الهاتف وأدار القرص.. طلب شوشو ودق قلبه وهو يسمع صوتها يرد!

طالت المكالمة حتى تجاوزت الساعة.. حكى حازم لشوشو عن ضرورة اتمام زواجهما ليلة الجمعة المقبلة، وافقت شوشو بلا تردد.. بل راحت تلهب خيال حازم بالأمنيات التى أصبحت تداعب خواطرها كلما فكرت فى أنهما سيعيشان تحت سقف واحد.. اغلق الخط وراح يتذكر قصة أول لقاء جمع بينهما.. كان يجلس على مكتبه كعادته منكبا على الأوراق غارقا فى الملفات.. والتوقيعات.. كان موظفا يحترمه الجميع ويقدره.. ويشيد بأخلاقه وسمعته.. فى هذا اليوم لمحه زملاءه وهو يهب مذعورا لاستقبال أحد المترددات على مكتبه للحصول على الخاتم الرسمى للمصلحة الحكومية وتوقيعه بصفته رئيس المكتب على الرغم من أن عمره لم يتجاوز الخامسة والثلاثين.. ظن الجميع أنها ليست سوى قريبة لحازم فهو لا يتعامل مع النساء المترددات على المكتب إلا وهو منكس الرأس..

ينهى مصالحهن قبل الرجال.. يردد دائما أن المرأة هى أكبر شبهة لموظف الحكومة!

انصت الزملاء وارهفوا السمع لما يدور بينها وبين حازم.. ايقنوا جميعا أنها ليست قريبته.. كان واضحا أن حازم وقع أسيرا لها.. كأنهم يرون شخصا آخر غيره.. وبالفعل اعترف لهم حازم بأنه تحول إلى شخصاً آخر بعد أول لقاء.. كانت تشبه أول حب دق له قلبه وهو مراهق.. سناء جارته.. قتلها القطار وهى تعبر القضبان بعد خمسة أشهر من تعارفهما.. وها هى تعود فى شخص امرأة أخرى.. وما أن رآها حازم حتى أصابه الذهول وظن نفسه يحلم.. لكن سرعان ما ادرك أنه الواقع.. وأن تلك التى استثناها من الطابور والزحام ودعاها للجلوس إلى جانبه ليست سوى نسخة مطابقة للمرحومة سناء فى الشكل والقوام وحتى نبرات الصوت.

لم يكد اللقاء الأول ينتهى حتى كانت شوشو قد منحت حازم رقم هاتفها.. هى الأخرى وجدت فيه ضالتها.. رجال كثيرون فى حياتها.. لكن رجلا واحدا احبته.. وشاء حظها أن يدخل السجن حينما طعن زميله الجامعى بمطواه اخرجت احشاءه.. منذ هذا الوقت تجمد قلبها.. وخاصة بعد أن عرفت سر المشاجرة بين حبيبها وزميله.. كانا يتنافسان على فتاة أخرى! وها هى فى اللقاء الأول تكتشف بخبرتها أن كل رايات الاستسلام مرفوعة فى عينى حازم.. الموظف الكبير الذى تتمناه أية امرأة.

تكرر اللقاء.. وصارح كل منهما الآخر بحبه..

كانت شوشو صريحة منذ البداية.. قالت لحازم:

- لست المرأة التى تستحق الزواج منك. انت رجل رومانسى.. مسئولياتك كثيرة.. ووجودى زوجة لك قد يسبب لك احراجا.. أنا لا أعمل فى الإعلانات فقط كما اخبرتك من قبل.. أنا أقدم فقرات استعراضية فى الملاهى الليلية.. لم يكن فى حياتى أى رجل غير جارى الجامعى الذى دخل السجن بعد أن نال حكم المؤبد.. كنت وقتها فى دبلوم التجارة.. صدمنى جارى مرتين: بدخوله السجن مدى الحياة وبخيانته لى بتفكيره فى زميلة له.. فقدت اعصابى.. رسبت فى الدبلوم مرتين ثم هجرت الدراسة كلها مع أول عرض تلقيته لتمثيل الإعلانات.. وسرعان ما جاء لى عرض آخر للعمل فى النوادى.

ترددت فى البداية.. لكن المقابل المادى كان مغريا خاصة بعد أن هربت من بيت أمى.. كان زوجها يسومنى كل ألوان العذاب منذ طفولتى.. الحياة كلها كانت ضدى! لكن حتى الملاهى لم تقدم لى الحل الشافى.. تزوجت مدير احد الملاهى عرفيا.. وبعد خمسة أشهر تم الطلاق.. أصابتنى عقدة من الرجال.. هذا الزوج الوفى طلقنى خوفا من زوجته.. دارت بى الدنيا.. تفرغت لأى نوع من أنواع الفنون التى اجيدها حتى اكسب المال.. اعتقدت أن المال سوف يعوضنى عن خسارتى فى حياتى.. وبالفعل نجحت فى جمع ثروة لا بأس بها خلال تسع سنوات.. الان عندى شقة تمليك وسيارة ونفقاتى اليومية اكسبها من عملى.. لقداحببتك بجنون يا حازم.. لكن صدقنى لا أريد أن أخسرك بالزواج.

وقاطعها حازم فى حماس:

- أنا الآن أكثر اصرارا عليك من أى وقت، أنت إنسانة طيبة.. ولا ينقصك سوى رجل يحبك.. ويحميك.. ويرعاك.. فهل تقبلينى لهذه المهمة.؟!

دون تفكير اجابت شوشو فى دلال:

- لى شرط واحد.. اعتزل العمل واتفرغ لخدمتك.. وأجيب لك العيال!

- يبقى نتجوز حالا.. حرام لحظة واحدة تروح علينا!

كانت شوشو أكثر ثباتا من حازم بعد هذا اللقاء.. سألته عن الشقة فأخبرها بالمبلغ الذى يدخره.. ضحكت حتى قهقهت.. لكن سرعان ما اخفت سخريتها.. ثم همست:

- المبلغ ده يا دوب يجيب شقة فى مساكن الغلابة.. شوف يا حبيبى احنا حنسكن فى شقتى.. والمبلغ ده اهو يساعدنا فى الحياة.. ماهوانت يا حازم تشتغل فى عمل اضافى . تعمل أى حاجة بعد المبلغ ما يخلص.. أنا مصاريفى كثيرة ومرتبك يعنى.. مش كفاية!

تهلل وجه حازم.. وعدها أن يعمل ورديتين آخرتين حتى يلبى كل طلباتها.. وطارت شوشو من الفرحة وهى تستقبل عريسها ليتجها معا إلى المأذون.. تزوجا.. وأدرك حازم أن الحياة بعد الزواج شىء آخر.

مشكلتان لم يجد لهما حازم حلا بعد الزواج!

مضى عام.. ولم تنجب شوشو.. ولم تقطع مكالمات اصدقائهما القدامى.. كان حازم يتمنى طفلا يشعره بالأبوة لأول مرة.. وكان يتمنى أن تقطع شوشو كل صلة لها بالماضى.. لكن بدأت شوشو تضيق بغيرة حازم.. وحصار الأسئلة الذى يفرضه عليها بعد كل مكالمة هاتفية؟ بدأت ترفع صوتها فى النقاش! وتذكر حازم شقيقته.. لكنه احتمل وابتلع الاهانة.

وتوالت المفاجآت!

ألغت المصلحة نظام العمل الإضافى.. واسقط فى يد حازم.. أصبح يقضى نصف اليوم إلى جوار زوجته.. كان سعيدا بساعات الحب الإضافية.. لكن شوشو بدأت تعلن تمردها وعصيانها وتستعد للعودة إلى العمل.. رفض حازم.. احتد عليها فى النقاش.. اسرع إلى فستانها ومزقه.. ثارت شوشو.. عايرته بفقره لأول مرة.. بل سخرت من وظيفته الكبيرة التى لا تكفى لزوم الكوافير والبيديكير والمانيكير.. صرخت فى وجهه تطلب الطلاق.. صفعها بقسوة.. صاحت وسط جيرانها تصيب كبرياءه فى مقتل وهى تصرخ:

- لو كنت رجلا طلقنى.. أنا أحب رجلا آخر!

فقد حازم صوابه.. طلق شوشو وحمل حقيبته عائدا إلى بيت عواطف! دخل البيت منكس الرأس.. وجهه يتصبب عرقا.. ملامحه ذابلة.. وأنفاسه المتلاحقة تكاد تصيبه بالذعر من نفسه! لكن عواطف لم تؤنبه.. ولم تسخر منه.. أو تشمت فى مصيبته.. قابلته بحرارة.. احتوت اخاها فى حنان ثم اطلقت العبارة التاريخية: بكرة تتجوز ست ستها!

احتمى حازم فى اخته.. بكى على كتفها كالأطفال.. لحظات وأوى إلى فراشه.. نام حزينا.. ومع الصباح عاد حنينه إلى شوشو.. كره ضعفه حاول أن يشغل نفسه بعيداً عن سيرة شوشو.. لكن الغروب اعاده إلى حنين الذكرى.. سارعت عواطف تتلقفه.. سافرت به إلى بلدتهما فى الريف.. لكن حازم لم يحتمل أكثر من شهر واحد.. فى اليوم الواحد والثلاثين حمل حقائبه وأقسم على اخته بالعودة!

اتصل بشوشو فور وصوله للقاهرة.. اخبرها أنه سيقوم بزيارتها فى الحال.. رحبت شوشو.. شعر حازم بفرحتها.. انطلق إليها.. لكنها لم تفتح له باب الشقة.. البواب اكد له وجودها فلماذا لا تفتح؟! نزل إلى البواب يسأله من جديد.. وأكد البواب مرة أخرى ان الست موجودة ومعها مدير الملهى الذى كانت تعمل به! اسقط فى يد حازم..طار صوابه.. جف حلقه.. اصابته دوخة هوت به على جدار البوابة.. تماسك وتخيل شوشو فى هذا الوقت المتأخر مع هذا الرجل الذى يعرفه جيدا.. تأكدت شكوكه حينما أصرت ألا تفتح له باب الشقة.. ظل أسفل العمارة حتى الثانية صباحا.. أخيرا لمح مدير الملهى يتسلل من بوابة العمارة.. هرول حازم إلى الشقة.. جرى خلفه البواب.. وجد حازم الباب مفتوحا.. اقتحم الشقة وأغلق الباب خلفه.. لكن المفاجأة الكبرى كانت تنتظره فى الخارج والداخل معا.. البواب يطرق الباب.. وشوشو جثة هامدة فى الداخل.. سكين حاد يخترق صدرها.. ودماؤها تملأ سريرها.. وصيحات هستيرية يطلقها حازم!

الجيران طلبوا الشرطة وألقوا القبض على حازم.. صامتا طوال التحقيقات.. اصابته صدمة مقتل شوشو بالدهشة ليلا ونهارا.. لكنه أخيرا تكلم.. وأصر على استدعاء مدير الملهى.. جاء الرجل إلى التحقيقات.. وقرر وجوده فى شقة شوشو حتى الثانية صباحا.. لكنه انكر ما اكتشفه حازم فى الثانية وخمس دقائق.. وأصررنا على مضاهاة البصمات.. واستخدام كل الأدلة الجنائية والوسائل الفنية لانقاذ حازم.. خاصة وأن البديل هو الإعدام.. وشاء القدر أن يهدينا دليلا إضافيا.. سائق تاكسى كان يتابع تفاصيل القضية فى الصحف والمجلات المتخصصة شاهد صورة مدير الملهى الليلى.. انه الرجل نفسه الذى ركب معه من أمام عمارة القتيلة.. ولفت انتباهه أن الزبون كان منزعجا ومتوترا ويحاول اخفاء بقعة دم واضحة فى جانب قميصه الأيمن.. لقدنسى هذا الزبون حقيبته الصغيرة فى التاكسى وتحمل كل أوراقه! أسرع السائق وأدلى بشهادته وتمت المواجهة... بينه وبين مدير الملهى.. وقبل أن تتم المواجهة كانت المباحث قد تسلمت القميص الملوث بالدماء من صديق مدير الملهى الذى نام عنده تلك الليلة.

وكان أغرب تعليق سمعته فى لحظة النطق بالبراءة ما همس به حازم:

- ليت شوشو عاشت وحكموا ضدى بالمؤيد.

مليونير و٤ نساء



«.. ووقفت الزوجات الثلاث يساندن الزوجة الرابعة أمام المحكمة.. وكان واضحا أن ثورة الحريم لابد وأن تنتصر!»

المكان: بوابة محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة

الزمان: التاسعة صباحا

اتجهت الانظار فجأة نحو إحدى السيارات.توقفت السيارة أمام البوابة مباشرة.. اندهش الناس لأن مثل هذا النوع من السيارات الشبح» لا يزور هذه المنطقة أبدا.. سيارة سوداء مهيبة الشكل تبدو فى شياكة التطورات الحديثة.. نسى الموجودون فى المكان قضاياهم ومشكلاتهم وهمومهم واشرأبت أعناقهم لرؤية صاحب السيارة.. أو صاحبتها.. ولم تمض لحظات حتى هبطت امرأة أخذ جمالها بكل العيون.. كانت تحمل ملفا فى يدها.. تهامس البعض بأنها إحدى المحاميات.. واقسم آخرون بأنها واحدة من زبائن المحكمة.. فالحزن فى عينيها لا يحتاج إلى بيان.. وانضمت مجموعة أخرى إلى هذا الرأى وقال أحدهم: «نعم هى بالتحديد زوجة.. اقرؤا عينيها وافهموا نظراتها وتأملوا هذا الحزن الذى لا تختلف لغته من أخرى إلى امرأة.. انظروا إلى عيونها وإلى عيون «باتعة» بائعة الفاكهة التى تقف هناك.. النظرة الكسيرة ذاتها.. والعيون المهزومة.. الملامح المقهورة!

تحركت السيدة إلى داخل المحكمة وتحركت معها العيون.. كانت امرأة.. طويلة القامة.. واسعة العينين.. ذهبية الشعر.. واثقة الخطى.. البعض وصف سحرها واستغرق فى دهشته.. لكن السيدة لم تأبه بهذا أوذاك.. كانت تدرك انها تصيب الناس باللخبطة حينما تنزل بينهم من برجها الشاهق.. لكنها كانت واثقة أن الذنب ليس ذنبها.. فهى إنسانة رقيقة المشاعر حتى الضعف.. لا تعشق التباهى أو التفاخر أو التعالى على

الآخرين..

دخلت قاعة المحكمة قبل موعد الجلسة بلحظات.. لم تتأفف من المكان الذى لا يبدو متناسقا ولا جميلا ولا شاعريا بالمرة.. كل النساء فى القاعة حزينات.. أكثرهن يتشحن بالسواد.. والباقيات يجلسن باكيات.. أطفال فى ثياب رثة.. ورجال يحتمون فى محاميهم صاح الحاجب:

ـ محكمة

هز الصوت ارجاء القاعة.. دخل القضاة.. ووقف الحاضرون.. ثم تمضى لحظات من الصمت الذى لا يقطعه سوى صوت أوراق تتحرك فى الملفات فوق منصة القضاء تارة أو النيابة تارة أخرى.. ومن جديد يعلو صوت الحاجب ينادى على القضية الأولى.. وكانت المفاجأة حينما ادرك الحاضرون أن المرأة الانيقة هى صاحبة الدعوى بصفتها زوجة تطلب الطلاق.. تكلمت العيون مرة أخرى تتساءل من حول السيدة.. «أى رجل فى الكون يمكنه أن يترك لهذه الحسناء الرائعة فرصة الهروب من حياته؟!.. أى رجل هذا الذى ترك امرأة نادرة الجمال مثل إيناس هانم تطلب اطلاق سراحها من قلعته؟!

تقدمت إيناس من المنصة؟.. وقفت فى كبرياء اضفى على فتنتها بريقا جديدا.. خلعت نظارتها فانكشفت عيناها الساحرتين.. ثم استأذنت المحكمة فسمح لها القضاة بالكلام:

ـ صدقونى يا حضرات القضاة.. لقد تحاشيت الحضور إلى هذا المكان أثناء نظر قضيتى فى الدرجة الابتدائية.. لقد وكلت محاميا زميل يتولى قضيتى.. كانت ثقتى بلا حدود فى أن المحكمة سوف تستجيب لطلبى.. لكن زميلى تقاعس وأهمل حتى خسرت القضية.. لم أعد اثق فى مخلوق.. لم أعد اثق أن هناك من يمكن مقاومة زوجى إلا نفسى.. ومن حسن حظى أنى محامية!

وتستطرد إيناس قائلة:

ـ «اعترف أنى أعيش فى رغد.. ربما تفوق حياتى رفاهية الأميرات.. مال وجاه ونفوذ مستمد من علاقات زوجى.. نفوذ مادى يتمثل فى منصبه الكبير ونفوذ أدبى يظهر فى حب الناس لنا وتنافسهم على قضاء حوائجنا.. لكنى لم اعش فى هذا النعيم غير شهر

واحد.. ثلاثين يوما كانت كل مقومات السعادة مكتملة داخل هذا القصر الذى يتوسط أكبر شارع فى الحى الراقى الشهير الذى نسكنه.. ومع اليوم الواحد والثلاثين بدأت الدنيا تتغير رغم ثبات الديكور.. فالقصر هو القصر.. والمال لم ينقص بل يزيد.. الخدم والطباخون والنادى والكوافير والخياطة الشهيرة.. لاشىء تغير إلا أنا.. عرفت فجأة أنى الزوجه الرابعة فى حياته.. صدقونى النعيم احساس والسعادة شعور داخلى لاعلاقة لها بالقصور والثروة والمظاهر الخادعة.. كرهت نفسى وكرهته.. طاردته فى كل مكان بعد أن هرب من بيتى.. وكانت المفاجأة المذهلة التى حكتها لى زوجاته الثلاث السابقات.. أنا أكثرهن عمرا معه.. بينهن من تزوجها أسبوعا.. أو أسبوعين.. أو ثلاثة أيام!.. عرفت منهن أنه لا يتزوج إلا المرأة التى تستعصى على قدراته ولا تخضع لاغراءاته.وإنه كان يقول للمقربين منه أن أجمل نساءالكون يستخلص رحيقها فى أيام لاتزيد عن شهر فالرجل الغبى هو الذى يستغرق سنوات طويلة من عمره لاكتشاف امرأته.

النساء تعاطفن معها.. والرجال انجذبوا اليها.. أما هى فقد لمعت دموع فى عينيها أوشكت على السقوط وهى تستطرد قائلة:

– نعم طاردته حتى أمسكت به أمام بعض اصدقائه من كبار رجال الأعمال.. نعم أهنته حينما تجاهلنى وكأنه يعاملنى كجارية أمامهم.. قصصت عليهم حكاية هروبه منى عاما كاملا.. ووعدنى بأن يتفاهم معى بعد انصراف اصدقائه.. لكنه أنصرف معهم دون أن أعلم!.. وبعد عام أخر من المطاردات سمعت فيها حكاياته مع المنحرفات استطعت أن أواجهه حينما ضبطه متلبسا مع أحداهن.. فماذا فعل؟! صفعنى على وجهى أمامها وطردنى شر طرده.. بل طرد معى اثنين من الخدم شك فى أنهما يعملان جواسيس لى.. وذهبت بالخادمين إلى قسم الشرطة وحررنا محضرا بالواقعة.. وشاء القدر أن تتم المعاينة بسرعة البرق فيكتشف الضابط وجود صاحبته فى مكان الواقعة.. لكنه استطاع أن يفلت من القضية كالشعره من العجين!.. بعدها حرضت زوجاته السابقات جميعا على طلب الطلاق معى.. وكان مع كل واحدة منا مستندات الطلاق التى تنهى القضية من الجلسة الأولى.. وكنت أكثرهن قوة بالمستندات ربما لأن مهنتى التى اعتزلتها مع الزواج كانت المحاماه.. بالفعل قامت كل زوجة برفع قضية طلاق أمام محكمة مختلفة!

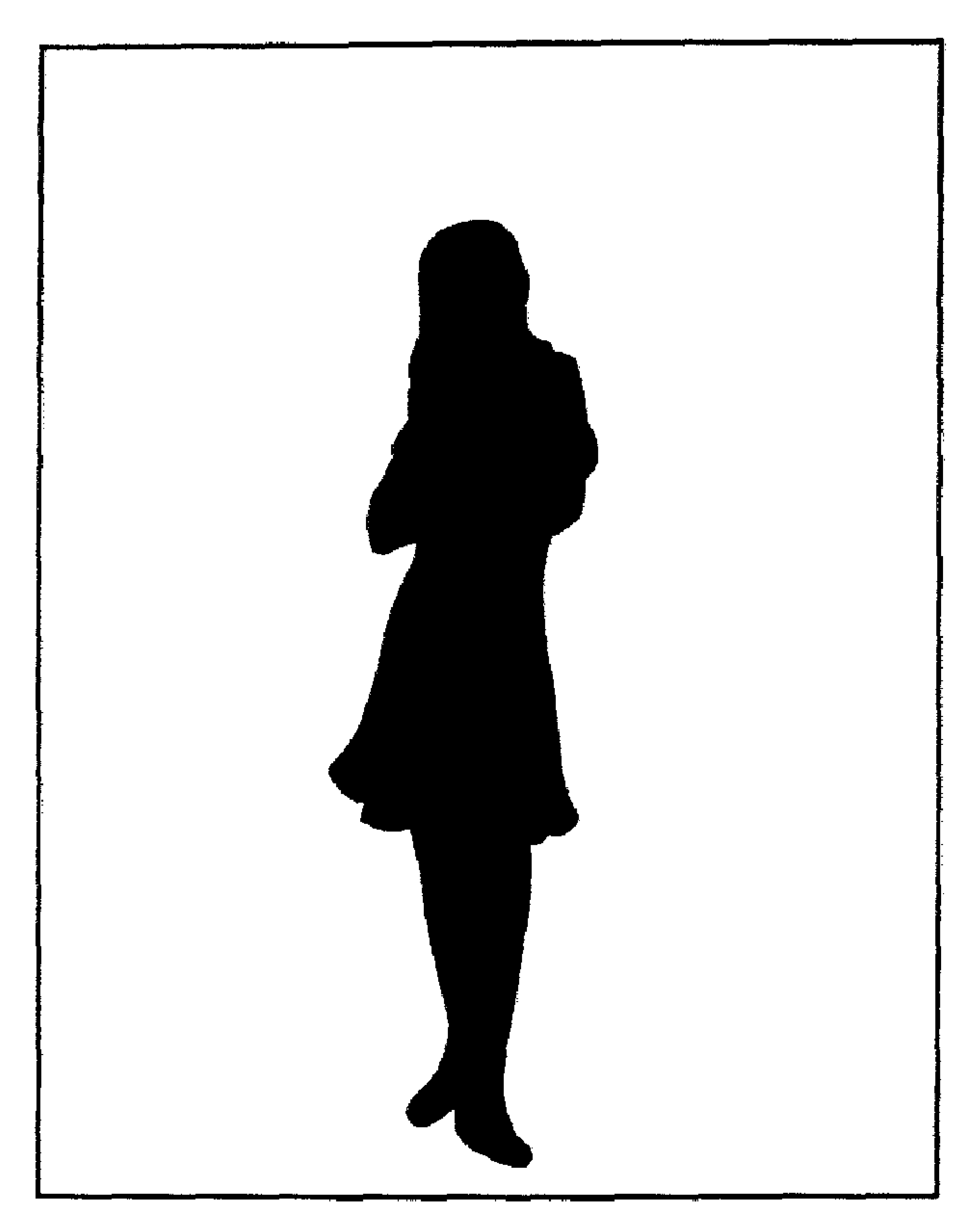
العيون مشدوده نحو إيناس، الجميع يريدون معرفة باقى سيناريو الانقلاب العاطفى، ومضت إيناس تكمل قائلة:

فوجئت بأن كل الزوجات السابقات حصلن على الطلاق إلا أنا.. كل واحدة انصفتها المحكمة وساندها القانون واقتصت لها العدالة.. إلا أنا.. زعيمة الانقلاب وأكثر المتضررات من زواج هذا ال «دون جوان».. بل أكثر زوجاته قوة بمستنداتها أمام المحكمة.. نعم خسرت الدعوى وأنا مذهولة.. والأن استأنفها أمامكم.. كل ما أرجوه هو الإطلاع على مستنداتى التى أغفلها الحكم الابتدائى.. وارجو أن تأذنوا لى فيما لو كانت هناك جلسات أخرى تمكننى من توكيل محام لايخضع ضميره إلا لسلطان العدالة والمهنة.. لو عثرت عليه فاعفونى من الحضور لسوء حالتى النفسيه فى الجلسة التالية.. لم تحضر إيناس.. وكنا على رأس فريق الدفاع عنها أمام هيئة دفاع الزوج المكونه من ثلاثة من أساتذة الجامعة.. ورغم صعوبة الموقف، مضت الجلسة المثيرة من واقعة إلى واقعة.. قدمنا رسائل الزوج الأخيرة المسجلة على جهاز الرد الآلى يحذر فيها زوجته من اللجوء للمحكمة.. وأن من حقه هجرها عاما واثنين وثلاثة حتى يشعر بالرغبة فى العودة اليها!.. شهود الزوجه أكدوا أيضا أنهم لم يروا زوجها طوال عامين كاملين بل كانت هى التى تطارده.. وكانت مفاجأتنا شاهدا من أصدقاء الزوج كان يشكو من مطاردة زوجته الحسناء له ويتباهى بهجرها!.. ثم كانت أخت الزوج الصديقة القديمة لايناس والتى كانت سببا فى زواجها من المليونير.. أقسمت الأخت اليمين ثم أكدت للمحكمة أن شقيقها صارحها بالفعل بأنه هجر إيناس عامين كاملين حينما توسطت للصلح بينهما.. ولاتعرف سببا واضحا لموقف شقيقها.

تقضى المحكمة بالطلاق.. وتنطلق زغرودة مدوية من الأنسة محاسن سكرتيرة إيناس التى لم تتمالك نفسها من فرط الفرحة بعد أن تحررت أخر امرأة من سجنه.. الغريب والمثير كان فى موقف إيناس التى بكت بشده وهى تتلقى التهانى من زميلاتها المطلقات اللاتى سبقنها إلى عالم الحرية.

وخرجت الزوجات الأربع متشابكات الأيدى فى سعادة واضحة.. كان واضحا على وجوههن أن ثورة الحريم كان لابد أن تنتصر!

طلاق ليلة الدخلة



« .. وكانت المفاجأة فى شقة القتيل هى صوت عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ! »

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثانية ظهرا عندما ضغط المهندس الشاب حسام على جرس شقة والده.. ظل رنين الجرس متصلا دون أن ينفتح الباب أو يسمع حسام صوت والده رجل الأعمال الثرى المعروف.. تذكر حسام أن ميداليته تحمل مفتاحا احتياطيا للشقة.. لحظات وانفتح الباب عن مفاجأة.. الأب جثة هامدة أمام حجرة نومه.. سكين ضخمة استقرت فى قلب الأب.. الدماء تحيط بالجثة فى شكل دائرة كبيرة.. عينا الأب جاحظتان.. لايزال يرتدى «الروب دى شامبر»، نظارته الطبية ملقاه إلى جواره.. ساعته لاتزال فى يده والخاتمان الثمينان فى أصبعيه.. صرخ حسام.. تجمع الجيران.. وقفوا جميعا مذهولين أمام غرابة الحادث.. بعد لحظات وصل رجال المباحث وخبراء المعمل الجنائى ووكلاء النيابة.. المعاينة المبدئية أكدت أن الحادث لم يقع بقصد السرقة.. وأن القاتل لم يستخدم أى عنف فى دخول الشقة!.. قفز الخبر إلى صدر الصفحات الأولى لكل الصحف وإذاعته الاذاعة فى بعض نشراتها فالقتيل لم يكن شخصا عاديا! كان القتيل نجما رياضيا معروفا منذ سنوات طويلة.. وبعد أن هجر الملاعب أو هجرته الرياضة استثمر اسمه الكبير فى إقامة شركة كبرى للدعاية والإعلان.. وبعد أن جاوز الخامسة والثلاثين تزوج من أستاذة جامعية أحبته بجنون على الرغم من أنزواء الشهرة عنه وعلى الرغم من المؤهل المتوسط الذى كان يحمله هذا النجم من حصيلة سنوات دراسته.

انشغل الناس بشخصية القتيل الذى لقى مصرعه بأسلوب وحشى أصاب قلوب محبيه بالأسى.. لكن المباحث انشغلت بشىء أخر مختلف تماما.. جميع أجهزة الدولة اهتمت بالحادث.. وزير الداخلية طلب ملفا كاملا عن جهد المباحث وراح يتابع المجهودات الفائقة

بنفسه.. ضغوط كثيرة كان رجال المباحث يعملون تحت وطأتها.. لن يرحمهم أحد.. ربما لو كان القتيل شخصا عاديا ما حظيت القضية تبدو مغلقة تماما.. وكلما توغلت فيها تحريات المباحث ازدادت غموضا وتكاثف حول وقائعها الضباب.. لكنها لم تخل من أثاره وغرابة خاصة حكاية عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش!. تعالوا نتعرف على الحكاية من البداية..

القتيل حسن السمعة بشهادة الجميع.. ليست له نزوات نسائية.. أو علاقات غرامية.. أو حتى أصدقاء من الجنسين.. منذ تزوج أغلق دائرة العلاقات لتخدم عمله فقط.. لم يعد لديه وقت يضيعه فى سهرة أو نادى أو ملهى ليلى.. شجعته المكاسب المتتالية التى كان يحققها من خلال شركته.. عز عليه أن تضيع منه ساعة زمن واحدة فى حوار مع صديق وزميل قديم لا يكسب منه مثلما يكسب من جلسات العمل.. أما عواطفه فكان يكفيها حب زوجته اللامحدود له.. وحب ابنه الوحيد.. وابنته المتزوجة وتقيم فى الأسكندرية.. كان بيته مملكته.. وقلبه لايدق إلا لاسرته الصغيرة طوال سنوات عمره.. لم يختلط بجيرانه لكنه كان معهم فى المناسبات السعيدة والحزينة على حد سواء.. لايفوته أداء واجب.. ولايقصر مع مخلوق حتى لو كان فراشا فى شركته أو بوابا فى عمارته! أختار زوجته بعناية.. وقتها كانت له عشرات الصداقات مع الحسناوات والمعجبات اللاتى كن يطاردنه فى كل مكان.. لكنه لم يجد بينهم فتاة أحلامه.. وحينما وقف يصافح الدكتورة منال ذات مناسبة فى الجامعة شعر أنه لو كان الأمر بيده ما ترك يديها أبدا! قصة حب رائعة فرضت نفسها على فريق التحريات !.. قصة حب تعادلت فى الدكتوراة التى تحملها الدكتورة منال مع المؤهل المتوسط الذى يحمله النجم الرياضى المعتزل.. الحب اختصر المسافات ووحد المؤهلات وصهر العاشقين فى قلب واحد.. وعقل واحد! وعلى الرغم من سنوات الزواج الطويلة لم تفتر عواطف الدكتورة والنجم المعتزل الذى أصبح من أنجح رجال الأعمال فى مصر والعالم العربى.. ومع الأيام كبر حسام الابن الأكبر.. وكبرت هدى الأبنة الصغرى.. تزوج كلاهما.. ووضعت الأسرة نظاما دقيقا بعد أن هجر الأولاد البيت!.. حسام يزور والديه كل خميس فى الثانية ظهرا.. يتناول معهما الغداء بمفرده ثم يحضر مع زوجته لتناول غداء يوم الجمعة.. أما منال فكان موعدها الجمعة الأولى من كل شهر تحضر مع زوجها وطفلها الصغير ليستمتع الابوان بالحفيد فى صدر عمره.. كانت أياما سعيده

حفرت نفسها فى ذاكرة الابن والابنه والأم والأب والحفيد!.. أيام لم يكن يهددها أى مجهول أو شر فالأسرة بلا اعداء الأم كانت تجهز نفسها دائما لزيارات حسام ومنال.. وتطهو الطعام فى المساء من كل الصنوف والأنواع.. تعد الحلوى.. تعد الشاى والقهوة فى الترامس وبعدها تنام تحلم بمحاضراتها وبحوثها التى نالت من خلالها شهرة كبيرة! وحملت تحريات المباحث والمعاينة أكثر من مفاجأة.. أولى المفاجآت التى حيرت فرق البحث الجنائى أن الجريمة كانت بعيدة كل البعد عن قصد السرقة.. لقد وجدوا الخزينة الكبيرة فى حجرة مكتب المجنى عليه كما هى لم تمسها يد ولم يصبها عبث.. على الرغم من أن مفاتيح الخزينة كانت إلى جوارها.. بل كان واضحا أن الجانى أو الجناه لم يقتربوا من الخزينة ابدا! فلا توجد بصمات أو أثر يدل على هذا التوقع! الأوراق والمستندات موجودة بأكملها كما أكدت لجان الجرد التى رأسها حسام ابن القتيل ومدير عام الشركة.. المال لم ينقص جنيها واحدا الصور والمذكرات لاتزال معلقة تعلوها الأتربة فى مكانها الذى اختاره لها المجنى عليه! مجوهرات الدكتورة فى علبتها داخل الدولاب المفتوح فى حجرة النوم! خاتمان من الماس فى أصابع القتيل لم يخلعهما الجانى أو الجناة! الشىء الوحيد الملفت للانتباه وجود شريط كاسيت على المقعد المجاور أحدهما للفنان الراحل عبدالحليم حافظ والثانى للموسيقار فريد الأطرش.. الأول يحمل اغنيات بحلم بيك، أهواك، فى يوم فى شهر فى سنة وعشانك ياقمر.. أما الشريط الثانى فكان يحمل اغنيات أول همسة، واسمع لما أقولك ونورا ! كان من الممكن أن يكون وجود الشريطين أمرا عاديا.. لكن حسام أكد أن والده لم يكن يسمع عبد الحليم أو فريد الأطرش بالمرة.. وأن كل الشرائط التى يحتفظ بها فى علبة خاصة بحجرة مكتبة لام كلثوم وعبد الوهاب.. واقسمت الدكتورة زوجة القتيل أن بيتها لم يدخله شريط لعبد الحليم أو فريد طوال سنوات عمرهما.. بل كان حسام ومنال من هواة الموسيقى الكلاسيك والأغنيات الأجنبية.. وقالت الزوجة: لقد خرجت إلى الجامعة فى الصباح دون أن يكون لهذين الشريطين أى أثر، تركت زوجى كالمعتاد كل صباح سعيدا متفائلا يحمل صحف الصباح ويتجه إلى مكتبه.. فمن اين أتت هذه الشرائط التى يزيد من غموضها أنها قديمة لايقل عمرها عن خمسة عشر عاما.. وربما عشرين عاما أو أكثر.

توسيع دائرة الاشتباه!

لم تجد المباحث غير توسيع دائرة الاشتباه مهما كانت الأسماء أو المناصب التى يتطلبها التحقيق مع اصحابها.. الضغوط الأمنية كانت تطارد رجال المباحث بعد مرور أسبوع كامل دون أن تتكشف أسرار الجريمة.. استدعت المباحث زوج الابنه.. ناقشوه سبع ساعات كاملة.. سألوه عن علاقته بزوجته قبل أن يطلب يدها رسميا عن خلافاته مع أسرة زوجته أن كانت هناك خلافات.. عن اصراره نقل عمله إلى الاسكندرية قبل ثلاث سنوات فقط من الحادث لم يتركوا كبيرة أو صغيرة لم يسألوا فيها المهندس الشاب الذى إنهار وبكى صائحا لفريق البحث.. ارحموا أعصابى.. لقد كنت أحبه أكثر من ابنته.. اسألوهم.. استدعوا زوجة حسام كرروا معها السيناريو ذاته حتى فقدت زوجة الابن اعصابها.. لكنها تحاملت على نفسها بعد أن رأت الدكتورة تحاصرها الأسئلة نفسها.. وحسام يغرق فى علامات التساؤل التى لاتنتهى على الرغم من تأكد رجال المباحث من الحب الكبير الذى كان يربطه بوالده.. حتى منال فتشوا، إن كانت لها علاقات مع آخرين غير زوجها.. كل شىء استباحه رجال المباحث.. لم يستبعدوا تكهنا واحدا خشية أن يكون الخيط الذى ينقذهم من ورطة هذه الجريمة! البواب قال إنه لم يترك العمارة غير مرتين.. الأولى ذهب فيها لتغيير انبوبة بوتاجاز لساكن بالطابق الأخير.. والثانية خرج فيها ليصرف روشتة دواء من التأمين الصحى لموظف بالمعاش يسكن الطابق الثالث.. فيما عدا ذلك لم يشاهد شخصا غريبا يدخل أو يخرج من العمارة.. عملاء الشركة تم فحصهم واحدا بعد الأخر.. العمال والموظفون وسائق السيارة الخاصة.. كلهم قضوا ساعات طوال فى رهبة وقبضة فريق البحث الجنائى دون أن ينكشف سر واحد من أسرار القضية بعد شهر ونصف الشهر صدر قرار بنقل كل القيادات الأمنية التى وقع الحادث فى دائرة اختصاصها إلى محافظات نائيه عقابا وعبرة لمن سيأتى بعدهم.. طلب الوزير ألا يغلق ملف القضية ابدأ مهما مرت الأيام والشهور.. وتغير الوزير.. وجاء وزير جديد. وفى أول اجتماع له مع القيادات الأمنية ضرب مثالا بالقضية الشهيرة التى تحولت إلى لغز كبير وقال إنه رصد مكافأة غير مسبوقة لمن يكشف النقاب عن تفاصيل هذه الجريمة التى لن تدخل دائرة النسيان ابدا على الرغم من وقوعها فى عهد وزير أخر غيره.

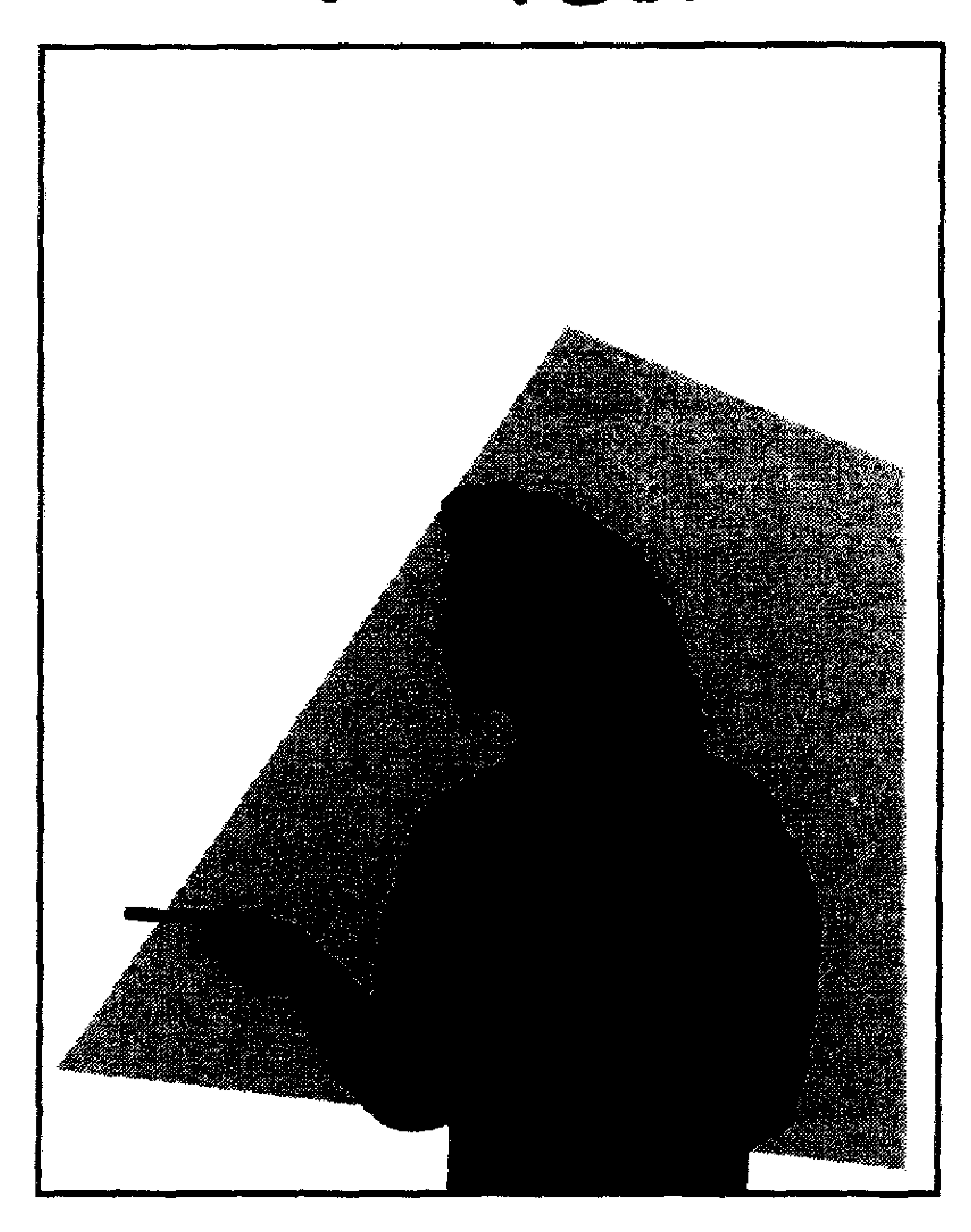
الزمن أقوى من الوزراء.. نسى الناس القضية بعد مرور ثلاثة أعوام.. ونساها الضابط.. لكن شاءت عدالة السماء أن تميط اللثام عن الغموض الذى دمر اعصاب زوجة القتيل وابنه وابنته.. والعشرات من رجال المباحث! ذات صباح تسلل سجين إلى أحد ضباط السجن.. همس فى أذنه بأن النزيل «برجل» كان يروى لزملائه من الزنزانة عن عشرات الجرائم التى ارتكبها فى الصعيد دون أن ينكشف أمره.. كنت ليلة البارحة.. كما أبلغ السجين ضابطه.. هى ليلة التجلى والتباهى والتفاخر بين نزلاء الزنزانة.. أرهف الضابط سمعه وسأل السجين بلهفة.. وبعدين يابرغوت.. أحكى! وهنا.. قال السجين! هل تذكر ياحضرة الضابط قضية قتيل مدينة نصر.. صاح الضابط.. أيوه أيوه يابرغوت.. وبعدين.. كمل بسرعة.. روى النزيل برغوت كل ما قاله «برجل» طار الضابط من الفرحة.. أبلغ قياداته ثم أبلغت القيادات قياداتها.. على الفور وضعوا خطة محكمة لاستدراج برجل والضغط عليه حتى يروى لهم سر الأسرار.. ونجحت الخطة.. وتوالت المفاجآت التى أذهلت الأسرة قبل أن تذهل الرأى العام.. قال برجل.. ليس لى ذنب.. لم أكن أعرفه من قبل.. لقد رأيت صورته فقط مع مدام سوسن.. لقد اتصلت به تلفونيا أمامى.. كان ذلك صباح يوم الحادث.. وفهمت من المكالمة أنها لم تره منذ سنوات طويلة.. وإنه لم يتذكرها مع أول المكالمة لكن بعد دقيقتين تبادلا العبارات الودية.. وأخبرته مدام سوسن إنها سترسل له الشريطين معى.. أخبرته باسمى.. ثم طلبت منى أن أذهب إلى العنوان الذى منحته لى وانفذ كل ما اتفقنا عليه.. سلمتنى وقتها مؤخر الاتعاب كاملة دون أن اطالبها به قبل التنفيذ.. كان يمكن ألا أنفذ الجريمة وأهرب بعد أن وصل يدى عشرين ألف جنيه بالتمام والكمال.. لكن شهامة مدام سوسن جعلتنى أنفذ ما وعدتها به.. ذهبت للرجل وسلمته الشرطين.. وعندما قام ليحضر لى ترمس الشاى عاجلته بالسكين.. أنا قاتل محترف.. وزهقت من الهروب صدقونى.. لم أكن أنام منذ سنوات على الرغم ما أظهره من الامبالاه وسعادة معظم الوقت.. لقد قتلت الرجل واضفت إلى نفسى شبحا جديدا يطاردنى مع باقى الاشباح طوال الليل.. إنهم ضحاياى الذين حرمونى من نعمة النوم والراحة.. فكرت كثيرا فى أن أسلم نفسى للشرطة.. لكن

الشيطان كان يخيفنى من حبل المشنقة لست نادما على أننى وقعت فى يد العدالة.. لقد دخلت السجن فى خناقة عادية ودخلته من قبل فى مشاجرة.. لكن حينما أقتل أكون محترفا.. ولاتصل الشرطة لى مهما كانت مهارة الضباط فانا أقتل بالأجر.. ولا أكون معروفا لأسرة المجنى عليه ابدا كما أن جرائمى تقع فى القاهرة.. وحياتى المستقرة فى الصعيد.. ربما أكون قد حكيت قصة جريمتى أمام الواد برغوت لأنى بخبرتى كنت أشك فى أنه مرشد للبوليس وخبرتى لم تخب من قبل.. ربما كان شعورا داخليا بأن أقدم نفسى ليد العدالة لترتاحوا واستريح.

ألقوا القبض على سوسن.. امرأة فى العقد الخامس من عمرها.. كانت تعيش وحيدة فى الجيزة.. ثروتها فى البنك ومصر وفاتها كل شهر من فوائد الوديعة.. كانت لغزا أمام جيرانها الذين اعتبروها سيدة معقدة.. لاتحب الاختلاط.. لاتسأل عن أحد ولا يسأل عنها أحد نادرا ما تخرج من بيتها معظم وقتها تقضيه أمام التليفزيون.. هكذا قالت التحريات.. لكن ماذا قالت سوسن فى اعترافاتها.. هذا ثأر عمره تجاوز العشرين عاما.. لو كان الأمر بيدى لنفذت الجريمة من عشرين عاما وأكثر.. لكنى كنت متردده.. وظللت مترددة كل هذا العمر حتى قتلتنى الوحدة.. لقد عشت سنوات طوال أتجرع ألام الهزيمة التى جرح بها كرامتى هذا الرجل.. كنت خطيبته.. كان يحبنى أكثر مما أحبه.. لكنه لم يسارع بالزواج منى.. كانت النجومية تشغله.. والأضواء تسرفه منى.. والسفريات الدائمة تجعلنى غير قادرة على الأمساك به.. طلبت منه فسخ الخطوبة بعد ثلاث سنوات.. لكنه صالحنى وأرسل لى شريطين لعبد الحليم وفريد الأطرش.. وجاء يقسم لى أن الزفاف سيتم قبل نهاية العام.وبالفعل عقد قرانى فى حفل عائلى حضره كل الأقارب من أسرتى وأسرته وتحدد الزفاف بعد شهرين فى حفل كبير دعونا إليه مئات المدعوين.. لكن وقع خلاف بينى وبينه قبل الزفاف بأسبوع واحد.. ترك بيتى غاضبا.. إلا أن أبى لحق به وتوسل اليه أن يجنب العائلة أى مأزق ويسامحنى.. وفى اليوم التالى كلمنى فى التليفون.. ركبنى الغرور.. أخبرته أننى لم أحبه يوما واحدا بعد أن طلب منى أن أعتذر له أمام الاشخاص الذين شهدوا شجارنا ليلة الأمس.. رفضت.. وأغلقت التليفون فى وجهه.. وخشيت أن أخبر أبى بما حدث.. لم يخطر حفل زفافه أمامى.. كانت حساباتى خاطئة

من الألف إلى الياء وكان انتقامه أبشع مما يجنح اليه الخيال.. فوجئت بشخص يدخل وسط الحفل ويسأل عنى وسط المعازيم ثم يتجه نحوى ويسلمنى ورقة من العريس الذى لم يحضر! أخذت الورقة ويدى ترتجف سقطت لتدوى على الأرض بعد أن قرأتها وقرأها معظم الموجودين.. إنها ورقة طلاقى يوم زفافى.. وكانت فضيحة مدوية نساها هو وتزوج.. وظلت معى كل لحظة من سنوات العمر الطويل لاتبرح خيالى.. كنت أنزف دما وسادتى لاتعرف غير الدموع التى أبيت واستيقظ عليها. لقد تزوج هو ومضى فى عمره بعد أن أسقطنى من حساباته.. وبقيت أنا أفكر فى الانتقام أكثر من عشرين عاما.. أخيرا.. تجرأت.. عرفت عنه كل كبيرة وصغيرة.. حدثته تليفونيا ذكرته بنفسى وبالشريطين.. كان سعيدا للغاية وهو يسمع منى أننى لا أزال أحبه.. وأننى أريد أن اتخلص من أجمل ذكرياتى معه.. أقنعته أن الشريطين يجعلانى أشعر بأنى أخون زوجى الذى لايعرف عنهما شيئا خيانة مشاعر.. لكنها على أية حال خيانة.. وفى نهاية المكالمة طلب أن أحضر مع زوجى لزيارة اسرته.. لكنى أعتذرت بلباقة وافهمته أننى حينما أنساه تماماً يمكننى أن أنفذ هذه الدعوة.. وهنا ضحك قائلا ساعتها هيكون عمرنا مائة عام ياسوسن.. تظاهرت أننى أبادله الضحك.. وأننى لا أعرف عنوانه فراح يمليه على! وتمضى المتهمة التى لم تفقد كل جمالها تقول عشت على أعصابى حتى علمت بتنفيذ الجريمة! قد أكون مريضة.. قد أكون أستحق الإعدام دون محاكمة.. لكن المؤكد أننى امرأة عاشت جريحة أكثر من عشرين عاما.. جرح لايعاقب عليه القانون.. لكنه جرح قاتل.. وارجو أن تتقبل أسرة المرحوم عزائى.. واعتذارى.

زواج باطـل!



« .. هربت صفاء من بيت الزوجية وصورت لها أحلام المراهقة أن عصام لن يبحث عنها ابدا.. لكن عصام مازال يبحث عنها حتى الآن! ».

فوق هضبة المقطم، وداخل شقة فاخرة بإحدى العمارات شاهقة الارتفاع، كانت الأسرة السعيدة تعيش حياتها فى هدوء.. المهندس الشاب طارق وزوجته الحسناء صفاء التى تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها.وولدان صغيران يملآن العش الهادىء فرحة وسعادة هشام ووليد.. كل محتويات الشقة تحمل أجمل ذكريات العمر.. حتى التحف الثمينة ولعب الأطفال كانت كل قطعة منها لها ذكرى.. وذات صباح تحول هذا البيت الذى يعيش فيه الجميع على الحب ليل نهار إلى مستشفى للمجانين.. حدث هائل زلزل البيت وهز القلوب وكادت أن تذهب معه العقول.. هبت ثورة الشك بين الجدران الأربعة.. وعرفت الأحزان طريقها إلى أفراد الأسرة الأربعة إلى الزوجين الكبيرين والطفلين الصغيرين.

منذ أشرقت شمس الصباح وصفاء لم تجلس لحظة واحدة فاليوم هو عيد ميلاد زوجها طارق لقد ألحت عليه أن يحصل على أجازة فى هذا اليوم.. أخبرته أنها تجهز له مفاجأة سوف تسعده.. وافق طارق وترك أعماله لقضاء يوم ميلاده بين زوجته وولديه اللذين حصلا على أجازة من مدرستهما أيضا.

لم تتم صفاء الليلة البارحة.. ظلت عيناها مفتوحتين وهى ترتب فى عقلها برنامج الغد ولقد حجزت لاسرتها شاليها بالقرب من الأهرامات.. قررت أن تتناول الأسرة فيه طعام الغداء والعشاء ثم يعود الجميع إلى بيتهم فى العاشرة مساءاً حيث تبدأ الحفلة الصاخبة التى دعت إليها صفاء كل أصدقاء الزوج وكل صديقاتها لابد أن يكون يوم ميلاد طارق يوما مشهودا. فقد خرج إلى الدنيا فى مثل هذا اليوم لتحبه.. وتتفانى فى

الاخلاص له.. أليس هو الذى أحبها كما أحب قيس ليلاه.. أليس هو الذى فتح لها أبواب جنته لترفل فى نعيمها.. أليس هو الذى يفهمها من نظرات عينيها..

طال الليل لكن لابد من ظهور الفجر

استيقظ طارق على قبلة حانيه من زوجته.. أنضم هشام ووليد إلى والديهما فى سعادة غامرة.. وبعد لحظات انشغلت صفاء بإعداد طعام الأفطار.. كانت تتحرك فى الشقة كعصفور صغير يحبو داخل عشه.. تتكلم كأنها تغنى.. وتنصت لزوجها كأنها تستمع إلى مقطوعة موسيقية.. بينما ينصت اليها طارق كأنه شهريار غارق فى حكايات شهر زاد فجأة.. دق جرس الباب.

سارع الزوج إلى باب الشقة قبل زوجته المشغولة داخل المطبخ.. فتح الباب.. فوجىء بمحضر من المحكمة.. سلمه إعلانا ومضى.

قرأ طارق الإعلان فى دهشة.. أعاد قراءته مرات وهو غير مصدق.. دقق النظر فى الأسماء والعنوان ربما كان هناك لبس فى الأمر.. لكن كل البيانات المدونة تقول إنه الزوج المقصود.. وأن صفاء هى الزوجة المقصودة.

صرخت الزوجة فى زوجها قبل أن يسقط مغشيا عليه.. مالك يا طارق.. إنعقد لسانه.. مد لها يده بالإعلان.. والتقطته يداها.. قرأته بسرعة.. لطمت خديها.. وصاحت: معقول.

دارت الدنيا بالزوجة.. ارتمت على أقرب مقعد.. اختفت الضحكة من عيون الطفلين.. ساد الوجوم والحزن سطور الإعلان الذى أرسله شخص يدعى عصام تقول إنه يريد زوجته صفاء.. وأن زواجها من طارق كان باطلا والسبب إنه تزوجها قبل طارق بعامين.

المطلوب فسخ العقد بين طارق وصفاء

أقسمت صفاء لزوجها أن كل ما فى الإعلان كاذب وباطل وافتراء محض خيال.. وتوسلت اليه أن يصدقها.. بكى الأطفال بعنف.. وأرتمى وليد على صدر ابيه.. وأحتمى هشام باحضان أمه.. اللحظات تمر بتثاقل.. والرهبة تملأ المكان.. الزوجان يهذيان..

وبرنامج اليوم السعيد لم يعد له مكان.. نست الزوجة شاليه الهرم.. وحفلة المساء.. وذهبت مع طارق إلى المحامى لتتوالى المفاجآت.

زواج بالتوكيل

تمر الأيام كأنها الدهر

أمام محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة، يتعرف طارق على تفاصيل القضية الخطيرة.. عصام يدعى أن والد صفاء زوجها له بتوكيل قبل عشر سنوات وإنه ظل يبحث عن زوجته طوال هذه المدة حتى عثر عليها.. وعرف عنوانها.. وفوجىء بأنها متزوجة وأم لطفلين.

وقفت صفاء مذهولة أمام المحكمة تسأل عصام ويرد عليها

● هل أنا زوجتك؟

- نعم

● كيف؟

- اسألى والدك

● والدى توفى

- الله يرحمه

● أمى على قيد الحياة

- اسألوها

وجاءت الأم لتفجر مفاجأة جديدة

سألتها المحكمة.. ولكن الأم بكت ولم ترد.. ولما كنت أمثل الدفاع عن عصام فقد توجهت وسألت الأم سؤالا محددا.

● هل تزوجت ابنتك من عصام قبل زواجها من طارق

وردت الأم وهى تتحاشى النظر إلى ابنتها

- أيوه.. تزوجت عصام

ساد هرج ومرج فى المحكمة وتعقدت القضية أمام طارق وصفاء وخاصة بعد أن قدمت صورة وثيقة زواج عصام وصفاء التى يسبق تاريخ تحريرها زواجها من طارق وتأجل نظر الدعوى جلسات وجلسات.

الابن الثالث

وفى الجسلة قبل الأخيرة.. وبعد أن ظلت الدعوى عاما، كاملا أمام المحكمة فجرت صفاء المفاجأة الجديدة، حضرت إلى الجلسة وهى حامل فى ابنها الثالث.. كأنها ارادت أن تفرض أمرا واقعا على نصوص القانون وهيئة المحكمة.

الغريب أنها كانت تعانى من آلام الوضع أثناء الجلسة.. وأذكر أن المهندس طارق وقف يتكلم أكثر من نصف ساعة يرجو المحكمة ويهيب بها ألا تهدم أسرة بأكملها بسبب افتراء كاذب.. كان واضحا أن طارق يترافع بعواطفه.. فقد تأكدت المحكمة من صحة عقد زواج صفاء وعصام.. وكل الإجراءات التى صاحبته كانت سليمة مائة فى المائة.. كما أننى قدمت اثنين من اصدقاء المرحوم والد صفاء شهدا إنه زوجها له بالوكالة.. وأثرت فى دفاعى نقطة غاية فى الأهمية طلبت تحريات المباحث عن آخر عامين فى حياة صفاء قبل زواجها من طارق.

وجاءت التحريات تؤكد أنها كانت هاربة من منزل أسرتها.

وأخيرا.. قضت المحكمة بفسخ عقد الزواج الثانى.. على الرغم من سنوات الحب والارتباط والأبناء الثلاثة.. كانت فى القضية حلقة مفقودة لاتهتم بها المحكمة فى مثل هذه الدعاوى.. كنت واثقا منها ومن أن صفاء وحدها هى التى تعلمها جيدا واخفتها.. بحسن نيه عن زوجها.. كانت الحلقة المفقودة تتمثل فى أن صفاء بعد أن علمت بإفلاس والدها.. وإنه زوجها بالوكالة ودون علمها من تاجر أقترضه بعض المال.. هربت من المنزل.. وانقطعت صلتها بأسرتها تماما بعد أن تزوجت من الشاب الذى تحبه واستقرت حياتها معه.. ولم تتوقع أن يصر عصام على البحث عنها.. أو أن تظهر الحقيقة يوما.. وربما اعتقدت أن الزواج الذى سمعت عنه لايجوز شرعا.. أو صورت لها أوهام المراهقة وقتها أن ما يحدث ليس إلا نكته سخيفة!

عموما صدر الحكم بفسخ زواج صفاء الثانى.. والتفريق بينها وبين طارق.. والمثير أن موكلى جاء بعد ذلك واخبرنى أن صفاء اختفت من جديد.. باعت شقتها ورفضت تنفيذ حكم المحكمة.. وإنه بحث عنها فى معظم المحافظات المصرية فلم يجدها.. ومضى حتى الآن أكثرمن ست سنوات ولايزال عصام يبحث عن صفاء.

امرأة على المقابر!



خرجت من قاعة المحكمة الى المقابر لزيارة طليقها فى مثواه الأخير.. و لا يعرف أحد هل كانت تعتذر له فوق قبره أم أنها كانت خائنة و ممثلة فى آن واحد ؟

هل يمكن أن تتسبب صراحة الزوجة فى خراب بيتها؟!

سؤال مهم يحير كثيرا من الزوجات اللاتى يرفضن خداع ازواجهن.. بل وتتفرع منه علامات تساؤل كثيرة تدور حول المعنى نفسه.. هل تخفى الزوجه كل تصرفاتها التى لاترى فيها أية خيانة لزوجها.. وبالتالى تحافظ على الزوج والبيت معا؟! هل تحتفظ ببعض الأسرار وتبوح لزوجها بالبعض الأخر.. ويظل ضميرها يعذبها العمر كله؟! هل تجيب على زوجها كذبا فيما لو انتابته الشكوك من بعض المظاهر التى تثير ريبته.. لو سألها مثلا عن احمرار عينيها.. واصفرار ملامحها.. وذبول وجهها.. هل تقول له إنها تعانى من صداع حاد.. أم تخبره بالقصة الحقيقة التى طيرت النوم من عينيها فتشعل النيران بأيديها لتحترق السعادة وتدمر البيت وتحول حياتها مع زوجها إلى معركة يخسر فيها كل الأطراف.. ولا يكسب منها سوى المحامين؟!

عموما الإجابة بالغة الصعوبة.. خاصة حينما تطرحها الزوجة أمام قضاة المحكمة!

هذا هومحور قضية رانده وممدوح التى طرحت على المحكمة سؤالا عريضا يحتاج للإجابة.. يقول السؤال: متى تكون الزوجة كاذبة؟!.. حينما تخفى عن زوجها ما لايعلمه.. أم عندما يسألها فتراوغه وتخفى عنه الحقيقة؟!.. عموما رانده هى بطلة هذه القضية التى شدت انتباه الموجودين فى قاعة المحكمة منذ بدأت تخطو نحو منصة القضاة لتتكلم وتبوح بالأسرار.. أما بطلها فهو ممدوح الزوج المثقف العاقل الذى يعمل أستاذا بإحدى الجامعات المصرية يشتهر بالحكمة والرأى السديد ويسميه زملاؤه وزميلاته من أساتذة الجامعة حكيم القلوب لكثرة ما أدلى به من أراء وأفكار عالجت قلوبا جريحة ومشاعر

ذبيحة واحبابا كادوا أن يتفرقوا فاجتمعوا لديه.. وانطلقوا بعد سماعه إلى مكتب المأذون الشرعى لعقد الزواج!

رانده كانت تصر فى قاعة المحكمة على إنها زوجة طاهرة.. شريفة.. لن تخن زوجها من قريب أو بعيد.. وإنهاحينما افضت اليه بسر لم يكن ليتوصل اليه يوما.. أرادت أن ترحم نفسها من عقاب الضمير.. وتمنع عن نفسها شبهة الخداع!.. وممدوح كان يصر على أن الزوجة الطاهرة الشريفة التى لاتخون زوجها.. لاتفعل مثلما فعلت رانده مهما كانت الأسباب والدوافع!.. لكن ممدوح نفسه تجنب أية صفة تشكل اتهاما صريحا لزوجته!.. كانت رانده تصر على طلب الطلاق فى قاعة محكمة الأحوال الشخصية.. وتصر على حبس زوجها أستاذ الجامعة فى قاعة محكمة الجنح.. وكان ممدوح يقسم أنه لن يطلقها.. ولن يدخل السجن.. ولن تهزمه امرأة حتى لو ظل يقاتلها إلى اليوم الأخير من حياته!

ما هى قصة الحب والضميروالخداع والاتهامات كما اطلقوا عليها أثناء نظر دعوى رانده ضد ممدوح سواء فى قضيتها الشرعية أو الجنائية.

ماذا أخفت رانده من أسرار عن زوجها دفعت إلى كل هذه المعركة التى هددت بيتا سعيدا بالخراب والاحتراق.. وكيف عرف ممدوح بهذا السر.. وكيف وصفه أمام المحكمة!

تعالو نستمع اليها أولا.. ونتابع اعترافاتها قبل أن يتكلم ممدوح ويكشف عما يدور فى أعماقه نحو السيدة التى أحبها بجنون فى مطلع شبابه!

حوار الحب!

قالت رانده: كان ممدوح أستاذى فى الجامعة.. شعرت منذ لحظة لقائى الأول به أن نظرته، كانت سهاما حاولت اختراق قلبى وغزا بها عينى بحثا عن رد أبثه له من خلال نظرة واحدة!.. تعمدت أن أخبره منذ هذا اللقاء أننى مرتبطة بزوج حتى يغلق ملفى لديه.. وبالفعل نجحت فى ابلاغه بأننى متزوجه بشكل عابر وغير مصطنع.. رأيت الحزن فى عينيه.. لكنى غيرت الموضوع.. لم استطرد فى سرد تفاصيل زواجى كما ناشدتنى عينا ممدوح.. لم أقل له أن زواجى غير مستمر.. وأن زوجى من يستحيل علاجه أو

شفاؤه.. وإنه لولا أخت زوجى التى هى فى الوقت نفسه صديقة عمرى لانهيت هذا الزواج منذ عامين على الأقل.. لم أقل لاستاذى أننى أعيش جحيما حتى لا أشجعه على الاقتراب منى أكثر.. أثرت الصمت بعد أن علم بأننى زوجة حتى أتركه يهزم مشاعره بنفسه.. ويغتال طموحه ويقتل أشواقه نحوى.. لكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من التردد على مكتبه لشرح أى جزء صعب فى كتابه الجامعى.. هكذا كان رجاؤه.. وهكذا قبلت الرجاء لشىء ما فى نفسى لم أدركه فى هذا الوقت!

وتستطرد رانده قائلة: بعد عام انقطعت عن الجامعة.. جن جنون أستاذى هالنى أنه بحث عنى فى كل مكان حتى عرف بخبر طلاقى من زوجى.. لم يسعدنى فى هذه المحنة سوى مشاعر الأستاذ التى فاضت بحب وحنان كنت أبحث عنهما.. أحببته.. بل واعترف أننى لم أحب رجلا قبله أو بعده سواه.. نعم كانت بينى وبين طليقى المهندس الشاب ذكريات جميلة.. كان يحبنى بجنون.. نعم سعيت إلى الطلاق منه وحينما حصلت عليه بكيت بحرقة لأننى لم أكن أكرهه يوما.. ولم يسىء لى لحظة واحدة.. لكنها لعنة الإدمان.. المهم تم طلاقى ووقعت فى غرام أستاذى.. طلب يدى.. منحنى مهرا خياليا.. أهدانى بيتا تحلم به أيه امرأة.. جعل منى ملحة على حياته.. ولم يكن له لدى غير شرط واحد أن أقطع علاقتى بطليقى واخته!.. وأن أوفر عليه وعلى نفسى قسوة الظنون والشكوك.. ووافقته من دون غضاضه.. أسعدتنى غيرته وحرصت على طاعته وضحيت بعلاقتى الوطيدة بصديقة عمرى سمر.. ابلغتها بما أتفقت مع زوجى عليه.. بكينا معا وهى تتمنى لى السعادة وتعدنى بأن تختفى هى واخوها من حياتى كلها!.. كانت سمر صادقة إلى أبعد الحدود.. انسحبت فعلا من مسرح حياتى.. بل لم أعد أعرف اخبارها وأخبار شقيقها بعد طلاقى منه.

اللحظة الأخيرة!

مضت ثلاثة عشر عاما كاملة، عشت فيها أسعد زوجة فى العالم مع أستاذى الذى أصبح زوجى وحبيبى وكل دنياى.. حتى جاء يوم لم أحسب له حسابا.. بعد لحظات من خروج زوجى إلى عمله.. فوجئت بطرقات متتالية على باب شقتى.. انقبض قلبى.. هرولت من سريرى وفتحت الباب.. وجدت نفسى أمام مفاجأة مذهلة.. صديقة عمرى

سمر تبكى وهى منهارة.. لم أكن قد رأيتها ثلاثة عشر عاما كاملة.. جذبتها إلى داخل الشقة.. كانت ترتجف.. جسدها كله يرتعد.. سألتها بلهفة عما فيها.. اخبرتنى أن طليقى فى سكرات الموت.. واقسمت لى أنه لاينطق بكلمة واحدة غير اسمى منذ التحق بحجرة الأنعاش فى المستشفى الاستثمارى القريب من بيتى.. لقد أصيب فى حادث غريب عندما خرج من سيارته ليفض مشاجرة بين قائدى سيارتين أوقفا المرور ففوجىء بأحدهما يحاول إطلاق النار على الأخر من مسدسه.. وإذا بطلقة مجنونة تستقر فى رأسه!

وتكمل رانده قائلة: لا أنكر أن حديث سمر شدنى من أعماقى.. تلاحقت انفاسها وانفاسى وأنا أستمع لحكايتها الحزينة ترويها بدموعها المنهمرة فوق وجنتيها.. قالت سمر أن شقيقها يقاوم سكرات الموت منذ ليلة الأمس.. ولم يعد قادرا على تحريك أى جزء من جسده.. لم يعد فيه غير نبض قلبه وحركة لسانة الذى لاينطق إلا باسم رانده.. واقسمت سمر من جديد أنها تجنبت الحضور لى على الرغم من خطورة الحالة.. ولم يدفعها للمجىء فى هذا الصباح سوى إنها أصبحت واثقة من أن أخاها لن يكتمل عليه هذا اليوم وهو على ظهر الدنيا.. توسلت لى سمر وجثت على ركبتيها تطبع قبلة ذليلة فوق يدى لأحقق لأخيها أخر أمنية فى عمره.. ويرانى قبل أن ينتقل للعالم الآخر!.. لم أدر بنفسى.. نسيت كل اتفاقى مع زوجى.. فلم نتطرق فى اتفاقنا إلى مثل هذا الاحتمال الذى لايقع إلا مرة كل مائة عام من سوء حظى! ارتديت ملابسى على عجل.. لم أضع مكياج الخروج.. ولم أرفع سماعة التليفون لأخبر زوجى كعادتى بأننى سأغادر المنزل ولو لدقيقة واحدة!.. وجدت نفسى أهرول إلى سيارتى مع سمر وأنطلق معها إلى المستشفى الكبير.. وهناك كانت الصدمة عنيفة ومدمره.. شاهدت شبح إنسان يرقد فوق سريره والمحاليل تصل اليه من كل الاتجاهات.. لم أصدق أننى أمام هذا الشاب الذى كان يتدفق حبا وحيوية وسعادة ولايقسم فيصدقه الناس إلا باسمه.. كان غائبا عن الوعى.. هربت الدماء من عروقه.. ونامت عيناه!..

سمعت سمر تحثى على الحديث اليه حتى يتنبه.. ربما ساعدته الصدمة السعيدة على أن يسترد وعيه.. ووجدت نفسى أصيح فيه وأناديه باسمه. وإذا به يفتح عينيه..

ويحركهما نحوى.. سرت رعشة غريبة فى جسدى.. ورأيت الفرحة فى عيون كل من حولى.. لكن طليقى خذلنى.. سقط رأسه.. وسارع الأطباء يغطونه بملاءه بيضاء بعد أن تأكدوا من وفاته.

لا.. ياسيدى!

وتكمل رانده فتقول: عدت إلى بيتى محطمة.. أصابنى اكتئاب بالغ.. بكيت حتى تورمت عيناى.. هزنى الموقف الإنسانى.. استرخيت فوق فراشى.. هل أخفى ما حدث عن زوجى فأريحه وارتاح معه.. لو سألنى عن عينى المحمرة وملامحى الذابلة واكتئابى الواضح.. هل أخبره أننى أعانى من صداع أم أنتهز الفرصة وأحكى له قصة هذا الصباح؟!.. ويبدو أنه كان على موعد مع المفاجأة.. عاد مبكرا من الجامعة.. ولم أتردد فى اختيار طريق الصدق.. صارحته بما حدث.. ثار وصفعنى على وجهى واحتدم الشجار بيننا.. كنت أظنه سيحاورنى وإذا به يلكمنى بقسوة فتحطمت كل أسنانى.. تركت له بيت الزوجية.. بعد أيام عذرته وهيأت نفسى لكى أسامحه على الرغم من لحظات الغضب التى حررت فيها محضرا ضده فى المستشفى الذى عالجنى أسبوعا كاملا.. نعم حطم كل أسنانى وهيأت نفسى لاغفر له.. لكن ممدوح كان قد أخبر أمه وشقيقاته بما دار بيننا.. وتحولت الحكاية إلى فضيحة.. ونسج كل من عرف الحكاية أشاعة تدور حول خيانتى لزوجى مع طليقى.. ومرت سنتان.. حاول ممدوح أن يستردنى فى بيته.. على الرغم من الفضيحة التى لا أزال أعانى منها حتى الأن.. وعلى الرغم من أن أسنانى التى هشمها وأصبح مكانها يذكر الناس بخيانتى المزعومة!.. لقد حصلت على حكم بحبسة أسبوعين.. والأن أطلب الطلاق.

لو كنتم مكانى؟!

.. وتكلم ممدوح.. لم يطل أستاذ الجامعة فى حديثه.. لكنه طلب من الجميع أن يتخيلوا أنفسهم مكانه.. من الذى يدريه أنه لم تكن هناك لقاءات سابقة بين رانده وطليقها؟!.. ما الذى دفعها إلى كل هذه التضحية طالما كانت تعرف أنه ميت لا محالة؟! ما هو الدليل على أنها لم تخنه ولو مرة واحدة وهى على ذمته؟!.. وأعلن ممدوح أنه

لايمانع من تطليقها.. بشرط واحد.. أن تتنازل عن كل حقوقها الشرعية عنده!.. وهنا تدخلنا كموكلين عن رانده.. قلنا للمحكمة أنه ليس هناك ثمة ما يدعو إلى هذا التنازل لأن الزوجه لم ترتكب ذنبا تحاسب عليه.. بل أن هذا التنازل فى حد ذاته قد يصورها أمام الناس كزوجه خائنه تستحق حقوقا شرعية عند طلاقها.. ثم طالبنا الزوج أن يقدم دليلا واحدا على سوء سلوك زوجته أو خيانتها له.. حتى إذا أعتبر البعض أن خروجها من دون أذنه فى هذا الصباح يعد غلطه فإنه خطأ لايرقى إلى مستوى العقاب الذى أوقعه الزوج على زوجته بالفضيحة التى سببها لها.. أمام أهله والناس.. على الرغم من أن السر الذى راح يطنطن به هذا الزوج لم يتوصل اليه بنفسه.. وإنما كانت رانده هى التى اخبرته به بنفسها.

وبعد جلسات ومداولات قضت المحكمة بطلاق رانده وممدوح لاستحالة استمرار الحياة الزوجية بينهما.. وكسبت هى عطف كل الموجودين فى قاعة المحكمة.. لكن أحدا منهم لم يعرف أنها خرجت من قاعة المحكمة إلى المقابر لزيارة طليقها!!.. ترى هل كانت تحبه فعلا.. أم أنها أرادت أن تؤكد لنفسها أنها لم تخطىء بزيارة الوداع.. أم أنها كانت بالفعل زوجه خائنه وهى الصفه التى نفتها رانده وشقيقة طليقها معا.. عموما.. النساء أسرار.

عفريت كريمة!



« .. أما كريمة فقد ذهبت إلى منزل عبد المنعم لتهنئته بالبراءة.. لكن زوجته منعتهما من الدخول فراحت كريمة تبكي بحرقة وهي تعود من حيث أتت! »

ذات صباح منذ خمسة عشر عاماً طلعت الشمس على قرية التبين المصرية بمفاجأة صارخه أذهلت عقول الناس ظهرت الست «كريمة» فجأة فى أولى ساعات النهار جرى الناس من أمامها وهم يضعون اطراف ملابسهم تحت أسنانهم.. العيون تمتلىء بالرعب والفزع.. والصرخات مكتومة فى الافواه.. إنها كريمة التى شيعوا جنازتها.. ودفنوها فى مقابر القرية.. وتقبل أهلها العزاء فيها فى سرادق كبير.. هاهى تطلع عليهم نهارا.. تمشى فى ثياب وخطى واثقة.. تبدو مذهولة من تصرفات الناس الذين أفسحوا الطريق أمامها وغادروا بيوتهم وهجروا حقولهم وتركوا حاناتهم هاربين إلى خارج البلده.. نفر قليل هرولوا إلى مركز الشرطة.. وقفوا أمام مأمور المركز يقسمون بالله وكل الايمانات أن عفريت كريمة ظهر فى الصباح!

صاح فيهم المأمور يسخر من خرافتهم وجهلهم ويطالبهم بعدم الانسياق وراء الشائعات!.. أحد أبناء القرية تجرأ وأقترب من المأمور ثم قال له : أن كنت لا تصدقنا أنزل معنا لتشاهد العفريت بنفسك!.. سأل المأمور الشاب وهو يشد نفسا من سيجارته فى عصبية: هل كنت هنا يا أخى منذ شهر؟!.. هل شاهدت جثة كريمة بنفسك كما شاهدها الأخرون؟!.. هل شاهدت أهل كريمة وهم يوارون جثتها بالتراب فى مقابرهم.. هى ذهبت مع أهل البلد لتقديم العزاء لأسرة كريمة؟!.. صاح الشاب نعم ياحضرة المأمور.. لكنى شاهدت عفريت كريمة اليوم أيضا! تشجع باقى الأهالى وطالبوا المأمور بالنزول معهم إلى القرية وهم يؤكدون له أن كريمة ألقت عليهم السلامات والتحيات منذ نصف ساعة.. وإنهم فروا من أمامها يسابقون الريح ليبتعدوا عن عفريتها!.. وضع المأمور «الكاب» أى الغطاء فوق رأسة وهب واقفا وكله يقين أن لابد وأن يلق الأهالى

درسا ينسيهم هذه الخرافات.. طلب منهم أن يتبعوه.. أخبرهم أنه سيسير على قدميه ويذهب فى بيت كريمة بنفسه.. تحرك موكب المأمور يحيطه عدد كبير من الضباط والجنود.. مشوا فى الطريق نحو بيت كريمة.. لكن المأمورنفسه توقفت قدماه فجأة وهو ينظر نحو إحدى السيدات.. اشر أبت أعناق الأهالى والضباط.. نظروا فى الاتجاه ذاته.. انعقدت ألسنتهم بينما صاح المأمور فى دهشة: يانهار أبيض.. دى كريمة أهى.. لاده العفريت ياجماعة!!.

أرتعد الواقفون بينما كريمة تقترب منهم تماسك المأمور وتظاهر بالثبات.. طلب من ضباطه الإمساك بكريمة.. اندفعوا نحوها.. كانوا على ثقة من أنهم سوف يمسكون بالهواء لأن العفاريت لاتستسلم لبنى آدم.. لكن خابت ظنونهم.. واسرعت كريمة من خطاها نحو الضباط أمسكوا بها بينما طار الأهالى من المكان تاركين المأمور والضباط وحدهم مع العفريت.

الشرطة فى مأزق! لاحظ المأمور أن الضباط والجنود يرتجفون.. بالأمس القريب حملوا جثة كريمة على ايديهم.. وقفوا إلى جوار الطبيب الذى فحص الجثة مع وكيل النيابة.. انتظروها خارج المشرحة مع أهالى القتيلة.. وها هى اليوم وعلى قيد الحياة بين ايديهم أمر المأمور الضباط بوضع كريمة فى الحجز! استجمع قواه وضبط أعصابه ثم أمسك بسماعة الهاتف يتصل باللواء محسن سرحان مدير المباحث بالمحافظة يخطره بما حدث.. زجر مدير المباحث المأمور الذى صدق تخاريف الفلاحين.. لكن المأمور عاجله قائلا: سيدى.. أن كريمة فى الحجز الأن! أغلق مدير المباحث الخط وبعد أن طلب من المأمور ألا يتحرك.. وأن يضع كريمة تحت الحراسة المشددة.. بعد لحظات وصلت كل القيادات الأمنية إلى مكتب المأمور.. عقدوا اجتماعا مطولا لدراسة الأمر.. بينما ظل الأهالى يتجمعون واحدا بعد الأخر خارج مبنى المركز وكلهم ثقة فى أن عفريت كريمة سوف يصيب كبار الضباط بالذعر.. لابد وأن يسبب لهم احراجا أمام الناس بعد أن تم ضبط المتهمين الذين اعترفوا بقتل كريمة واحيلوا إلى محكمة الجنايات منذ أيام!.. لقد فرض شريط الذكريات نفسه على كبار الضباط والأهالى فى اللحظة ذاتها.. منذ شهر بالتمام والكمال عثرت المباحث على جثة وسط الحقول.. كانت الجثة قد تحللت وضاعت

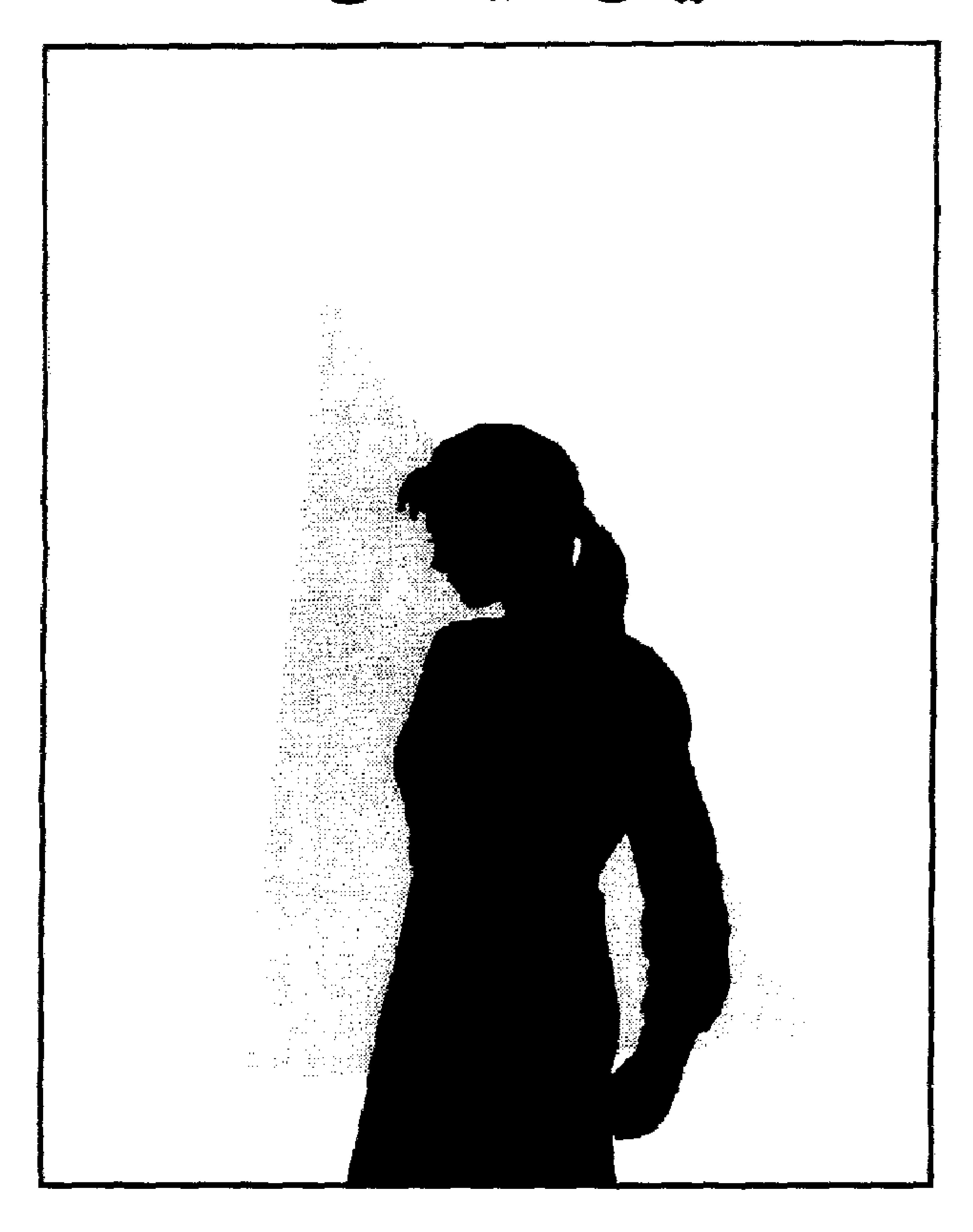
معظم معالمها.. وكما هى الاجراءات المعتادة فى الاجهزة الأمنية بدأ البحث عن بلاغات الغياب طوال أسبوع مضى الطب الشرعى أفاد أن القتيلة تعرضت للقتل منذ سبعة أيام كاملة.. وأكد استحالة رفع البصمات من فوق اصابعها أمسك الضباط بالدفاتر يبحثون عن بلاغ بغياب امرأة فى الخامسة والعشرين من عمرها كما رجح الطب الشرعى بعد معاينة الجثة.. لم يجدوا فى دفاتر الغياب غير بلاغ بغياب ثلاث أطفال وفتاة عمرها تسع سنوات وسيدة فى الخامسة والعشرين اسمها كريمة الشحات ابنه المرحوم حلاق القرية وكان لابد أن يتأكد الضباط من أن الجثة هى بالفعل جثة كريمة التى تطابق عمرها الحقيقى مع العمر الذى رجحه الطبيب الشرعى.. على الفور تم استدعاء أهل كريمة: قالت أم كريمة: ابنتى يوم غيابها خرجت وهى ترتدى قميص نوم داخليا أسود اللون.. شاهدتها بنفسى وهى تبدل ملابسها! وقال أخر زوج لكريمة: أعرف عنها علامة مميزه جدا.. يوجد فى بطنها أثار لجراحة استئصال الزائدة الدودية.. حوالى سبع غرز ظاهرة فى الجانب الأيمن من بطنها..كما توجد وحمة حمراء على شكل مشمشه فى منتصف ظهرها!

غرامة كريمة! أحضر الضباط أم كريمة وزوجها الأخير إلى المشرحة لقد تطابقت كل الأوصاف على جثة كريمة.. قميص نوم داخلى أسود أسف فستانها.. أثار جراحه فى بطنها.. ووحمه حمراء فى ظهرها.. كل شىء يؤكد أن الجثة لكريمة.. لكن كان لابد من الاحتياط الكامل بالمعاينة التى يقوم بها أهلها للجثة.. اندفعت الأم تقلب الجثة ثم صرخت بأعلى صوتها ياحبيبتى يا ابنتى.. مين اللى غدر بيكى كده؟ وتقدم طليقها الثالث نحو الجثة ثم لطم خديه مع النظرة الأولى اليها وهو يردد: كريمة.. هى كريمة.. لاحول ولاقوة إلا بالله! على الفور بدأت التحريات حول كريمة لمعرفة القاتل.. أين كانت فى اليوم الأخير الذى غابت بعده.. وماذا كانت تفعل؟! ولماذا قتلوها؟! أكدت التحريات أن كريمة ظهرت أخر ليلة وهى تدخل بيت المزارع عبد المنعم ولم يشاهدها أحد قط بعد ذلك!.. وقالت التحريات - أيضا - أن كريمة تزوجت ثلاث مرات وكان الطلاق هو النهاية السريعة لكل زيجة بسبب غرامها الذى أصبح على لسان أهل القرية كبارا وصغارا.. الكل يعرف أنها كانت تحب عبد المنعم.. لكنه كان متزوجا ويخشى من غضب أهل زوجته لو

أنه تزوج كريمة على زوجته أو طلق زوجته من أجل كريمة! اكتملت الصورة أمام رجال المباحث ولم يبق سوى القبض على عبد المنعم.. بالفعل وقع المتهم فى كمين أعده الضباط بمهارة.. أعترف بقتل كريمة لأنها كانت تلح عليه فى الزواج وتهدده بفضح اسراره أمام أهل زوجته؟.. هكذا قالت أوراق التحقيقات التى وضع عبد المنعم توقيعه عليها.. قالت - أيضا أن عبد المنعم أعترف أن ثلاثة من اصدقائه ساعدوه فى نقل جثة كريمة من بيته إلى أحد الحقول فى جنح الظلام بينما القرية كلها نائمة قبل صلاة الفجر بساعتين!.. أعترف الثلاثة بدورهم - أيضا - وأمرت النيابة بحبس عبد المنعم ورفاقه ثم احالتهم إلى محكمة الجنايات! نعود إلى اجتماع كبار القيادات الأمنية داخل مكتب مأمور المركز! ساد الذهول داخل المكتب النظرات الحائرة فى كل العيون.. أوامر تصدر باستدعاء كريمة من الحجز فورا.. تأتى كريمة وهى فى دهشة مما يحدث.. يسألها الضابط عن أسمها فتؤكد إنها كريمة الشحات ابنه حلاق القرية.. وإنها بالفعل كانت تحب عبد المنعم.. وكانت فى بيته ليلة اختفائها.. لكنها لم تتعرض للقتل.. ولم تدفن.. بل كانت فى الاسماعيلية!! قال مدير الأمن وهو يخبط المكتب بيديه.. إذن الجثة التى تشابهت فى كل أوصافها مع كريمة لم تكن هى جثتها.. لو كان بوليس سكوتلانديارد هو الذى يحقق فى القضية وأنت أم القتيلة وزوجها الأخير بالأوصاف ذاتها وأكدا أن الجثة لكريمة لوقعوا فى المأزق نفسه الذى وقعنا فيه.. إنها ملابسات لاتتكرر فى التاريخ إلا مرة واحدة.. كانت من نصيبنا نحن لسوء الحظ ! لكن قفز سؤال مثير: كيف اعترف المتهمون إذن بقتل كريمة فى الأورق الرسمية؟! السؤال وجهة مدير الأمن إلى رئيس المباحث الذى حقق مع المتهمين.. ويبدو أنه كان يعرف الإجابة.. لقد ظل رئيس المباحث صامتا للحظات أعتراه فيها الخجل كل الخجل.. ثم همس مدير الأمن: ربنا يسهل يا أبنى كانت العبارة تحمل تهديدا للضابط الشاب يعرف نبرته كل من تعامل مع مدير الأمن ومدير المباحث.. لكن الجميع سوف يتحملون المسئولية مع الضابط الصغير.. لذا طلبوا من كريمة أن تختفى فورا.. أن تظل بعيدة عن العيون حتى لاتتعرض للاذى.. تظاهرت كريمة بالموافقه.. لكنها قبل أن تنصرف سألت الضباط: وعبد المنعم.. هو فين دلوقتى؟ ! ويصيح فيها أحدهم: خليكى فى حالك.. وهتبقى تحت المراقبه.. وأياكى أن تظهرى فى البلد كلها.. الناس يعتقدون إنك عفريت.. ولابد أن يظل لديهم هذا الاعتقاد! خرجت كريمة.. وجرى الناس

من أمامها مرة أخرى.. لكنها لم تعاود الاختفاء كما طلبوا منها ذهبت إلى رئيس النيابة.. حكت له كل الملابسات.. صارحته بغرامها بعبد المنعم.. وإنها ذهبت إليه آخر ليلة لتصالحه بعد خصام طويل بينهما.. وبعد أن تأكدت من عدم وجود زوجته بالمنزل.. لكن عبد المنعم رفض مصالحتها فهددته بترك القرية كلها وقطع علاقتها به ثم خرجت وهى تبكى من بيته.. وبالفعل نفذت تهديدها وظلت تمشى فى الظلام حتى محطة القطار فى الثالثة صباحا.. ثم ركبت قطار الثالثة والنصف وابتعدت عن البلده حتى هدأت اعصابها وعادت بعد شهر لتجد نفسها قد أصبحت عفريتا فى عيون الناس.. ولما سألت عن عبد المنعم عرفت أنه مقبوض عليه فطار صوابها.. وفقدت عقلها!! تحفظ عليها رئيس النيابة حتى موعد جلسة المحاكمة صباح اليوم التالى.. وحضرت كريمة الجلسة وسط زهول كل الحاضرين.. وكانت إحدى المرات القليلة التى تطالب فيها النيابة ببراءة المتهمين فورا وبلا أى ضمان.. وتكليف المباحث بالتحرى عن صاحبة الجثة التى تم دفنها بالفعل.. خرج المتهمون وفوق وجوههم دموع الفرح تنهمر بغزارة وكانت الإجابة التى حيرت الناس الذين تساءلوا: ولماذا اعترف عبد المنعم ورفاقه بقتل كريمة دون أن يرتكبوا الجريمة.. قال عبد المنعم.. ولو كان شمشون مكانى لاعترف بما اعترفت به بعد أن عانيت مالايتحمله بشر.. استسلمت لكل طلبات المباحث وعندما طلبوا منى شركائى فى الجريمة اعترفت ظلما على ثلاثة من أصدقائى.. وواجهتهم بكل وقاحة لأوفر على نفسى المتاعب الرهيبة.. مثلما فعلت فعل أصدقائى.. اعترفوا بعد أن ذاقوا المر جميعا.. كنا جميعا لا نقول فى الزنزانة غير جملة واحدة نرددها مع كل آذان للصلاة يصل إلى أسماعنا من مسجد القرية البعيد عن المركز: حسبنا الله.. ونعم الوكيل.. بعد أيام صدرت قرارات وزير الداخلية بنقل عدد كبير من قيادات المحافظة فى أماكن أخرى لا تتعامل مع المواطنين.. ثم تمت إحالتهم للمعاش.. أما كريمة فقد ذهبت إلى منزل عبدالمنعم لتهنئته بالبراءة.. لكن زوجته منعتها من الدخول فراحت كريمة تبكى بحرقة وهى تعود من حيث أتت.

أين حياتي؟!



.. الفرح الأسطوري تحول إلى حزن اسطوري!

.. كانت داليا تنهار بين الحين والآخر حتى نقلت إلى المستشفى تحت حراسة مشددة!

كان الفندق الشهير.. فى قلب الاسكندرية قد اتخذ كل زينته لهذه الليلة التى ستكون حديث الثغر الجميل.. أو كما يسمونها عروس البحر الأبيض «الاسكندرية».. الليلة حفل زفاف واحدة من مليونيرات المدينة المعدودات على الأصابع الآنسة داليا طالبة بكالوريوس الطب الحسناء على زميلها نجل الوزير السابق!.. كل صحف ومجلات الصباح نشرت أخبارا مصورة عن الزفاف الاسطورى كما وصفوه فى المجلات.. سلوى شقيقة داليا الكبرى تبرعت بنشر إعلانات مدفوعة الأجر وعلى مساحات بارزة تحمل صورة العروس الجميلة وعريسها البطل الرياضى ونجل الوزير السابق.. فقراء المدينة علموا بالخبر فاندفعوا إلى الفيلا التى تقطنها الشقيقتان الثريتان.. لابد أن هناك موائد وولائم وصدقات توزع ذات اليمين وذات اليسار.. لم يكذب حس الفقراء والمتطفلين والمتسولين.. هرعوا كلهم إلى الوقوف فى طابور طويل منذ الصباح الباكر.. وكانت سلوى تقف فى شرفة الفيلا العلوية تلتقط لهم شريطا مسجلا على الفيديو!.. كانت تصور كل كبيرة وصغيرة منذ فجر هذا الصباح بكاميرات الفيديو المنتشرة فى أرجاء الفيلا.. تقول إنها أسعد مناسبة فى حياتها.. فهى التى ربت داليا وكانت لها أما واختا على الرغم من أن الفارق بينهما لا يزيد عن ست سنوات.. تتفاخر بأنها حافظت على ثروة ابيها الذى توفى قبل أربعة أعوام.. وحافظت على نصيب داليا التى شعرت باليتم وقسوته مع فقد أبيها.. فلم تكن قد تزوجت كما فعلت سلوى من قبل!.. كانت سلوى تردد طوال اليوم الحافل أن داليا هى روحها التى تعيش بها.. والهواء الذى تتنفس منه.. والنبض الذى يدق فى قلبها.. وكانت داليا تبكى وهى تعانق شقيقتها الكبرى أمام المدعوين وامتزجت دموعهما معا.

وفى المساء كان الحفل الذى تسابقت إليه شخصيات كبيرة ونجوم المجتمع من كل الفئات.. كانوا جميعا يشيدون بسلوى هانم التى انفقت ضعف تكاليف حفل زفافها من أجل عينى شقيقتها الصغرى.. كانوا جميعا يحسدون العريس الذى يخطو أولى خطواته إلى النعيم!.. لكن فجأة.. تكهرب الجو.. واشرأبت الأعناق.. وسكت الموجودون وكأن فوق رؤوسهم الطير..

نظروا جميعا فى اتجاه واحد حيث كانت قوات كبيرة من الشرطة تداهم القاعة.. وتمسك بثلاث أشخاص يجلسون إلى إحدى الموائد وبينهم حقيبة سمسونايت من الحجم الكبير.. فتش رجال المباحث الحقيبة لتبدو صورة الهيروين المفزعة وهو يملأ جنبات الشنطة!.. ألقت الشرطة القبض - أيضا - على سلوى وتصطحب داليا من كوشة الزفاف إلى الفيللا التى يسكناها حيث تتوالى المفاجآت.. أشخاص لا تعرفهم داليا يهبون من فوق أبراج الحمام!

تتساقط لفافات الحشيش من الأبراج.. وتنطلق الكلاب البوليسية فترشد الضباط إلى حجرات وسراديب داخل الفيلا ممتلئة عن آخرها بالمخدرات البيضاء والسوداء.

مخابىء بحجرة النوم!

تصرخ داليا مذهولة! تنتاب سلوى حالة من الهياج والثورة ويتعالى صياحها بأن ما يحدث مؤامرة.. لكن لا أحد يلتفت إليها.. بينما كانت الدموع فى عين داليا تعزف لحنا حزينا شد انتباه الموجودين!

كانت داليا تصعد مع الضابط ورجال المباحث إلى حجرتها وهى لا تصدق ما يحدث وكأنه كابوس مزعج فى ليلة العمر التى عاشت تتمناها وتحلم بمشاهدتها منذ ان كانت طفلة!.. مفاجأة جديدة.. رجال المباحث يخرجون من حجرة داليا ومعهم مخدرات جديدة كانت ترقد فى مخابئها السحرية بحجرة داليا.

أنا مظلومة.. قالتها داليا ورد عليها أحد المخبرين ماهم كلهم بيقولوا كده!

أنا بريئة قالتها سلوى ورد عليها أحد كبار الضباط بنبرات التحدى: لو كنت بريئة ساستقيل من عملى فورا!

خدعة سلوى هانم!

الفرح الاسطورى تحول إلى حزن اسطورى! وقفت الشقيقتان أمام جهات التحقيق تنفيان علاقتهما بالمخدرات.. كانت داليها تنهار بين الحين والآخر حتى نقلت إلى المستشفى تحت حراسة مشددة.. وكانت سلوى تواجه التحقيقات بقلب من حديد.. لكن المفاجأة الثالثة تنفجر حينما تقدم المباحث تسجيلات صوتية لسلوى وكبار المهربين والتجار على الرغم من حذرها الشديد.. هنا - فقط - تتخلى سلوى عن بعض كبريائها وتبدو عليها أعراض الهزيمة.. خاصة بعد أن تواجهها المباحث بعملاء الصفقة الأخيرة الذين تم القبض عليهم فى حفل الزفاف.. لقد أثبتوا أنهم يعملون لحساب سلوى.. وإنها كانت تبالغ فى حفل الزفاف وتدعو إليه كل الشخصيات المهمة التى تعرفها ليكونوا حائطا أمنيا لها إذا انكشف الأمر لأى عيب فى خطتها.. لكن المباحث لم ترهبها هذه الخدعة.. واقتحمت القاعة بإذن من النيابة العامة وفى وجود الأشخاص الذين ظنت سلوى أنهم حماية لها وقت اللزوم!.. وهكذا اعترف عملاء الصفقة الأخيرة.. وهكذا سقطت فى يدى سلوى التى لم تستطع مواجهة المهمين والأدلة التى قدموها ضدها.. بل اعترفوا بالثروات الهائلة التى حققتها مدام سلوى من استيراد المخدرات وترويجها بين تجار الجملة الكبار!

لم تنف الهانم المتهمة معظم التهم الصغيرة الأخرى.. لكنها أصرت على نفى علاقاتها بالتهمة الكبيرة.. جلب المخدرات.. إلا أن كلا الشقيقتين لم تتفقا فى أقوال كثيرة بالتحقيقات لفتت انتباهى وأنا أولى الدفاع عن داليا!.. كما أصرت داليا على أن يكون لاختها هيئة دفاع أخرى مستقلة عنها.. ووافقت على قضية داليا بعد أن قرأت التناقض فى أقوالها مع اختها وأحسست من خلاله أن هناك شيئا ما يشكل لغزا فى علاقة الأختين وبالتالى قد يؤثر فى أحداث القضية! قالت سلوى: أن داليا كانت الابنة المدللة لأبيها وأن المرحوم كان يدللها ويوصى دائما بأن تكون محل رعايتى واهتمامى إن اردت أن أرد له جميل تربيته لى.. وقالت داليا: أن أباها كان يقسوا عليها.. ولا يمنحها حقوق شقيقتها نفسها.. وأن سلوى نفسها كانت توقع بينها وبين أبيها لتكون ملء عينيه دائما.. ولم تتحسن معاملة سلوى لها إلا بعد أن مات الأب وأعلنت سلوى أنها ستدير أعماله بدلا منه!

قالت سلوى: إن عريس داليا نجل الوزير السابق عندما اختارها لم تتردد هى فى الموافقة.

وقالت داليا إن عريسها لم تكن تعرفه من قبل.. ولم تشعر تجاهه بأية عاطفة.. لكن سلوى هى التى فرضته عليها.. واشرفت بنفسها على اتمام زواج اختها منه! إذن ما هو سر الشقيقتين؟! سألت داليا .. وأجابت وهى منهارة.. قالت: «أبويا كان من أغنياء الاسكندرية.. ماتت أمنا ونحن صغيرتان فلم يتزوج أبى.. عشنا طفولتنا.. وفى فمنا ملعقة ذهب أنا وسلوى.. لكن مع الوقت بدأت أشعر بغيرة شديدة منها نحوى.. بل وتحول قلب أبى عنى.. خاصة كلما تفوقت فى امتحان كل عام جامعى.. وظلت سلوى تعيد الثانوية العامة مرات ومرات حتى اعتزلت الدراسة نهائيا.. من ذلك الوقت وهى تسىء معاملتى هى وأبى.. وبعد أن مات أبونا وورثنا عنه كل ثروته ظننت أن عطف سلوى نحوى هو استيقاظ لضميرنا.. لكنى كنت اكتشف كل يوم أشياء مريبة.. لا أفهمها.. ولا أعلمها.. كانت بشخصيتها القوية تفرض آراءها على حياتى.. والحقيقة أننى توقعت بأنها تمارس نشاطا ما.. لكن لم يخطر على بالى مطلقا أنها تتاجر فى المخدرات.. قد تسألنى لماذا أنا واثقة من اتهام أختى.. سوف أقول لك أن الأشخاص الذين ألقى القبض عليهم فى هذه القضية سبق وأن شاهدتهم مع سلوى.. وقدمتهم لى على أنهم من كبار رجال الأعمال.. وفى الحقيقة اكتشفت أن نصفهم من أصحاب السوابق.نعم.. أختى تاجرة مخدرات.. لكنى لن أعترف ضدها ولن أفتح فمى بما يسىء لها.. لكن أنا مظلومة وبريئة.. لست خائفة من العقاب.. ولا من الفضيحة بين الناس.. لكن كل ما يهمنى ألا أكون مظلومة.. الشواهد ضدى.. والفيلا التى عثروا فيها علىّ المخدرات هى محل إقامتى.. والحجرة حجرتى.. وما ينطبق على اختى سوف ينطبق على فلن يتصور أحد أنها كانت تخفى عنى هذا السر!.. أنا مستعدة لأتنازل لها عن كل حقوقى.. بشرط واحد هو ألا تورطنى معها فى تلك القضية وأن تلتزم الحق فيما تقول!».

دموع داليا كانت صادقة.. لكن لا يزال يبدو لى أن هناك سرا آخر.. قد لا تعرفه داليا نفسها.. وهذا ما كشفت عنه أقوال سلوى أمام الجنايات.. لقد فهمت سلوى فى إحدى الجلسات أن داليا أساءت إليها فى الأقوال فإذا بسلوى تفجر مفاجأة جديدة:

● داليا ليست أختى كما تعتقد هى.. أبى عثر عليها وهى صغيرة وكتبها باسمه وهو يستخرج لها شهادة ميلاد.. تربت بيننا.. ولم يصارحها أحد بهذه الحقيقة.. لكنها تشعر بأننا نعاملها بما لا يتفق مع كونها من دمنا ولحمنا.. لهذا فقد تحاول اختى الإساءة لى وتوريطى فى هذه القضية لتتخلص منى!

تحذير من المحكمة!

كانت الصدمة عنيفة على داليا.. لايزال الكابوس المزعج يطاردها بعد المفاجأة منذ ليلة زفافها الحزينة.. هل كانت سلوى صادقة فيما زعمت؟ لا تريد أن تخدع نفسها.. فالمعاملة السابقة كانت تدل فعلا على هذه الحقيقة.. خاصة قبل رحيل الأب.. لم تعد المتهمة الحسناء قادرة على تحمل هذه الصدمات.. خاصة شبح الإعدام أو السجن الذى يراودها فى كل لحظة!.. لكن كان لابد من الدفاع عنها من على بعد عبر الأقوال المرسلة والتركيز بشدة على الحقائق القانونية قبل التطرق لموضوع الدعوى.

إذن قرار النيابة باطل لسببين.. الأول تحديد القاعة الكبرى مكانا للتفتيش والضبط من دون تحديد اسم القاعة.. فقد كانت هناك قاعتان كبيرتان.. وفى كل منهما حفل زفاف مختلف عن الآخر.. والثانى أن موعد الآذان كان فى الثامنة مساء.. بينما تم التنفيذ فى منتصف الليل وبداية يوم جديد.. بما يعنى أن الاذن أصبح متعلقا بتنفيذه يوم الخميس.. بينما موعد الضبط يتم فى الواقع مع فجر الجمعة!

لم تستمع النيابة لأقوال شهود المتهمة الثانية داليا على الرغم من أنها استمعت لشهود اثبات لم تكن لهم علاقة مباشرة بحفل الزفاف الذى تم فيه الضبط وبدأت فى الاجراءات القانونية للدعوى!

كانت داليا منهارة على الدوام.. على الرغم من الدفوع القانونية التى تقدمنا بها وشهود النفى الذين اطمأنت إليهم المحكمة.. كانت ترتعد من مجرد تخيل ادانتها.. بل حذرتها المحكمة أكثر من مرة بحرمانها من حضور الجلسات إذا ظلت على حالتها العصبية الهستيرية أثناء نظر الدعوى.

أين حياتى؟!

آخر المفاجآت.. كانت على لسان المتهم الثالث زوج سلوى هانم.. استيقظ ضميرة فجأة.. وطلب كلمة مهمة أمام المحكمة.. قال: "لماذا نلغى عقولنا.. الأصوات فوق شرائط التسجيل هى أصواتنا بالفعل.. الأدلة كلها ضدنا.. والإنكار لن يفيدنا فى شىء.. المواجهات التى تمت بينى وبين زوجتى وباقى المتهمين من ناحية أخرى أكدت لجهاز التحقيقى ادانتنا.. ولن نكسب أى شىء.. لكننا سوف نخسر.. سوف يكون بيننا مظلومة مسكينة.. لو ورطناها فمن يتحمل ذنبها ونحن داخل السجون.. لقد تبت إلى الله ولا أريد أن أرتكب أى ذنب جديد بيدى.. نعم كلنا تجار مخدرات.. إلا داليا.

المفاجآت اذهلت الجميع.. تأكدت براءة داليا .. وإدانة سلوى وزوجها وباقى المتهمين.. نطقت المحكمة بالبراءة.. لكن داليا أجهشت بالبكاء.. كانت دموعها تمضى حارقة فوق وجنتيها وهى تنظر إلى اختها سلوى هانم تخفى وجهها من عدسات المصورين والصحفيين داخل قفض الاتهام! لحظة عصيبة.. يكسب فيها الإنسان براءته.. ويخسر أعز الناس.. وماضيه.. ويتشكك فى نسبه.. واصله.. وفصله!.. ولا يعرف أين حياته لحظة تصغر فيها الفرحة الكبيرة وتكبر خسائر صغيرة لم تكن فى الحسبان من قبل.

زنزانة زوجية



.. لم يكن هناك ما يستدعى انتباه شريف سوى الجمال المفقود الذى هرب من هذه السيرة.. هى أقرب إلى شكل الرجال من النساء، ومع ذلك ترتدى أخر الثياب النسائية.. لكن ثراءها كان واضحا تماما مثلما كان جمالها المفقود لا يحتاج إلى بيان!

هل يمكن أن يتحول عش الزوجية إلى زنزانة!.. هل يمكن أن تصبح الزوجة سجانا شديد القبضة.. حاد النظرات.. لا ينام ليلا ولا نهارا.. عيناه مفتوحتان على الدوام كى لا يهرب النزيل؟!.. حتى لو كان النزيل مرتبطا بعقد شرعى مع سجانه؟!

أسئلة كثيرة وغيرها أكثر دارت فى ذهن كل الذين يعرفون نجوى وشريف.. قصة صنع القدر معظم أحداثها.. وترك النهاية فى يد بطليها.. إلا أن نجوى قررت أن يستمر زوجها معها.. وألا يكون السجن هو مصيره المحتوم.. وقال شريف: السجن أرحم.. وألذ!

إنها واحدة من أغرب القضايا التى نظرتها محكمة الأحوال الشخصية وسط دهشة وترقب وفضول أبطال القضية وجمهور المتقاضين الذين نسوا قضاياهم وشغلتهم أحداث قضية نجوى وشريف!

البداية.. شهدها كشك زجاجى صغير لبيع الزهور بحى المهندسين الشهير.. ومعظم الأحداث شهدتها فيلا فخمة الديكور بأحد الشوارع الهادئة.. أما تفاصيل الحكاية فترجع إلى العام ١٩٩٥ وبالتحديد ذات يوم ثلاثاء حينما كان شريف داخل كشك الزهور يتصفح إحدى المجلات الفنية فى ضيق شديد من قسوة هذا الصيف الذى فرض نفسه بكل ثقة على ملايين المصريين فهجروا الشوارع، وتصببت أجسادهم عرقا، وعجزت أجهزة التكييف عن مواجهة موجات الحر والرطوبة المتتالية.. ولأن موقع كشك الزهور كان قبليا فكان جحيما مستعرة قد استوطنته وأبت الرحيل عنه.. لكن شريف كان يتحمل نار الطقس من أجل لقمة العيش التى تنتظرها أسرته من دخل هذا الكشك.. لقمة العيش هى التعبير الذى لا يفارق ألسنة أمه وشقيقاته البنات وأخيه الصغير.. لقمة

العيش هى التى جعلته يقلع عن حبه لفتاة الحارة التى احبته بجنون.. لقمة العيش هى التى جعلته يتفرغ للعمل بالكشك فور وفاة والده.. لقد ترك شريف دراسته الجامعية وأثر أن تظل شقيقاته البنات بعيدا عن العمل والشارع والاحتكاك بالجمهور.. ضحى بدراسته الجامعية وبحبه لهيام ابنة التاجر الثرى المعروف فى حى امبابة.. لم يكن امامه سوى هدف واحد.. العمل بكل طاقته وكل وقته حتى لا ينتصر الفقر عليه وعلى أسرته "وكوم اللحم" الذى يتحمل مسئوليته فى عنقه.. كان الفقر عدوه الأول والأخير على الرغم من كل مظاهر الثراء التى تحيط بمكان الكشك حيث يقضى معظم نهاره.. سيارات فارهة وأبراج سكنية ودور أزياء راقية ومحلات فراء وعطور مستوردة.. إنه عالم الأغنياء الذى يسيل معه لعاب شريف يوما بعد يوم.. عالم الثراء الذى يشعر شريف أن المسافة التى تفصل بينهما كما لو كانت تفصل بين شرق الدنيا ومغربها!

ظل شريف يقلب فى أوراق وصفحات المجلة الفنية وطيف هيام لا يفارق خياله.. إنها أجمل من حسناوات السينما والمسرح العرب والأجانب معا.. صوتها لا يزال يرن فى اذنيه وهى ترجوه أن يتقدم لطلب يدها.. وعيناها الواسعتان تلمعان وهى تنصت له حينما رد عليها مؤكدا أن ظروفه المادية توفر الطعام والشراب لأسرته بالكاد.. ولا تزحزحهم عن دائرة الفقر أبدا.. فمن أين له بالمهر والشقة والنفقات!.. تكرر الحوار والمشهد مرات ومرات حتى كان ذات يوم.. كما تتداعى الذكريات فى خاطر شريف وهو لايزال يتصفح المجلة - هل هى هيام تحضر له فى المرة الأخيرة وتبلغه بأن عريسا قد تقدم لها.. وإنها صارحت أمها بحقيقة حبها لشريف فوافقت على أن يتقدم لها وتساعده ماديا دون أن يعلم والدها.. يومها رفض شريف وهاج وماج وشاطت أعصابه فلم تجد هيام غير أن تقطع زياراتها له وتنسحب فى هدوء.. لكن سيارة مسرعة تفتك بهيام أمام كشك الزهور وتتحول هيام إلى جثة هامدة فى لحظات!

مشهد لم يغب يوما عن عينى شريف.. قلبه لايزال موجوعا الفقر فى حياته لايزال ملعونا.. الأيام فقد حلاوتها.. الدنيا أصبحت غير الدنيا.. لكن لا أحد يوقف عقارب الزمن.. لابد أن يأتى يوم جديد.. وأسبوع جديد.. وعام جديد.. لكن جرح هيام لم يلتئم أبدا فى قلب شريف!

لاتزال الذكريات تتداعى فى ذاكرة شريف.. وفجأة.. ألقى بالمجلة الفنية جانباً.. وعاد خطوات إلى الخلف لتفادى أشعة الشمس الحارقة.. إلا أن سيارة فارهة أخذت ببصره ففتح عيناه دهشة وارتفع حاجباه وهمس لنفسه: "يا خبر أبيض.. مليون جنيه تتحرك فوق الأرض".. ويتوقف انتباه شريف وهو يرصد سيدة تنزل من السيارة وتغلق الباب خلفها فى لا مبالاة ثم تقترب من كشك الزهور رويدا رويدا!!

مساء الخير

أهلا يا هانم

لم يكن هناك ما يستدعى انتباه شريف سوى الجمال المفقود الذى هرب من هذه السيدة.. هى أقرب إلى شكل الرجال من النساء مع ذلك ترتدى أفخر الثياب النسائية.. جسدها نحيل وعيناها غائرتان وشعرها قصير مجعدا!.. صوتها جاف.. وأصابعها خشنةوهى تصافحه لأول مرة!.. الثراء يبدو واضحا وضوح الشمس.. لكن الجمال المفقود يبدو هو الآخر واضحا كالنهار!.. على الرغم من ذلك راح شريف ينافقها بلا مبرر وهى تتجول بين الزهور.. همس لها بحيرته بعد أن فقدت الزهور اشراقتها منذ لمع بريقها داخل الكشك.. استعذبت حديثه.. وشجعته بنظرة من عينيها على أن يهمس لها بالمزيد كان يحفظ بعض أبيات الغزل فوجد نفسه يكذب عليها ويخبرها بعد أن انشد أبيات الشعر أنه نظمها من وحى اللحظة.. وارتجلها وهو يتابع خطواتها بين الزهور.. ضحكت وجلست على أقرب مقعد.. فتحت حقيبتها وأخرجت مائة جنيه ثمنا لبعض الزهور لا يتجاوز ثمنها عشرين جنيها.. لكن شريف رفض أن يمد يده.. أصر على أن يمنحها الزهور هدية.. لقد كبرت اللعبة فى ذهنه.. تذكر صديقه الذى تخصص فى الإيقاع بالسيدات غير الجميلات اللاتى يتمتعن بالثراء!..

قرر أن يجرب كل الأسلحة التى كان يسخر منها.. لقد فشلت أسلحته التقليدية فى حرية ضد الفقر.. فلماذا لا ينتهز الفرصة التى جاءته دون أن يخطط لها.. خاصة وأن زائرته لم تغضب.. ولم تتجاهل غزله أو تتنكر له أو تنصرف عنه.. بل شجعته على المزيد.. لأول مرة يشعر أنه قريب من عالم المليونيرات.. قريب للغاية.. نجح فى طرق أحد أبوابه فانفتح له على مصراعيه.. هكذا أكدت له نظرات الإعجاب المتتالية التى

انطلقت من عينى زائرته تتامله ثم اصطنعت حوار انتهى بموعد جديد طار له شريف فرحا.. خاصة حينما أعطته نجوى هانم هاتفها!.. لأول مرة يشعر بطعم وحلاوته وأثره فى النفس الميتة وكأنه أعاد إليها الروح من جديد!

غرام وانتقام!

تكرر اللقاء.. وتعددت الحوارات وانجبت كذبة شريف وأكاذيب سيطرت على عقل نجوى.. وشغلت وقتها.. فراحت تتشبث به.. وتدعوه إلى نزهات متتالية فى أرقى المطاعم والمسارح.. قفزت به إلى سطح الدنيا.. بهرته بمالها.. وبدأت تستدرجه إلى حكايات الماضى.. جعلته يشفق على تجاربها مع الرجال.. زوجان وحبيب كما حكت له نجوى حطموا قلبها واستولوا على جزء كبير من أموالها.. وحينما اكتشفت طمعهم راحت تتخلص منهم واحدا بعد الآخر.. بالطلاق أو الهجر!

وتظاهر شريف أنه وقع فى غرام نجوى.. واشعلت هى عواطفه.. شجعته على أن يطلب يدها.. لم يصدق نفسه وهو يعقد قرانه عليها فى أكبر فنادق مصر حيث أقيم أيضا حفل زفافهما الأسطورى.. تزوجا بشروط وصفتها بأنها شروط تمليها عليها تجاربها السابقة وغدر الرجال معها.. جلس شريف وكتب شيكا بنصف مليون جنيه دون رصيد.. وكتب فى قسيمة الزواج مؤخرا صداقة مائة ألف جنيه.. لم يندم لحظة واحدة.. فها هو قد انتقل ليصبح سيد القصر وصاحب البيت الكبير.. يقود أفخم سيارة.. ويرتدى أفخم الملابس.. بل ويمد أسرته بالمال الوفير والهدايا القيمة.. لقد انتقل إلى حياة جديدة لم يألفها شريف من قبل.. أو على حد وصفه لم يشاهدها حتى فى أفلام السيما!

لكن الأيام لم تكن فى صالح شريف أبدا.. شعر أنه سجين أسرته امرأة شرسة.. أوامرها لا تنتهى غيرتها لا تتحمل.. كل المساحات الحرة التى كان يتمتع بها وهو فقير حرمته نجوى منها.. تستيقظ من نومها صباحا فتظل أمامه.. لا يخرج.. لا يتحدث فى التليفون ولا يرد على المكالمات.. لا يقترب من النافذة خاصة حينما تكون هناك فى الشارع انثى.. أية أنثى.. كانت نجوى تمده بالطعام طوال النهار كأنه حيوان أليف.. وتحاصره إذا تقلب على جانبيه استيقظت.. وإذا غادر السرير قامت خلفه.. وإذا أشعل

سيجارة أشعلت معه سيجارة.

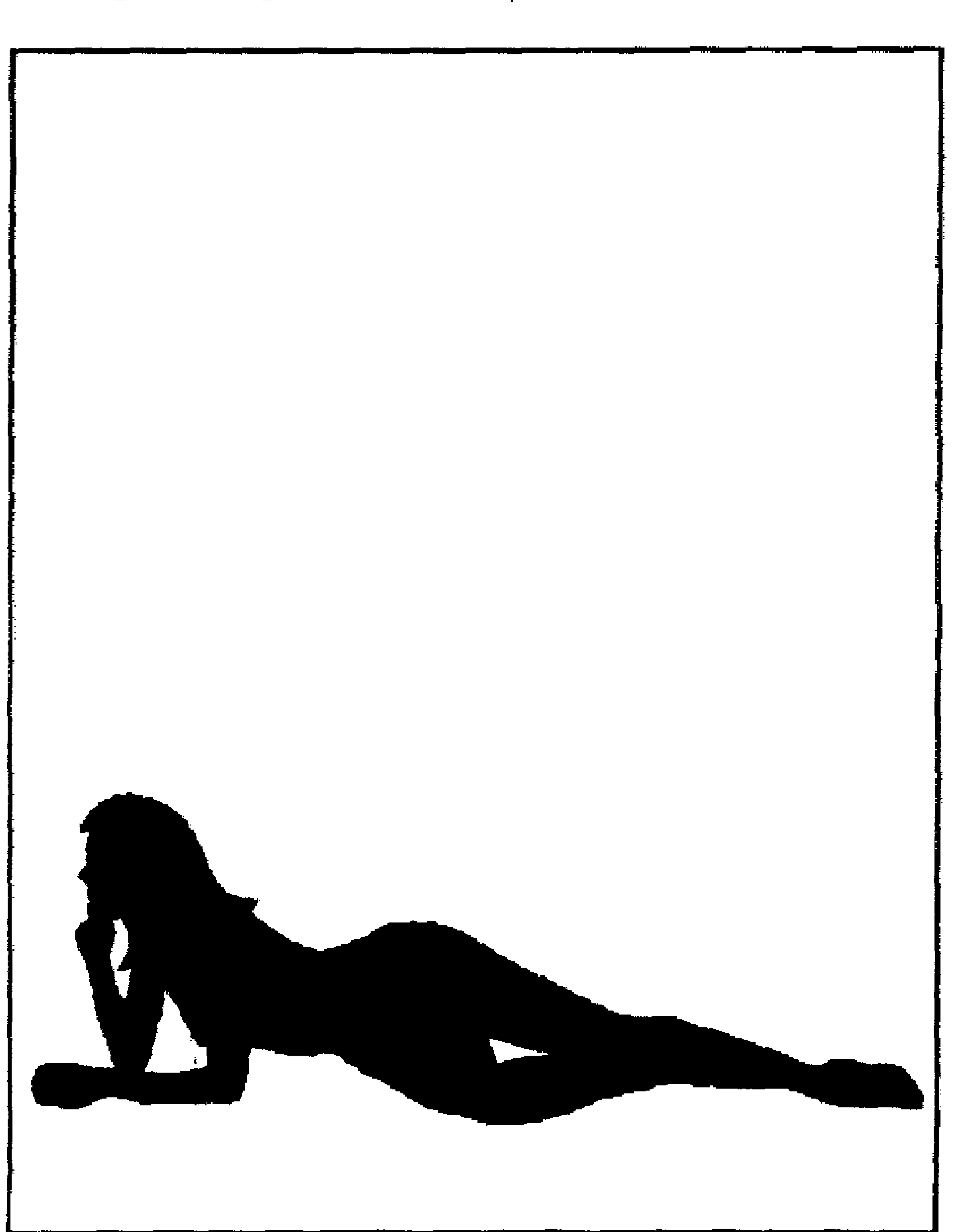
بعد عامين ونصف العام أفاق شريف من غفوته.. ماتت أمه وصار محروما من رؤية أخوته.. كانت نجوى تقنعه بأن المال يصل إليهم ولا يحتاجون شيئا.. وكان شريف يثور لأن من حقه الاطمئنان على أشقائه إلا أن نجوى كانت تخفى داخلها سر عدم السماح له بالخروج خوفا من أن يلتقى بنساء الحارة التى تربى فيها كانت تعتقد أن إحداهن سوف تخطفه منها!

وضاق شريف بحياته فهجر الفيلا والمال وعاد إلى بيت اسرته القديم يبكى ويشكو كما تشكو النساء التعيسات.. لقد سرقت نجوى شبابه ودمرت صحته وحبسته فى زنزانة كبيرة.. وها هى ترفع ضده جنحة شيك بدون رصيد بنصف مليون جنيه.. ذهبت إليه تحذره للمرة الأخيرة.. صارحته بأنها لا تزال تحبه كما لم تحب من قبل.. وأنه لو فكر فى طلاقها فلن يصبح أمامها سوى الانتقام منه وادخاله السجن!

لم يشعر شريف بالخوف.. لم يرهبه الوعيد.. صرخ فى وجهها "أعلى ما فى خيلك اركبيه".. استسلم لقدره.. بل ورفع قضية طلاق أمام المحكمة شرح فيها كل قصته وحكاية الشيك الذى سيدخله السجن على يد زوجته.. ولحسن حظ شريف إننا وضعنا يدنا على خطأ فادح فى الشيك وقعت فيه نجوى.. أفسدنا الشيك أمام محكمة الجنح.. لكن تبقى مؤخر الصداق بعد أن قضت محكمة الأحوال الشخصية بالطلاق.. كان مطلوب من شريف مائة ألف جنيه.. وبينما اقتربت من تجهيزها ظهرت شيكات أخرى يبدو أنها جعلته يوقعها خلسة وفى غفلة من نفسه!

انتهى الزواج وصار الطلاق واقعا.. لكن موقف شريف ظل متأزماً.. السجن يتهدده.. وكل محاولات نجوى لإعادته إلى عش الزوجية باءت بالفشل.. كان مصرا على أن السجن ارحم من هذه المرأة السجانة. وربما كان معه الحق.

خيانة زوجية بالصوت والصورة !



.. أصبحت هى سيدة القصر وبأموال دسوقى قفزت شركاتها إلى الصفوف الأولى.. وظل دسوقى فى حياته الخاصة معها يشعر أنها الملكة وأنه أحد رعاياها !

لا أحد يستطيع أن يمنع الموت عن أحد مهمة مستحيلة منذ بدء الخليقة فالجميع سواسية أما عزرائيل والجميع مهزومون راحلون غير مأسوف على بعضهم بينما تشيع الدموع والأحزان والقلوب الكسيرة بعضهم الآخر لهذا اقتنع دسوقى بك دون جهد كبير بأن حبل المشنقة لن يلتف حول رقبته إلا بإرادة الله كان كل ما يهم دسوقى بك ألا تشمت فيه داليا حينما ترتفع الراية السوداء على سارية السجن ذات صباح معلنة عن اعدامه الغريب أنه كان يستهين بالسجن ويتشده ويكاد يسعى إليه هربا من الموت شنقا فقد كان يردد باستمرار أنه قادر على الانتقام من داليا وهو خلف القضبان أو بين جدران زنزانة انفرادية أو تحت سقف الليمان المهم أن يظل حيا نابض القلب قادرا على رد الصفعة صفعات كان يقول أن الموت لا يهون إلا فى حالة واحدة عندما يشاهد بعينيه جنازة داليا أو يسمع عنها باذنيه ممن يثق فيه لقد انتقم من غريمه كما كان يحلو له الانتقام لكن داليا افلتت.

وعاش دسوقى بك شهورا طويلة يملؤه الرعب ويكهربه الذعر ويموت فى جلده ألف مرة كلما جاءت سيارة الترحيلات إلى السجن لتنقله إلى جلسة جديدة من جلسات محكمة الجنايات.

الجميع كانوا واثقين من أنه وراء أخطر جريمة وقعت على أرض صحراء الاسماعيلية على طول الطريق الممتد من القاهرة الجميع اشفقوا عليه من حبل المشنقة الذى سيلتف يوما حول عنقه فيطرده من الحياة ويدخله فى عداد المغادرين إلى غير رجعة لكن أوراق القضية كانت تحمل للدفاع فرصة العمر التى قلما تتكرر وتهب الأمل لمتهم كان يتوقع إعدامه قبل غيره.

لا تكشف أوراق القضية من عالم النساء سوى امرأة واحدة صنعت شباب دسوقى بك بانوثتها التى لا تقاوم ولا تصد ولا ترد وهى نفسها التى تساهم فى هذه القضية وغيرها فى وضع حد لحياة زوجها رجل الأعمال الشهير.

الأوراق فيها حب وانتقام وخيانة ودماء فيها وجوه من قمةالمجتمع فيها يضحك الأبطال حتى تدمع عيونهم يبكون حتى تتخلع قلوبهم.

دسوقى بك لم يدخل قسم الشرطة من قبل إلا لزيارة أصدقائه الضباط أو التوسط للإفراج عن أحد موظفيه لكنه بدأ المشوار من آخره عند بوابة السجن التى شهدت تجمعا هائلا من موظفى وعمال شركة المتهم ومديريه وبطانته ومنافقيه كلهم قالوا له شد حيلك يا باشا ولا يهمك كان المشهد مزعجا لرجال الأمن ولدسوقى نفسه فقد كان أخشى ما يخشاه أن ينقلب عليه الأمن ويترصده ويشفى غليله فيه كان يسمع كثيرا عن السجن والنزلاء لكنه لم يتخيل يوما أن يكون أحدهم والسبب كما قال بلسانه غلطة قلب.

ما هى قصته وهل كان يمكن لإنسان غيره فى مثل ظروفه أن يتصرف بشكل آخر ويلتزم الحكمة والبرود والصبر.

المحظوظ الا مرة.. منذ صغره أطلقوا عليه المحظوظ يوم ولادته حينما ترقى أبوه فاعتبروه أهم الأبناء جميعا وبينما كان صبيا أعرضت عنه ابنة الجيران فاشفقت عليه من هى أكثر منها جمالا وانوثة وفى شبابه المبكر حصد المركز الأول على محافظته فى امتحانات الشهادة الثانوية وعندما صار فى الجامعة التفت حول الفتيات وبعد تخرجه لم يجد هوى فى الوظيفة الحكومية التى تنتظره على طبق من ذهب اكراما لوالده المدير العام لكنه وجد ضالته فى التجارة لم يكن يعوزه فى هذا المجال سوى رأس المال إلا أنه لم يلبث حتى وجد حلا لمشكلته المضنية التى تؤرق عليه نومه وتنغص عليه حياته سرح طويلا فى عرض أبيه لماذا لا يتزوج ابنة عمته نعيمة إنها ثرية للغاية وجميلة لكنها تافهة لهذا لم يكن صديقا لها ولا حاول التودد إليها أو السعى نحو بيتها كما كان يفعل اقرانه من الأقرباء كان يأتى عليه وقت بين الحين والآخر فيتذكر اسمها ويفتش فى خياله عن ملامحها فلا يعثر لها على أثر كل ما يتذكره عنها أنها كانت موصوفة باللؤم فلا يذكر أحد أفراد العائلة اسمها حتى يلحقه أحد الموجودين بلقب اللئيمة لكن دسوقى لم يكن

يضايقه فيها هذا اللؤم وحده كان أشد أما يكرهه فيها هذه التفاهة إن هى تحدثت أو دعيت للحديث وهذا الإهمال الذى يبدو واضحا على ملابسها والألوان التى تختارها لتلك الملابس يسمع أن معظم وقتها تقضيه فى المطبخ وباقى الوقت تستثمره فى الغيبة والنميمة ورجم الناس بالظن الأدهى من ذلك أنها رغم كل ما ترفل فيه من نعمة وثراء لا تذهب إلى الكوافير إلا نادرا ولا تغير ملابسها إلا إذا باتت شديدة الاتساخ.فكر دسوقى طويلا ثم قال لنفسه وماله المهم نقطة الانطلاق فلوس المشروع وبعدها يستقيم حالها أو يصبح عندى المبرر المناسب لطرح الثقة فى صلاحيتها كزوجة.

تزوجها دسوقى ولهذا كان حينما يصفه الناس بأنه محظوظ يقهقه ضاحكا ويغمغم قائلا والله محظوظ إلا مرة واحدة لما اتجوزت نعيمة.

العاصفة.. الغريب أن نعيمة خذلت ظنون دسوقى وباتت بعد الزواج امرأة أخرى جديدة غير التى يعرفها الناس اهتمت بنفسها وراعت جمالها واقتربت من عالم زوجها لكن دسوقى افندى ظل يعاملها وكأنه أعمى العينين فلم يراها يوما إلا نعيمة اللئيمة.

والأغرب أن الزوجين احتفظا بإيقاع هادىء فى حياتهما حسدهما عليه الناس فلا هى حاولت أن تجعل من نظراته العمياء لها مشكلة تهدد سعادة هذا البيت السعيد ولا هو استسلم لنزعات التمرد التى كانت تنتابه كثيرا ليطرد من حياته امرأة لا يحبها لكنه لا ينكر انها سر اسراره ولولاها ما أصبح على هذا القدر من الثراء وهذه المساحة من الشهرة، لقد منحته كل مالها عن رضا، فإذا بهذا المال ينمو ويتضاعف ويتشعب ويتسع ويفيض عن حاجة ألف رجل وألف امرأة مدى الحياة.

سنوات طويلة مضت وكلاهما يتحكم فى أعصابه ويحرص حرصا ألا تفلت منه مهما بلغت تجاوزات شريك عمره وتخطت كل الحدود ورغم لحظات الكبرياء التى كانت تصادف دسوقى بك وهو يهمس لنفسه من خلف المكتب الوثير ما قيمة المال بغير حب لقد اشترتنى نعيمة عندما بعت نفسى فى سوق الرجال.

ربما كان غرورا أصاب دسوقى لكنه كان يسترد وعيه وتواضعه كلما تذكر داليا وهى تتنازل أيضا عن الكثير من حقوقها تسمع عن انحرافه فتتظاهر بالغباء يخبرونها بحكاية

كل حسناء تغزو قلب زوجها فترد فى برود وثقة معا كل واحدة من الستات دى نزوة أما أنا فالزوجة الأصل البيت.

وكان هذا الرد يضحك دسوقى بك ويعلو ساخرا دى بقيت فيلسوفه يا جماعة حد يقوللى جابت الكلام ده منين.

ظلت حياتهما شبيهه بحالات اللاسلم واللاحرب، لكنها بقيت مستمرة زوجة لا تبرح شقتها ولا يهمهما من أمر الدنيا سوى رعاية أولادها الذين كبروا وزوج قرأ كتاب المرأة كاملا كل يوم صفة جديدة تجربة جديدة طعم جديد والمنهج لا ينتهى أبدا إذا وصل إلى النهاية عاد من حيث بدأ المرأة كالبصمة لا توجد امرأة تشبه أخرى أبدا لهذا ظل حريصا على جمع البصمات الأبيض منها والأسمر النحيفة فيها والبدينة الطويلة والقصيرة حادة الذكاء وشديدة الغباء.

وبلغ الخامسة والخمسين فشعر أن دنيا المرأة لم تعد تحمل جديدا فاعتزل نزوته وجافى رغبته لكن أحد أصدقاء الطفولة قال له مداعبا هذه ليست أعراض الحكمة يا دسوقى لا تحاول اقناعى بانك شبعت اعتزلت انت يا صديقى أصابك ما أصابنى.

لم تمر كلمات الصديق على دسوقى دون أن تترك اثر حزينا رغم أنه تظاهر وقتها بالضحك رغم قسمه لصديقه بأنه لم يفقد بعد أيا من أسلحته.

كثيرا ما جلس يفكر فى كلمات صديقه لماذا لا تعبر عن حقيقة يهرب أو يتهرب منها استعاذ بالله وطرد كل أفكار السوء وانغمس فى نشاطه وعمله حتى بلغ الستين عاما حينما هبت العاصفة لم يكن هناك أى نذير أو بشير أو مقدمات لما حدث لقد طلعت عليه ذات يوم فى إحدى شركاته جاءت تتعاقد على صفقة لم تكن مهمته مقابلة العملاء أو عقد الصفقات لكن حظه هوالذى دفع به إلى لقاء امرأة مبهرة الجمال سمع صوتا يهتف فى أعماقه بأن المال وحده لا يكفى والعمر لا يحياه الإنسان سوى مرة واحدة تودد إليها واقتربت منه اختصرت المسافات شجعته ولم تتدلل هى عليه فاحترمها طلب منها الزواج فقالت بوضوح عندى شروط تطلق زوجتك ولا تمنعنى من إدارة شركتى والخروج إلى عملى ولا تتدخل فى تعاملاتى مع الناس.

دون تردد أجابها بالموافقة ودون تردد اجابته بمكافأة قديرة رفضت أن يقدم لها بيت الزوجية أو يرهق نفسه بأية أعباء كانت الشبكة هى كل مارضيت أن يهديه إليها بمناسبة زواجها.

واقتلعت العاصفة بيت نعيمة طلقها دسوقى بك واقتلعت العاصفة كل مشاعر الخوف واليأس من قلب دسوقى وهو يطير من الفرحة بعد أن ثبتت رجولته بعد الستين عاما من عمره.

نسى الموظفون نعيمة ونساها الناس وربما نست هى الأخرى نفسها كانت تعتبر دسوقى منذ اليوم الأول عصفورا لابد أن يلحق ذات لحظة بعيدا بل كانت نعيمة تتفاخر بأنها احتفظت بزوجها فترة قياسية وحينما يتخلى عنها بعد كل هذا العمر فلن تصيبه غير الخسارة.

أصبحت داليا هانم سيدة القصر وباموال دسوقى بك قفزت شركاتها إلى الصفوف الأولى لكن يظل دسوقى بك فى حياته الخاصة معها يشعر أنه أحد رعايا الملكة لم ينتابه هذا الشعور إلا بعد عامين فقط من الزواج لم تعد داليا كما كانت تغيرت معه غيابها عن البيت يطول ويتزايد حتى إذا رجعت لعنت ما تشعر به من ارهاق وتعب بسبب عملها ليل نهار وتأوى إلى الفراش كأنها نزلت قبرا لا تقوم منه أبدا.

لم يكن صعبا على دسوقى بك وهو الفارس المغوار المحترف أن يعرف ماذا أصاب زوجته نظرة واحدة فى عينيها وهى تحدثه كفيلة بأن تكشف كل ما لا يعلمه عنها لكنها نظرة تحتاج إلى قلب يموت ولو للحظة واحدة لم يتردد دسوقى تجرد من عواطفه المدمرة والتقط من نظرته أشياء تعلمها من تجاربه فيها مضى تمنى لو خدعته مراسته وخاب حدسه وكذبت خبرته فهو لا يريد أن يفقد داليا أبدا إلا أنه كالأسد الجريح زم شفتيه غضبا وقرر أن يصل مع ظنونه إلى نهاية الشوط.

السقوط.. تأكد بنفسه أنها تخونه خبر الخيانة لم يكن أغرب من خبر شريكها فهو سائقها الخاص المقارب لها فى العمر دبر حيلة ماكرة انفق عليها مائتى ألف جنيه ومكنته من مشاهدة الخيانة بالصوت والصورة رفض أن يطلقها فالطلاق قد يحل مشكلتها

وتبقى مشكلة العار تلازمه وتلاحقه وتقتله فى كل لحظة اجتمع بكبار مساعديه وصارحهم بالأمر فدبروا له حيلة جديدة قرر أن يدفع ثمنا لها ما يشاؤون رصدوا السائق وتجسسوا عليهما اخترقا حياتهما الخاصة وذات مساء ذهب السائق لإحضار داليا من الشاليه الخاص بها بمدينة الإسماعيلية لكنها اعتذرت لمرضها فعاد وحده ظن المتربصون أنها معه فى منتصف الطريق أطلقوا مدافعهم الرشاشة فخرجت عشرات الطلقات تتدفع كحبات المطر احترقت السيارة ومات السائق لكن داليا نجت طار صواب دسوقى لعن رجال المهمة الذين هربوا بعد الحادث فلاتزال نصف المشكلة موجودة لم ينته العار لابد من الوصول إلى داليا بسرعة لكن رجال المباحث وصلوا إلى رجاله قبل أن يصل دسوقى إلى داليا.

اعترفوا بالجريمة وبرروها بأن دسوقى بك وهب نصف مليون جنيه لمن يريه يوما أسود فى حياة السائق القتيل.

ركزنا على المتهمين لم يعترفوا صراحة بأمر قتل اصدره إليهم دسوقى بك ومعنى اليوم الأسود كما ينتهى بالموت قد يبدأ بالشجار أو صفعة فوق الوجه فربما كان دسوقى بك يريد باليوم الأسود خسارة مادية للمجنى عليه أو تلقينه درسا بضرب مبرح لكنه لا يمكن الجزم فى أنه أصدر أمر قتل بل يظل هذا الأمر تحت مظلة الظنون والشك.

ولم يصدر حكم الإعدام على دسوقى فقد قضت المحكمة بالاشغال الشاقة خمسة عشر عاما على منفذى الجريمة والأشغال المؤبدة على رجل الأعمال دسوقى بك.

ربما راعت المحكمة مشاعر المتهم الزوج وهو يشاهد الخيانة صوتا وصورة فقد حرص المتهم على تقديم شريط الفيديو إلى المحكمة ربما داخلها الشك فعلا فى نية دسوقى بك الذى لم يحرص على القتل بصريح العبارة أو حتى بشكل غير مباشر وانما بعبارة تحتمل كل ألوان الانتقام التى اختار الجناة اشدها وربما اخذت المحكمة بكل هذه الأسباب مع باقى الأسانيد التى طرحناها فى قاعة المحكمة وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فإن قاعة المحكمة تذكرنى على الفور بلحظة النطق بالحكم المؤبد على دسوقى بك فلم يبق أحد فى القاعة مثلما بكت نعيمة وأولادها.

غـرام بالعافيـة!



.. كـانت تعـتـرف وكـأنهـا إحـدى بطلات رواية من روايات الحب الأفلاطونى.. قـالت نجوى أن السجن أهون عليـها من أن تكذب على الرجل الوحيد الذى احبته!

هذه قضية من أغرب القضايا التى دارت فصولها الأخيرة داخل قاعة محكمة الجنايات.. قضية مليئة بالمتناقضات.. الغنى والفقر.. والصحة والمرض.. الإدانة والبراءة.. فيها نساء يمثلن قمة الإحترام.. ونساء تعبر حياتهن عن قمة الخداعة.. فيها الحب والغدر.. ورجال لا يقولون الا صدقا.. وآخرون لا ينطقون الا كذبا..! نظرتها المحكمة عامين ونصف العام.. تابعها الرأى العام بشغف بالغ.. ورصدتها كاميرات الصحفيين وميكروفون الإذاعة وشاشات التليفزيون فى البرامج المتخصصة فى الجريمة..! أبطالها يتكونون من مليونير معروف.. وجامعية حسناء.. وراقصة مغمورة.. وضابط شرطة تحت التمرين..! ومثل الشر فيها بشكل مطلق، شاب انتهازى، منافق متسلط..! ولم يكن دفاعى عن المتهمة فى الدعوى المثيرة دفاعا عاديا.. أو حتى غير عادى.. إنما كان دفاعا غير مسبوق.. دارت أحداثه بين القاهرة والإسماعيلية ومدينة لندن عاصمة الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس.أما الحكاية من البداية فكلها مثيرة.. وغريبة.. ومدهشة..!

البطلة فى القضية هى الحسناء نجوى.. ابنة المليونير المعروف عاطف باشا.. والآن إلى التفاصيل المثيرة!

هنا.. فيلا المليونير عاطف باشا..! فيلا شاسعة تحت الإنشاء بالقرب من مدينة الإسماعيلية.. فى مدخل الفيلا تقف سيارة مرسيدس سمراء أحدث موديل.. وإلى اليمين كشك خشبى خاص بالخفير الخصوصى للفيلا.

فجأة .. تدخل سيارة فارهة بأقصى سرعة تكاد تصطدم بكل ما يقابلها لولا المهارة الفائقة للحسناء نجوى هانم ابنة المليونير.

يقف قناوى الخفير فى ذهول.. تتابع عيناه فى دهشة سيارة ابنة الباشا التى تتوقف عند الباب الداخلى.. تنزل نجوى فى عصبية.. تنطلق إلى داخل الفيلا وكأنها تقتحمها.. ينعقد لسان الخفير قناوى.. لا يصدق ما يراه.. الآنسة نجوى على الرغم من ثرائها الكبير مهذبة للغاية.. لم يرها على هذا الحال من قبل.. تلقى التحية على الصغير قبل الكبير.. لكنها هذه المرة لم تنظر نحو قناوى ولم تلتفت خلفها لتحيته كما كانت تفعل وهى على عجلة من أمرها! تيقن قناوى أن اليوم لن يمر على خير.. خاصة وأن زيزى العدو اللدود لنجوى هانم فى الطابق الثانى من الفيلا مع عاطف باشا!!

اللحظات تمر فى تثاقل.. وبطء.. شديدين ويجلس قناوى على اريكته الخشبية مهموما يرتعد جسده.. نظراته معلقة نحو الطابق الثانى حيث تدور بالتأكيد أحداث ساخنة .. الطابق الثانى هو الطابق الوحيد فى الفيلا الذى تم تجهيزه للمعيشة.. ولكن بشكل خاص جدا.. فهو لا يضم غير جناح فخم للنوم.. وريسبشن تزوغ العيون فى تحفه وديكوراته وأطباق الفاكهة التى تملأ جنباته.

أما باقى أنحاء الفيلا كانت تحت التجهيز.. لهذا ترامت كتل الحديد وأجولة الأسمنت وتلال الزلط والرمل فى كل الأنحاء.. العمل يجرى على قدم وساق.. عشرات العمال يعملون ليل نهار إلا فى بعض الأيام التى يتصل فيها عاطف باشا بخفير الفيلا ليبلغه بحضوره.. لكى ينصرف الجميع فورا.. لا يبقى غير قناوى الذى يسارع إلى الطابق الثانى يفتح جناح النوم لتهيئته.. ويغير ويبدل أطباق الفاكهة.. ويضغط على كل أزرار المكيف فى انتظار صاحب المكان.. وصديقته!

صرخة حريمى!

فجأة.. ينتفض قناى وهو يستمع إلى صرخة تتلوها صرخات متتابعة تدور الدنيا بالخفير.. يحاول أن يتمالك أعصابه وهو يرى جسد زيزى يندفع من بلكونة دائرية لم يكتمل سورها بعد.. لحظات خاطفة ويهوى جسد زيزى نحو الأرض لكنه يصطدم بمجموعة من الاسياخ الحديدية التى تخترق لحمها فى مشهد مرعب لا يحتمله قناوى فتنطلق صرخاته وهو الآخر.

جسد زيزى ينزف بشدة.. تشخص عيناها فى لا شىء.. يتحول المكان إلى بركة من الدماء.. بينما تظهر نجوى هانم وهى تتطلق كالسهم والدموع تملأ عينيها.. تركب سيارتها.. يبدو عليها التوتر الشديد.. تدير السيارة.. يحاول عم قناوى أن يناديها أو يستوقفها أو يحاورها.. لكن لسانه لا يتحرك.. كأن شللا أصابه أو كأن قدميه التصقتا بالأرض.. وأصابه الخرس.

تبدو سيارة نجوى وكأنها تطير من فوق الأرض.. تختفى فى لحظات من مسرح الحادث.. ويجرى قناوى إلى الطابق الثانى بحثا عن المليونير صاحب المكان.. لكن مفاجأة كبرى كانت فى انتظاره!

دماء المرحوم!

يقف قناوى مذعورا أمام جثة عاطف باشا.. هكذا كان يناديه الناس.. الآن أصبح المرحوم.. سكين الفاكهة مغروزة فى صدره والدماء تغطى الشورت الأسود الذى كان يرتديه وقت وقوع الحادث.

يمسك قناوى بالتليفون.. يدير رغم الشرطة.. لحظات ويصبح المكان داخل الفيلا والطابق الثانى خلية نحل.. لكن من ضباط المباحث ورجال المعمل الجنائى ووكيل النيابةاليتم التحفظ على سيارة القتيل المرسيدس.. ورفع البصمات من المكان.. وخاصة سكين الفاكهة المستقرة فى صدر المليونير.. يتم الاحتفاظ بأشياء أخرى منها ملابس خاصة بالسيدة زيزى.. وملابس أخرى خاصة بالقتيل.. السيدة زيزى كانت ترتدى قميص نوم من الحرير الخالص الشفاف.. ويبدو أنها لم تكن ترتدى شيئا سواه.. أما المليونير فكان يرتدى الشورت الأسود وتى شيرت أبيض من الحرير.. لكن المفاجأة التى لم يتوقعها أحد أن زيزى كانت على قيد الحياة.. تم نقلها على الفور إلى إحدى المستشفيات الكبرى.. وصرحت النيابة بدفن جثة المليونير بعد تشريحها لمعرفة سبب وفاته.. وعلى الفور تصدر النيابة أمرا بضبط واحضار الآنسة نجوى.. وقبل مضى منتصف نهار اليوم التالى يتم القبض على نجوى فى منزل صديقة لها بالشرقية.. ويسمح لها الضابط بالاتصال بى تليفونيا لحضور التحقيق معها.. كانت تبكى وهى

تحدثنى وتذكرنى بنفسها.. ولم اتذكرها الا حينما ذكرتنى بواقعة عمرها عامين حينما اصابت فى الجيزة مواطنا بسيارتها.. وعندما طالبتها فى المحكمة بتعويض موكلى بعشرة آلاف جنيه.. جاءت إلى مكتبى دون أن تذكر لى وقتها من هى أو من تكون أو ماذا تعمل.. ودفعت لموكلى ثلاثين ألف جنيه..!

وأخذت منى كارت باسمى ورقم تليفونى واختفت تماما حتى كلمتنى فى هذا اليوم الغريب.. وطلبت منى أن ألحق بها فى مديرية أمن الاسماعيلية.

أنا بريئة!

كانت الآنسة نجوى منهارة.. تبكى بشده وترفض الحديث كلما توالت أسئلة المحقق واجهوها باقوال الخفير قناوى فلم تنكر وجودها مع ابيها ومدام زيزى وقت وقوع الحادث.. لكنها طلبت شهادة مدام زيزى نفسها لتروى من قتل والدها.. وكيف سقطت هى من شرفة الدور الثانى.. كانت نجوى تصرخ بين الحين والأخر ويدوى صوتها أنا بريئة ياناس.. صدقونى واسألوها.. لكن كانت زيزى فى حالة صحية سيئة لاتسمح باستجوابها على الاطلاق!

وجاء رجال المباحث بشهود الاثبات الأخرين.حكوا عن علاقة المرحوم بمدام زيزى.. كان يغدق عليها الهدايا والمال لتتفرغ له وحده.. وكانت ابنته تغار منها وتطاردها فى كل مكان.. وفى إحدى المرات ضربت نجوى مدام زيزى أمام جمع من الناس وهددتها بالقتل إذا لم تبتعد عن ابيها.. وتحرر محضرا بالواقعة.. وصدر حكم غيابى بحبس نجوى لولا أن مدام زيزى تنازلت فى الاستئناف حرصا على مستقبل الأبنة الوحيدة لصديقها المليونير والمثير أن نجوى لم تنفى هذه الواقعة أو غيرتها من زيزى وحقدها عليها.. بل قررت أن زيزى هى التى سقطت من الخوف والهلع من بلكونة الطابق الثانى فوق كتل الحديد الخرسانى.. وأن والدها ارتبك من المفاجأة فسقط على الأرض وفى يده سكين الفاكهة فانغرزت فى صدره!

ولم تقتنع النيابة برواية نجوى.. وقررت حبسها على ذمة التحقيقات.. ومد قاضى المعارضات الحبس أسبوعين أخرين.. تحولت خلالهما نجوى إلى شبح امرأة جميلة..

كنت واثقا إنها تخفى سرا أن لم يكن اسرارا.. لكن الدفاع الموضوعى لم يكن وقته قد حان بعد فقاضى المعارضات لاينظر إلا فى مبررات الحبس الاحتياطى أو انعدامها.. وكانت زيزى بسوء الحظ لاتزال حالتها الصحية لاتساعدها على النطق أو حتى تحريك جسدها أو عينيها.. كان كل ما يتحرك فيها هو رموش عينيها.. أما الخفير فقد حضر إلى النيابة للادلاء بأقوال جديدة.. قال إنه تذكر جملة كانت ترددها نجوى وهى تركب سيارتها بعد وقوع الحادث.. كانت تردد قتلتها.. قتلتها!

وثارت ثائرة نجوى.. وأقسمت لى إنها لم تنطق بهذه الكلمة.. وأن مدحت وراء تغيير شهادة الخفير وتزويرها.. وعندما سألتها عن مدحت قالت نجوى إنه موضوع كبير سوف ترويه لى بعد الإفراج عنها من الحبس الاحتياطى!.. وعلى الرغم من صعوبة الموقف القانونى ترافعت ثلاث ساعات كاملة حتى نطق قاضى المعارضات بحكم الإفراج عن نجوى.وكانت الحسناء الحزينة كمن عادت للحياة من داخل المقابر.. ويقرر الأطباء ضرورة سفر زيزى للعلاج فى أوروبا حيث لاتزال صحتها سيئة.. واستجوابها مستحيل.. وتحددت جلسة أمام محكمة الجنايات.. لكن وقعت المفاجأة المذهلة.

هروب نجوى

اختفت نجوى فور الإفراج عنها.. هربت.. كانت واثقة أن كل الأدلة ضدها.. وبالفعل صدر ضدها حكم غيابى بالأشغال الشاقة المؤبدة.. ومع الوقت بدأت ثقتى تهتز فى براءة المتهمة الهاربة.. وبدأت أنساها بالفعل لمضى عام ونصف العام وجاء القدر بمفاجأة جديدة اخبرتنى سكرتيرتى أن سيدة اسمها سمر تريد مقابلتى لامر مهم وحينما دخلت سمر وقفت أمامى تبكى.. ثم سألتنى:

- عامل إيه يأأستاذ؟!

ووجدت نفسى انتبه.. وقفت مذهولا.. الصوت أعرفه جيدا.. إنه صوت نجوى.. لكن شكلها تغير تماما.. لا الشعر الطويل هو شعرها الأن.. ولا العينان هما عيناها.. ولا المظهر مظهرها.. كأنها إنسانة أخرى تتكلم بصوت نجوى.. وقبل أن أفيق من دهشتى بادرتنى قائلة.

● هل عرفتنى ؟!

ـ مين.. نجوى هانم!

لا أحد فى مصر يعلم أننى عندك الأن.. حياتى ومصيرى فى يدك.. وجئتك من أجل شىء واحد.. أرجوك أن تسمعنى!

ما هو هذا الشىء؟!

ألغيت كل مواعيدى وراحت نجوى تحكى لى الأسرار المثيرة.. وقصتها الغريبة من الألف إلى المؤبد!

قالت:

ولدت يتيمة الأم.. رحلت أمى وهى تخرجنى إلى الحياة.. كان أبى يعشقها ولا معنى لحياته إذا غابت عنه.. لكنه ابتلع احزانه وهمومه وكتمها فى نفسه من أجل أن يقدم للحياة هناء أخرى غير زوجته التى ماتت.وكانت آخر كلماتها وصيتها له بأن يكون أبا وأما لى!

لم يكن أبى ينقصة شىء فى الحياة.. ثراؤه بلا حدود.. أعماله ناجحة.. يحبه الناس.. ويلجؤون إليه أوقات الشدة والأزمات.. على الرغم من هذا كله قرر أن يعتزل النساء ويهب حياته كلها لى.. لم يفكر فى الزواج.. أو حتى الاعجاب بامرأة.. كان البيت الذى تربيت فيه يزخر بصور أمى فى كل الحارات والممرات.. لقد ماتت بجسدها.. لكنه فى نظر أبى عاشت معنا بذكرياتها وصورها.. حتى أن كل النساء اللاتى حاولن أيقاع أبى بكل السبل حقدن على أمى.. وكرهنها.. فهى التى هزمتهن جميعا وهى ميته وهن على قيد الحياة.

ودارت الأيام......

وصرت آنسة كبيرة وجميلة كانت سعادة أبى لاتوصف.وأزداد فرح قلبه وهو ينظر نحوى وأنا عائدة من الجامعة دمعت عيناه وبكى.. وهمس لى.. كأننى أرى المرحومة أيام خطبتنا.. كنت فى العام الأول من دراستى بكلية الطب.. ولم أكن مجرد ابنة تحب والدها.. لكنى كنت مفتونة به.. أحبه بالنيابة عن أمى.. وأحبه بالأصالة عن نفسى.. هو

عمري الذى مضى.. ومستقبلى الذى يجىء.. لهذا كانت صدمة لى حينما فاتحنى أبى اليوم الذى حلم فيه برؤيتى فى الكوشه فى أعظم ليالى العمر.. حدثنى عن شاب طموح طلب يدى منه.. ووصفه أبى بأنه ذراعه الأيمن وكاتم أسراره.. وأقسم لى أنه يحبنى بجنون..

وكانت المرة الأولى التى أختلف فيها مع أبى.. وأجادله طويلا.. كنت أعرف أنه يتحدث عن مدحت.. هذا الشاب الذى تأكدت بنفسى من نفاقه وتسلقه على جثث الأخرين.. نعم كان الذراع الأيمن لابى فهو ذكى.. لكنه ذكاء الشياطين.. وكاتم أسراره فهو الوحيد الذى أقتحم أسوار الصمت التى عاش فيها أبى.وقدم له راقصة مغمورة أوقعته فى غرامها.. كانت هذه الراقصة هى زيزى.. كانت رائعة الجمال.. لكنها لم تكن رائعة الأخلاق.. أوهمت أبى أنه الصدر الحنون فى حياتها.. والرجل الذى ذكرها بانوثتها وأعاد اليها نضارتها.. وصدق أبى أنها فوق مستوى الشبهات.. لقد حاولت أن أقطع علاقة أبى بهذه الراقصة التى أقنعته أنها اعتزلت الرقص لتكون له وحده.. لكن أبى نهرنى بشدة.. وأمرنى ألا أتدخل فى حياته.. وذات يوم تأكدت من قذارة مدحت ومؤامراته حينما فاتحنى بالحديث عن غرامه.. ولكنى عنفته وهددته بأن افضحه وبعد أيام رأيته خلسة.. وبالصدفة يعانق زيزى ويطارحها غراما يخجل منه الأزواج.. هرولت أخبر أبى بما رأيته..لكن والدى أعتقد أننى الفق الاتهامات لأقرب اثنين إلى قلبه.. كان واثقا أن غيرتى من زيزى ومدحت وراء كيدى لهما.. ولم يصدق أبدا أن العلاقة التى تربطه بزيزى.. كانت هى العلاقة ذاتها التى تربط مدحت بها.. على الرغم من هذا كله ظل يطردنى مدحت بغرامه.. وكلما جرحت كبرياءه كلما ازداد إصرارا على التقرب منى.. كنت واثقة من أنه طامع فى ثروة أبى وملايينه.. حتى فاتحنى أبى أن مدحت طلب يدى.. وكأننى بركان انفجر فى وجه أبى الذى صدمه موقف.. واصابته ذبحة صدريه نقل على أثرها للمستشفى.. وهناك كانت مفاجأة جديدة تنتظرنى فى المستشفى.

بين الحياة والموت!

أخبرنى الأطباء أنهم انقذوا أبى بإذن الله.. وأن صحته لن تحتمل أزمة جديدة.. وأن أيه علاقة بامرأة سوف تعنى الموت حتما.. دارت بى الدنيا.. فلم أتصور يوما يموت فيه

أبى.. تحولت إلى خادمة له.. كنت أسعد امرأة فى الدنيا حينما خرج من المستشفى إلى بيتنا.. وعاد إلى شركته.. توسلت اليه أن يقطع علاقته بزيزى.. واشترط أن أتزوج مدحت.. أو على الأقل أوافق على خطبته.. ووعدت أبى على أن ينتظرنى مدحت حتى أتخرج من الجامعة.. كان هدفى كسب الوقت.. وبدأت أعين الجواسيس على أبى..ويوم الحادث همس أحدهم فى اذنى أن أبى وزيزى فى الفيلا الجديدة التى وعدنى أبى بكتابتها باسمى.. وعلمت أيضا أنه تحت تأثير رهيب من زيزى بأن ينقل اليها ملكية هذه الفيلا.. هرولت إلى سيارتى كالمجنونة.. تذكرت نصائح الأطباء لى .. انهمرت دموعى بشدة.. وعندما صعدت للطابق الثانى لم أصدق عينى وأنا أشاهد أبى غارقا فى غرام مع الشيطانه زيزى.. كانت تجلس وأبى يقشر لها ثمرة تفاح بسكين الفاكهة.. كتمت أنفاسى وأنا مذهوله من جرأة الشيطانه التى سيطرت على عقل أبى فى تلك اللحظة.. وفجأة.. شاهدتنى.. صرخت وقامت مذعورة.. وسقط أبى على وجهه إلى الأرض وانغرست السكين فى صدره.. بينما تراجعت الشيطانة للخلف وهى تعتقد أننى سانتقم منها.. ظلت تتراجع وهى لاتدرى أن الشرفة لم يكتمل بناء سورها.. سقطت فوق أكوام الحديد الذى اخترق جسدها.. لم احتمل الموقف.. اصابتنى حالة أشبه بالهستيرية ووجدت نفسى أجرى بلا هدف.. صدقنى هذه هى كل الحكاية.. أن زيزى هى الوحيدة القادرة على شهادة الحق التى تبرئنى.. أنا واثقة أن مدحت هو الذى دفع الخفير لاضافة كلمات إلى شهادته لتضييق حبل المشنقة حول عنقى.. وهو وراء سفر زيزى للخارج.. إنه قادر على كل الأفعال التى لايقرها شرع أو منطق.. لقد هربت وأنا أعلم إنه سوف يستغل توكيل أبى له أسواء استغلال.. ويفوز بملايين الجنيهات.. هربت إلى رجل فى القاهرة كان يعمل فى شركة أبى منذ سنوات طويلة.. وكان أخلص عماله حتى ظهرت زيزى وتآمرت عليه مع مدحت.. طرداه من الشركة.. وذات يوم جاء ليطلب مبلغا من أبى يعالج به ابنه الشاب محمود وساقتنى الصدفة إلى الشركة فوجدت الحاج فكرى يخرج باكيا بعد أن طرده أبى بوشاية من مدحت.. اعتذرت للحاج فكرى وعرفت منه قصة ابنه وأخذت عنوانهم فى القاهرة.

وبدلا من أن أمنحه ألف جنيه سافرت إلى القاهرة ومعى خمسة آلاف جنيه.. وشكرنى الحاج فكرى وظل يدعو لى وأنا أغادر حارته المتواضعة فى حى الحسين.

مرت على هذه الواقعة سنوات.. وبعد الافراج عنى خشيت محاكمتى ودخولى السجن لاتعذب مرة أخرى.. هربت إلى القاهرة.. ذهبت للحاج فكرى.. حكيت له حكايتى فكتم سرى.. وقدمنى لاسرته على أننى ابنة أحد اصدقائه فى بورسعيد.. إنهار منزل أسرتى وأنا فى المدرسة.. وأصبحت وحيدة وصدقت الأسرة رواية عائلها وكان محمود أبنه الأكبر فى نهائى كلية الشرطة.. وشاء القدر أن أقع فى غرامه.. وأن يبادلنى الحب الكبير.. لكنه أحبنى باسمى المستعار.. وبحكايتى المزيفة.. وأصر على طلب يدى وهو لايعلم أننى محكوم ضدى بالاشغال الشاقة المؤبدة.. متهمة هاربة من العدالة وهو ضابط شاب تحت التمرين.. أخيرا قررت الهروب من جديد.. الهروب من غرام محمود.. لم أستطع الاستمرار فى صداعه.. السجن أرحم أن أكذب على الشخص الوحيد الذى تبقى لى من الدنيا.

دموع الفرحة.. ولكن!

انتهت نجوى من مأساتها.. وطلبت منها أن تستمر فى حياتها فى بيت الحاج فكرى وبشخصية سعدية حتى اطلبها.

أصبحت القضية مثيرة خاصة بعد أن علمت أن مدحت يبحث عن نجوى فى كل شبر من أرض مصر.. وكان الدفاع عن نجوى شيئا رائعا.

توصل الدفاع إلى مكان زيزى فى لندن.. وسافر اليها وبحيلة ماكره أمكن التأثير عليها لترضى ربها وهى فى حالتها الصحية السيئة.. وكانت المفاجأة الجديدة أن زيزى استجابت بشكل فورى.. واعترفت بمؤامرة مدحت عليها وبالمكان الذى أخفى فيه الخفير.

بعد أسابيع تم نظر القضية من جديد بعد أن عادت زيزى للقاهرة وأدلت باقوالها فى النيابة.. ويتم القبض على مدحت بتهم عديدة من بينها تبديد ثروة المليونير الراحل.

انتقام الزوجة الأولى !



« .. خـرجت جنازة الزوج وسط بكاء وصـراخ كل من يعـرفـه، بينما خشيت زوجتـه من أن تظهر أمام الناس.. كانت تتـوقع أن الجميع يريدون الفتك بها ! ».

نظر وكيل النيابة نحو الرجل العجوز صاحب البلاغ الغريب فى دهشة ثم طلب منه أن يراجع نفسه قبل أن يتحول الاتهام إلى بلاغ رسمى.. لكن الرجل العجوز أصر على أن تأخذ كلمة ينطق بها مجراها الطبيعى أمام العدالة بعد أن سرقت منه زوجته تحويشه العمر.. وهنا سأله وكيل النيابة:

- كم يبلغ المال الذى سرقته زوجتك؟!

- لم تسرق مالا ياسيدى.. بل سرقت ثروة تتضاءل أمامها كل كنوز الدنيا ضغط وكيل النيابة على شفتيه وراح يتأمل صاحب البلاغ.. رجل فى الستين من عمره.. حفر الزمان فوق وجهه خطوطا متشابكة ومترامية فى كل الاتجاهات.. عيناه غائرتان مجهدتان.. جسده نحيل.. يدخن بشراهة وأن كانت سيجارته لاتستقر فى مكان بين أصابعه المهتزة.. وسأله وكيل النيابة:

- وما هى هذه الثروة؟!

- صندوقان من أغلى الذكريات!!

- وما هى محتويات الصندوقين؟

- الأول يحمل كل ملابس عفاف.. والثانى أوراقها وشرائط كاسيت تحمل صوتها!

وبدأ البلاغ الرسمى فوق أوراق التحقيقات وتم استدعاء الزوجة.. لكنها نفت السرقة أو حتى علمها بوجود صناديق ذكرى يحتفظ بها زوجها باسم عفاف زوجته الأولى.. تدخل الوسطاء والحكماء للتوفيق بين حسين وفريال.. لكن كلاهما أصر على موقفه.. كاد حسين يفقد صوابه أمام عناد زوجته فريال.. عرض عليها أن يتنازل لها عن كل

ثروته نظير إعادة الصندوقين إليه.. إلا أن فريال عرضت عليه أن يطلقها قبل أن تنتحر وتتخلص من حياتها نهائيا.. وعدته بأن تتنازل عن كافة حقوقها الشرعية التى تستتبع الطلاق وتبرأه منها تماما.. ثار حسين.. أرغى وازيد وأصر على أن لاحل ولا مفاوضات إلا بعد أعادة الصندوقين!

كلاهما ركب راسه وتسلح بالعناد!

فريال تركت البيت بعد أن حزمت حقائبها وأعلنت أنها ستحارب حتى تفوز فى معركتها وتؤدب هذا الرجل على اتهامه الصريح لها.. وحسين اقسم أمام الجميع أنه سوف يثأر لزوجته الراحلة فى قبرها حتى لو كلفه الأمر حياته وحياة فريال معا!.. وهنا أسرعت فريال إلى النيابة تبلغ بتهديد حسين.. تطلب التعهد عليه لحماية حياتها بعد أن شددها علانية بالقتل!.. لكن حسين وقف أمام المحقق لايزال يعترف بتهديده.. يؤكد من جديد أن فريال هى أخطر لصوص الدنيا.. وإنه فى لحظة ثورته نطق بالتهديد.. لكنه لايزال ينتظر حكم العدالة!

وقف الجميع أمام المحكمة.. الزوج والزوجة والشهود!

قال حسين:

.. منذ خمسة وعشرين عاما كنت أعيش حبا اسطوريا مع زوجتى عفاف.. حب لو سمع عنه قيس وليلى وعنتروعبله وروميو وجوليت لاصابتهم الغيرة وامتلأت صدورهم بالحسد علينا.. كنا نخبىء أنا وعفاف عواطفنا عن عيون العالم كله.. اعتزلنا الناس والأقارب والأهل حتى لاتضيع منا لحظة يستمتع فيها كلانا بالأخر.. وفجأة مرضت عفاف.. هرولت بها إلى أساتذة الطب وأنا مذعور.. اجمعوا على أن حياتها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من النهاية.. طلبوا منى الصلاة من أجلها.. أخفيت عنها السر.. لم احرمها من طعام أو شراب كما نصحنى الأطباء.. جعلت كل ايامنا أفراحا ونزهات وحملت معى شرائط الكاسيت لاسجل أيامها الأخيرة معى.. كانت مذهولة مما أفعل.. توقعت أن جنون حبى لها وراء تصرفاتى كما أعتادت من سلوكى معها منذ أيام خطوبتنا.. كنت أحبس دموعى عنها وهى تحدثنى عن حلمها فى أن تنجب لى دستة أطفال يكون أولهم عمرو.. وأخر العنقود زينب.. تمزق قلبى وهى تهمس لى بخوفها من أن يهزمها

الموت فلا تحقق لى كل أحلامى معها.. لكنى كنت أقسم لهم كذبا أن الأطباء أكدوا لى أنها شفيت تماما..

صدقتنى عفاف.. فوجئت بها خلال أيام قليلة تسترد صحتها وعافيتها.. ظننت أنها هى التى هزمت مرضها.. لم أتوقع ثمة لحظة إنها حلاوة الروح.. كنا نرقص معا داخل شقتنا.. ننام ونصحو نضحك ونجرى داخل حجرة نومنا الصغيرة التى كنا نراها كأنها ساحة الدنيا الكبيرة.. وفجأة.. ماتت عفاف وهى تتحدث عن المستقبل.. كان شريط التسجيل دائر.. وكنت يقظا لكنى أصبحت كالمنوم مغناطيسيا.. حملتها بين ذراعى.. صرخت فيها أن تنطق ولو بكلمة واحدة.. لكن كان كل شىء قد انتهى!

يبكى حسين بشدة ثم يستطرد قائلا بنبرات مهزومة: تقبلت حكم الله الذى ألهمنى صبرا لا محدودا.. تركت شقتى كما هى.. تركتها مغلقة على الصور التى كانت عليها وشهدت أخر أيامى مع عفاف.. كل ما فعلته أننى جمعت الملابس التى كانت ترتديها فى اللقاء الأخير داخل صندوق خشبى صغير.. ثم جمعت كل ورقة تحمل خطها وكل شريط يحمل صوتها داخل صندوق أخر.. أغلقت الشقة وانتقلت للحياة فى شقة جديدة أحاول فيها نسيان أى قدر من الماضى.. فماذا حدث؟!

بعد خمسة أعوام جاءنى شقيقى الأكبر.. أقام معى عدة أيام.. بذل كل جهده لاخراجى من عزلتى.. لا أنكر أننى كنت قد كرهت الوحدة والاكتئاب.. رشح لى أخى الأكبر إحدى قريبات زوجته للزواج.. وتعرفت على فريال.. سيدة محترمة.. لم يسبق لها الزواج.. أرتاح لها قلبى.. تزوجنا.. وكان زواجنا علاجا رائعا للوحدة والانعزالية التى كنت اعيشها.. وذات يوم حاولت فريال اقناعى ببيع شقتى القديمة.. وكدت أوافق..

لكن جاءتنى عفاف فى المنام ليلا.. عاتبتنى بشدة على فكرة بيع شقة ذكرياتنا.. طلبت منى أن أحتفظ بالشقة ووعدتنى بزيارتى فيها كل خميس.. وبالفعل بدأت أنتحل المبررات والاعذار لفريال كل خميس وأذهب خلسة إلى شقتى القديمة دون أن أصارح فريال بقصة المنام وزيارة عفاف وصندوق الذكريات.

ثلاثة أعوام كاملة وأنا أحافظ على هذا السر.. أعيش أجمل ليالى العمر.. فى شقتى القديمة كل خميس.. أتخيل طيف عفاف فوق ملابسها وأسمع صوتها واراها تتحرك بين

جدران الحجرة فلا أدرى أن كانت الدموع فى عينى من فرحة اللقاء أو حزن الماضى.. وذات ليلة ضبطتنى زوجتى فريال متلبسا.. كادت تمزق ملابس عفاف واوراقها وتحطم أشرطة التسجيل.. لكن انتابتنى قوة هائلة دافعت بها عن هذه الثروة.. وعدتها ببيع الشقة حتى تهدأ.. وتظاهرت هى الأخرى بالندم واعتذرت لى عما بدر منه.. إلا أننى ذهبت بعد ثلاثة أسابيع إلى شقة عفاف لاكتشف سرقة الصندوقين.. دلونى بالله عليكم من يكون السارق غير فريال.. والكارثة أنها تنكر وتنفى وتدعى!

تأجلت الدعوى إلى جلسة مقبلة.. وجهزنا كل الأدلة التى تحاصر فريال وتؤكد أنها هى التى قامت بإخفاء الصندوقين وسرقتهما.. أدلة قاطعة كنا سنفاجىء بها الزوجة التى كانت تصر على إنها تحب حسين بجنون.. لكنها تنفى سرقة حاجيات عفاف.. وعلمنا أن فريال بدأت تفكر بالفعل فى تسوية سلمية بعيدا عن المحاكم بحيث تعيد الصندوقين ويتنازل حسين عن دعواه ويطلقها.. لكن حسين رفض المساومة رفضا قاطع.ورحنا جميعا نترقب موعد الجلسة الحاسمة.. لكن حسين لم يحضر هذه الجلسة وسط دهشة عارمة من كل اصدقائه.. وحينما سألنا عنه عرفنا أنه مات صباح يوم الجسلة.

خرجت جنازته والكل يبكى.. بينما ظلت فريال تبكيه فى بيتها.. خشيت السير فى جنازته من أن يفتك بها أصدقاؤه.. وجاءتنى تسأل.. هل يمكنها أن تسلم الصندوقين لمن يمكنه وضعهما فى قبر حسين إلى جوار جثمانه؟! ولم تجد فريال ردا.. ولا جوابا.

أميرة فى بيت الطاعة !



« .. كانت أول وآخر مرة تدخل فيها أميرة عربية محكمة الأحوال الشخصية فى القاهرة لتطلب الطلاق من زوجها المصرى الذى جعلها تعيش على « الحديدة » !

لم تتوقع الأميرة الحسناء أن تأخذها الحياة إلى مثل هذا اليوم العصيب.. وأن يجرها هذا اليوم إلى ليالى طويلة من الحزن والشقاء وتعب القلوب!

كانت تعيش فى القصور الفخمة وبين الحدائق وارقة الظلال.. تركب سيارة روزورايس وخلفها سيارات الحرس.. تتنقل بين عواصم أوروبا.. تتزين بأغلى الأحجار الكريمة وأصبحت مطلوبة فى بيت الطاعة!

نامت ودموعها فوق خدها تبلل وسادتها الحريرية.. كل هذا لأنها وقعت فى الحب فانكسرت رقبتها ومدت يدها الكريمة إلى عاشق خائن فقطعها بعد أن نقلته من حياته المغمورة إلى عالم الأضواء!

عندما تزوجته أقسمت له إنها ستبذل قصارى جهدها لتجعله أعظم رجل فى الدنيا.. وصدقت فى وعدها.. لكنه بعد أن أتقن دوره بمهارة.. وسلمته قلبها فى وداعه بذلك كل جهدة ليجعلها أتعس نساء الأرض لكنها لم تستسلم وقررت أن تجعل حربها ضده حربا بين قلب حواء حينما ينكسر وقلب آدم عندما يتجبر ويطغى.. جعلتها حربا لتحرير حواء من ظلم آدم.. وكانت ساحة المعركة الكبرى فى محكمة الجيزة للأحوال الشخصية.

ما هى قصة الأميرة مع زوجها الخائن؟!.. وما الذى دفع صعلوكا إلى حياة الأميرات والحسناوات؟!

الأرملة الحسناء

لم تكن الآنسة قمر سوى بنت من عامة الناس لكنها كانت أقرب إلى حياة القصور من أى فتاة أخرى.. فوالداها يعملان فى أحد القصور الملكية فى وظيفتين محترمتين.. الأم

سكرتيرة خاصة للأميرة الكبيرة.. والأب قائد حرس الأمير.

كانت الآنسة قمر تتردد على قصر الأمير بين الحين والأخر منذ طفولتها المبكرة تلعب مع أولاد الأمير وتأكل معهم وكثيرا ما كانوا يصطحبونها للتنزه حينما ذهبوا وجاءوا .

لكن فجأة.. توالت الاحداث المثيرة داخل قصر الأمير.. مرضت الأميرة الكبيرة ولزمت الفراش.. ارتبكت الحياة اليومية داخل القصر.. أصبحت أم الآنسة قمر شبه مقيمة لرعاية الأميرة الكبيرة وأطفالها.. وأصبحت قمر تقضى معظم وقتها إلى جوار أمها.. ودارت الأيام بسرعة الصاروخ! سافر أولاد الأمير لتلقى علومهم فى أوروبا وأصبح القصر هادئا.. رتيباً.. تكسوه الكآبة.. خاصة بعد أن فارقت الأميرة الكبيرة الحياة وذات يوم قررت سكرتيرة المرحومه الانسحاب من القصر.. لم يعد لوجودها معنى.. استأذن لها زوجها من الأمير.. وكانت المفاجأة الجديدة.. رفض الأمير بإصرار.. كرر الأب المحاولة فإذا بالأمير يطلب من الأب يد قمر.. أسقط فى يد الأب.. تراقصت الدنيا فى عينيه.. واهتزت الصور.. تلجم لسانه.. وابتلع ريقه فى دهشة.. كانت قمر فى الخامسة عشرة من عمرها.. نعم هى كالقمر.. إلا إنها لاتزال صغيرة.. لكن من يرفض النعيم حينما تتفتح كل أبوابه فى لحظة!

وافق الأب.. أصبحت قمر سيدة القصر الأولى.. كانت عواطفها بكرا.. لاتفهم الحب أو الزواج.. جسدها ينمو.. لكن عقلها لايزال عقل طفلة!

أصبحت مليونيرة فى شهور قليلة.. نقل الأمير ملكية قصوره وعقاراته إلى اسمها.. تضاعف رصيدها فى البنوك.. التف حولها الخدم والحشم والوصيفات والسكرتيرات.. وابتسمت لها الدنيا من حيث لاتدرى ولا تتوقع.. الشىء الوحيد الذى كان ينقصها هو التخلص من أحساس السجينه.. كانت لاتفارق القصر واحيانا تجد نفسها لاتفارق حجرتها.. وتمضى بها سنوات الخمس وسط هذا النعيم الرائع.. لكن الحياة كانت قد أعدت لها مفاجأة جديدة.. مات الأمير بأزمة قلبية.. أصبحت الأميرة الحسناء أرملة شابة على أعتاب العشرين من عمرها.. لكنها فى اعماقها لاتزال طفلة صغيرة!

عاشت شهور الحداد الطويلة فى الفساتين السوداء. كاد أن يصيبها الخرس.. تمر عليها الليالى والأيام فلا تنطق ولاتضحك ولاتأكل إلا ا يسد رمقها.. فقدت شهيتها

للقراءة والحياة.. أصابها الاكتئاب مع اكتمال العام الأول على رحيل الزوج الطيب.. وفى إحدى الليالى جاء بعض أولاده من أوروبا ليعيشوا فى قصر أبيهم.. وأحست قمر أن الحياة لن تزداد إلا سوءاً!.. قضت ليلتها تفكر فى المستقبل الذى ينتظرها.. ويقفز اسم القاهرة إلى خاطرها.. لقد زارتها شهرا كاملا بعد زواجها من الأمير.. كان أحلى شهور العمر.. هناك فى العاصمة المصرية تعرفت على الست فايزة الخياطة إنها الترزية الخاصة لهوانم القاهرة ومذيعات التليفزيون ونجمات السينما.. فصلت لها أكثر فساتينها إناقة وجمالا وسمرا.. لماذا لاتزورها فى القاهرة وتقيم فيها وتعيش حياتها التى لم تبدأ بعد ؟!

لم تتردد الأميرة فى الأجابة.. حجزت على أول طائرة إلى القاهرة.. من المطار إلى مدينة نصر مرقت بها السيارة المرسيدس إلى عنوان الست فايزة.. وتستقبلها الست فايزة استقبالا اسطوريا.. تدمع عينا الأميرة.. فيسارع ماهر نجل فايزة الكبير إلى إحضار المناديل.. ويصر على اصطحاب قمر فى نزهة بالمراكب الشراعية فى نيل القاهرة.. كان شابا وسيما.. رياضى الجسد.. يستعد لامتحانات العام الثالث بكلية الآداب.

وافقت الأميرة.. خرجت معه.. خفق قلبها بشدة منذ اللحظة الأولى التى تلاقت فيها عيونهما.. حكت له قصتها لحظة بلحظة.. واتفقت معه فى نهاية السهرة على أن يستكملا الحكاية فى اليوم التالى وتتكرر اللقاءات يوم بعد يوم.. كان الهدف من زيارة الست فايزة تفصيل فساتين جديدة ملونة للأميرة.. لكن كيوبيد كان ينتظرها هناك وتفهم الست فايزة بخبرتها النسائية أن الأميرة رفعت كل الرايات البيضاء أمام دقات قلبها الذى ينبض بالحب لأول مرة.. تدعم علاقة ابنها بالمليونيرة.. تدبر اللقاءات والنزهات.. وقبل أن يكتمل عام يطلب ماهر يد الأميرة التى وافقت بلا تردد وبينما هى تقفز من الفرحة يبادرها ماهر قائلا: .. لقد كنت أمزح.. فأنا لا أملك من الدنيا شيئا.. وتضحك قمر من أعماقها وتهمس له.. أنا وما أملك ملكا لحبيبى!

ويتم الزواج فى أكبر فنادق القاهرة

ويطير العروسان لقضاء شهر العسل فى أمريكا

الأقنعة تتساقط

ومضت شهور الزواج الأولى

تشعر الأميرة أن ماهر قدمها للحياة.. انتشلها من حياة القبور الساكنة إلى الدنيا المبهجة.. عرفت معنى العلاقات الخاصة بين زوج وزوجته.. أحبت ماهر بجنون كانت لا تطيق البعاد عنه لحظة واحدة.. تغار عليه من ملابسه لم تبخل عليه بكل ما تملك.. حررت له توكيلا فى الشهر العقارى لإدارة اعمالها دون الرجوع اليها.. فمن تهب قلبها لرجل لاتحذر على أموالها منه.. يكفى أن الحياة معه تفوق حلاوتها كل أموال العالم.. كل مكان ذهبت فيه مع ماهر كان عاصمة للحب فى عينيها.. من أمريكا إلى أسبانيا.. من لندن إلى باريس.. ومن اليونان إلى تركيا.. أحيانا كانت تتناول إفطارها فى لندن صباحا.. وتشترى عطورها من باريس ليلا.. اصطحبت زوجها إلى كل مدن العالم التى طلب منها أن يزورها ويعقد صفقات.. يغيب عنها ليلتين أو ثلاث فى كل زيارة لمدينة جديدة.. وكانت تشفق عليه من هذه المتاعب.. حتى المدن العربية التى طلب زيارتها أخذته اليها.. وأخيرا استقر فى القاهرة.. انجبت منه طفلين.. ولم يمت الحب الكبير على الرغم من الزواج وحياة الأمومة.. والليالى الطويلة التى كان يغيب فيها ماهر عن الأميرة.. لقد أصبح يدير أعماله وحده.. إلى أن جاء اليوم العصيب.. يوم لم تشرق له شمس فى حياة الأميرة.. زارتها سيدة تونسية.. قدمت كل المستندات والأوراق التى تثبت أن ماهر تزوجها.. أسقط فى يد الأميرة.. تاريخ وثيقة الزواج هو تاريخ زيارتها نفسه لتونس مع ماهر.. دارت بها الدنيا.. زوجها تزوج عليها.. المفاجأة الأكبر حينما أخبرتها الزوجه التونيسية أن هناك زوجه ثالثة انجليزية.. وأن ماهر خدعها كما خدع التونيسية فاقاما ضده الدعاوى القضائية وعجزا عن تنفيذ الاحكام القضائية الصادرة لصالحهما.

سقط القناع.. وتحركت ثورة الغضب والشكوك توقظ الأميرة من غفوتها.. سارعت إلى البنوك فاكتشفت أن رصيدها صفر كبير.. والعقارات باعها والسيدتان التونيسية والانجليزية اللتان وصلتا خلال يومين إلى محاميهما.. وكانت المفاجأة الجديدة أمامى أن الزوج لم يكن يحق له بمقتضى التوكيل الذى يحمله أن يحصل على خمسة ملايين دولار من أحد بنوك أوروبا.. ويتم أكتشاف الحيلة والتواطؤ بين الزوج والبنك الأوروبى..

وأسارع بعمل التحريات حول ماهر لتتوالى المفاجآت.

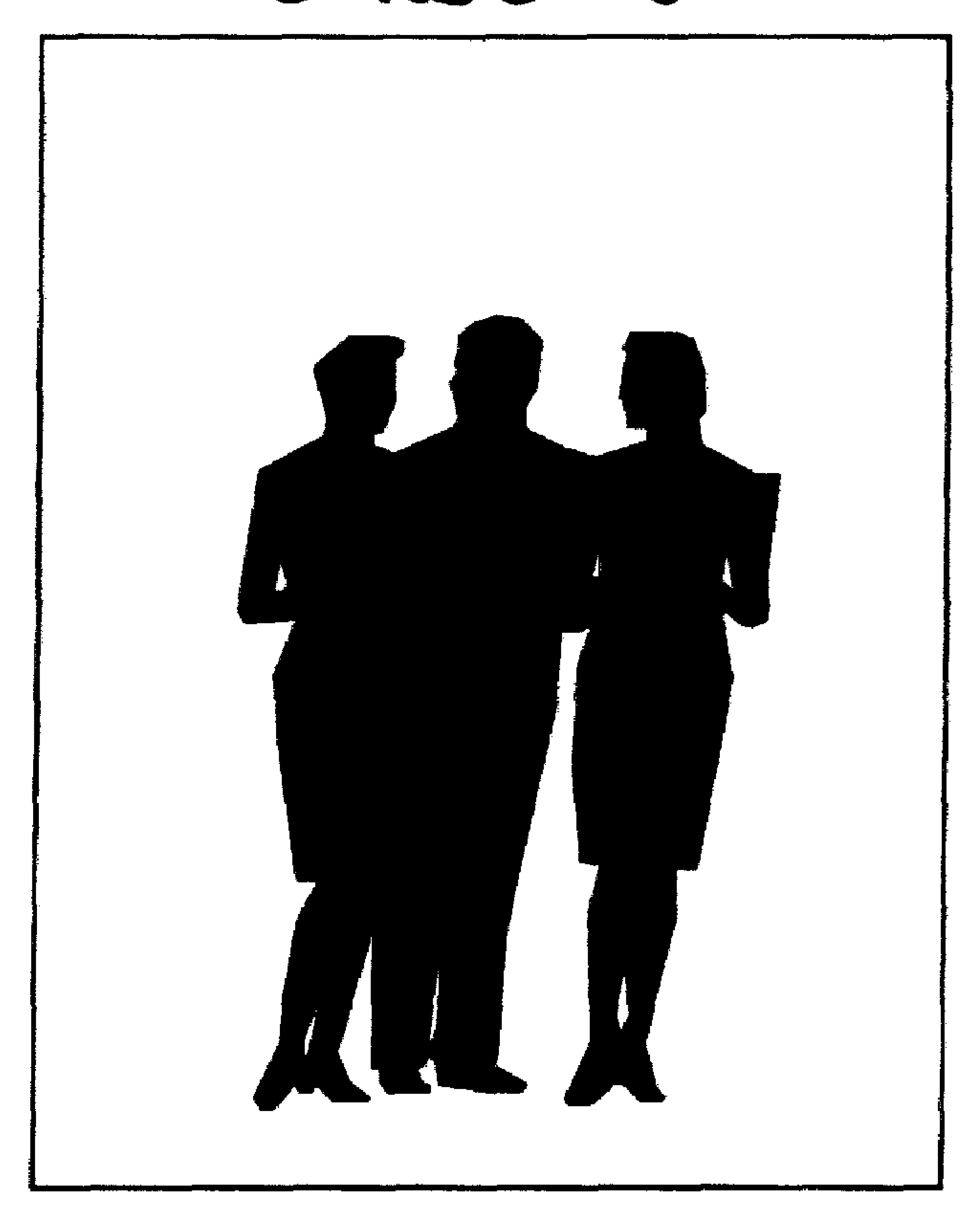
- كل ا لمشروعات الكبرى فى العواصم العربية باسمه الشخصى.
- تزوج للمرة الرابعة من سيدة مصرية كان يعرفها قبل ظهور الأميرة فى حياته.. وبعد أن لعبت يداه بالمال طلقها من زوجها وتزوجها.

واقامت الأميرة التى لم تعد تملك شيئا من الدنيا غير شقتها دعوى طلاق أمام المحكمة الشرعية.. ودعوى تزوير أمام محكمة الجنايات تتهم فيها زوجها بالاستيلاء على خمسة ملايين دولار من أحد بنوك أوروبا بتوكيل مزور.. ويطلبها ماهر فى بيت الطاعة.

وتعترض الأميرة على الطاعة.. وتصر على الطلاق وهى تبكى بشدة.. وتهمس لكل من حولها.. لولا أولادى لانتحرت.. لقد خدعنى قلبى.. وخدعت نفسى.

وتقضى المحكمة بالطلاق بعد أن تيقنت أن الزوج تزوج ثلاث مرات دون إخطار زوجته مما أصابها بالضرر الجسيم.. خاصة وأنها صاحبة مكانة اجتماعية مرموقة ولاتزال قضايا التزوير منظوره.

امرأتـان ورجـل!



« .. وحضرت الزوجتان جلسة المحكمة.. كل واحدة كانت تدعى أنها الأحق بالرجل الذى أحبته وتزوجته! ».

كانت قضية المهندس عادل قضية من طراز خاص جدا!!

لم تسطر أوراقها الحروف والكلمات والعبارات والمصطلحات القانونية.. لكن سطرتها الدموع والمشاعر المتناقضة.. الاشخاص فيه أقوى من المستندات.. والواقع ينافس الخيال.. والنهاية لاتقل أثارة عن البداية!

.. دارت احداثها فى العمارة رقم ٥٦ بأحد شوارع المنيل القريبة من شاطىء النيل.. وبالتحديد فى الشقة رقم ٩ التى يسكنها المهندس عادل!

وهذه هى أحداث القصة التى انتزعت نهايتها دموع كل الحاضرين بمحكمة الأحوال الشخصية.. حتى أصحاب الدعاوى الأخرى.. تركوا قضاياها ليتابعوا وقائع قضية عادل الذى تنازعته امرأتان وثلاثة أبناء!

ولنرجع إلى الوراء قليلا.. قبل أن تتفجر براكين الغضب.. ويثور نهر الحب.. وتجتاح ثورة الكرامة والكبرياء كل ما يعترض طريقها!

كل شىء كان يجرى فى هدوء ورتابة داخل شقة عادل مهندس الديكور.. نظام رتيب وممل اعتاده سكان الشقة رقم ٩.. الوقت يتحكم فى أحداث النهار.. ولاشىء يتم إلا فى موعده.. الافطار له وقت.. والغذاء.. والعشاء.. مذاكرة الأولاد.. الدخول إلى الفراش.. أو جلوس المهندس عادل إلى مكتبه بعض الوقت قبل النوم.

كل شىء له موعد.. وكل أفراد الأسرة أعتادوا هذه الحياة الروتينية البحته على الرغم من مرارتها وقسوتها.. الجدة العجوز تدخل إلى حجرتها فى العاشرة مساء كل يوم مثل احفادها.. ولاتبرح الحجرة إلا فى الثامنة صباحا حيث تدب الحياة فى الشقة.. الجميع

يتناولون الافطار فى الثامنة والنصف خلال الاجازة الصيفية ثم يذهب الاحفاد إلى النادى.. أو يذهبون إلى مدارسهم الثانوية أو الإعدادية خلال موسم الدراسة.. ويذهب عادل إلى عمله الحر فى مقاولات الديكور بالشقق الفاخر والفنادق..

وفى تمام الثالثة يجلس الأحفاد مع جدتهم لتناول الغذاء حيث لايعود عادل إلا فى التاسعة مساءاً.. وقتها يتناول العشاء مع أولاده وحماته ثم يدخل إلى حجرة مكتبه يسطر خطابا غراميا ساخنا لزوجته التى تعيش فى بلاد الغربة.. وفى تمام العاشرة يعم السكون المكان كله.. تتوقف الحركة ويغلق الجميع عيونهم وقد غطوا فى نوم عميق.. تتحول الشقة إلى ما يشبه المقبرة!

هكذا مضت السنوات تجر بعضها بعضا منذ سافرت الزوجة لطيفة إلى إحدى دول الخليج للعمل فى إحدى مدارس الأطفال هناك.. لقد حاولت كثيرا أن توفر فرصة عمل لزوجها.. لكن الحظ كان يعاندها دائما!

تحملت لطيفة حياة الغربة وفراق أولادها وهى تعيش على أمل هذا اليوم الذى سوف يأتى به المستقبل.. وتكون قد أدخرت ثورة تنقلهم بسرعة الصاروخ إلى الحياة الأمنة.. وقتها لن تحمل هما لزواج ابنتيها أو مساعدة ابنها الكبير ناصر على شراء شقة لعروسته.. وقتها سوف تعتزل العمل وتعوض أولادها وزوجها عن كل قسوة الفراق وترمم كل التصدعات التى صنعتها سنوات الغربة فى العلاقة الأسرية!

منذ سافرت لطيفة وزوجها عادل يحتمل مثلها.. ينفق على البيت وأولاده وحماته من دخله الخاص.. أما دخل زوجته فهى تودعه أحد البنوك وتلم شمل الأسرة من جديد.. لكن الحياة فقدت طعمها فى الشقة رقم ٩ التى أصبحت كالقلب الذى ينبض إلا أن كل شر ايينه مسدوده.. وصماماته مثلها كله.. الكل يعيش على أمل العملية الجراحية الدقيقة التى ستعالج بها ثروة مدام لطيفة هذا الخلل عندما تعود إلى وطنها!

ويبدو أن هذا الهدوء القاتل كان يسبق العاصفة التى هبت إحدى ليالى الشتاء الذى حبس الناس فى بيوتهم!

قامت الجدة العجوز فى تلك الليلة بينما عقارب الساعة تقترب من الثالثة فجرا..

كانت ربما هى أول مرة تخرج فيها من حجرتها بعد أن تخلد إلى النوم.. دخلت إلى الحمام المواجه لحجرتها.. وبعد لحظات من خروجها دفعها شىء ما للاطمئنان على الأولاد.. دخلت حجرتهم وألقت بالأغطية الثقيلة فوق اجسادهم المرتجفة.. وخرجت من حجرة الاحفاد إلى حجرتها.. لكن شيئا آخر دفعها للنظر نحو حجرة زوج ابنتها.. ضربت صدرها بيدها فى فزع باب الحجرة مفتوح ولايبدو أن أحدا بداخلها.. اسرعت الجده إلى الحجرة التى ظنت أن الهواء العاصف هو الذى فتح بابها.. لكنها تأكدت أن عادل ليس بداخلها.. فتشت عنه فى الشقة كلها فلم تجده.. وجلست على أقرب مقعد تلعب بها الهواجس والظنون.. إلا أن حكمة السبعين عاما تجعلها تتمهل وتنتظر حتى يشرق الصباح.

عادت إلى حجرتها.. ظلت عيناها مفتوحتان واذناها ترهفان السمع.. وفى تمام السابعة سمعت باب الشقة ينفتح.. وقفت خلف حجرتها تتصت وتختلس النظرات.. فوجئت بزوج ابنتها عائدا وهو يغنى فى قمة سعادته.. ثم يدخل حجرته ويغلقها من الداخل.

عادت العجوز إلى فراشها وهى تفكر بعمق شديد مستعينه بكل تجارب الماضى وحكايات الرجال.. تظاهرت أن شيئا لم يحدث.. خرجت فى موعدها لتعد طعام الإفطار لاحفادها.جلس عادل بينهم وهو يؤكد أنه نام بعمق شديد الليلة البارحة.. فالفراش كان دافئاً على الرغم من برودة الجو.. سكتت الجدة العجوزة واختلست نظرة إلى الحائط الذى تتوسطه صورة ابنتها لطيفة وهى تبتسم!.. همست الجدة لنفسها: عينى عليك يابنتى!.. لم يسمعها أحد.. وقاومت دموعها حتى خرج عادل.. قررت أن تراقبه.. وتفتح عينيها جدا لتصرفاته.. وأن تحيطه بكل الشكوك حتى تظهر الحقيقة..

مخبر خاص.. جدا

بدأت الرقابة المكثفة من الحدة فى اليالى التالية.

تأكدت الشكوك فى الليالى الثلاث الأولى.. عادل يخرج مع منتصف الليل تماما بعد أن يكتب رسالة جديدة إلى زوجته وينام كل أفراد الأسرة!

ولايعود إلا فى السابعة صباحا يغير ملابسه ويتظاهر إنه استيقظ قبل الجميع!

اختارت الجدة أكبر احفادها.. صارحته بالسر الكبير.. اتفقت معه على أن يتولى مراقبة ابيه خارج المنزل دون أن يخبر اشقاءه.. وجاءت مراقبة الابن بنتيجة مذهلة كادت أن تدمر العجوز وهى تسمعها.. زوج ابنتها يتردد على شقة بأحدث عمارات الزمالك.. والشقة تسكنها أرملة حسناء فى الأربعين من عمرها.. لقاءاته معها لاتقتصر على الليل.. بل فى الاغلب يتناول معها طعام الغذاء ويخرجان معا وقت الغروب ثم يعودإن قبل التاسعة مساءاً كل يوم.

المواجهة!

لم تتم العجوز اسبوعا كاملا.. دموعها فوق خدها تنهمر كلما خلت إلى نفسها.. الموقف حساس والتوسع قد يفسد كل شئ.. المواجهة مع زوج ابنتها قد تخرب البيت على حساب أحفادها.. والسكوت قد يؤدى إلى النتيجة نفسها.

كل الخيارات كانت صعبة.. لكن الجدة تختار مواجهة الأرملة الحسناء نفسها.. ربما رق لها قلبها أو خشيت من فضيحة علاقتها الأثمة مع زوج ابنتها.

اتفقت الجدة مع أكبر احفادها على خطة محكمة.. شغل والده طوال النهار حتى لايفكر فى العودة إلى المنيل أو الزمالك.. وذهبت الجدة إلى الأرملة الحسناء.. طرقت بابها.. فتحت لها الأرملة وهى تظنها اخطأت العنوان.. بكت الجدة وهى تقدم نفسها للأرملة.. وتتوسل اليها إلا تخرب البيت العامر.. وتحرم أولادا من أبيهم.. وتفرق بين زوج وزوجته التى تتحمل هوان الغربة من أجل اسرتها.. سكتت الأرملة لحظة ارادت فيها الجدة أن تضيف تهديدا إلى توسلاتها وهى تقول:

● .. ده برضه يابنتى أنت باين عليك الاحترام.. والشوشرة هتبقى فضيحة!

وهنا خرجت الأرملة عن عشورها وصمتها دون أن تفقد عباراتها المهذبة وحسن استقبالها لضيفتها.. قالت:

● .. ياهانم أنا زوجة عادل.. أنا المرأة التى اطاعته وانتشلته من جحيم الوحدة إلى النعيم ألم تصر ابنتك على السفر من أجل المال!؟ ألم ترفض دعوته لها للحياة فى مصر

والأرزاق بيد الله؟!

لقد صارحت عادل بحبه الجارف لها.. كان يحبها بجنون لكنها هى التى منعت الاوكسجين عن هذا الحب.. قابلت عادل وهو يختنق.. أعدت له الحياة.. اسعدته.. وعلى الرغم من أن ثرائى الشديد أطعته فى كل كبيرة وصغيرة.. أنا لن اتركه ابدا.. إنه حق من حقوقى.. وسوف أدافع عن حقى مهما كانت النتائج!

فاكس وتذكرة طيران!

أطارت الجدة رسالة بالفاكس إلى ابنتها تحثها على العودة فورا.. حجزت لطيفة فى أول طائرة عائدة إلى مصر.. اذهلتها المفاجأة.. أقامت دعوى طلاق من زوجها الذى لم يعد إلى بيته منذ علم بزيارة حماته لمنزل زوجته الثانية.. قدمت فى مستندات الدعوى صورة من وثيقة الزواج الثانى لعادل.. مجرد هذا المستند يكفى لحصول لطيفة على الطلاق طبقا لقانون الأحوال الشخصية.. فالضرر يثبت للزوجة الأولى بمجرد علمها بزواج زوجها عليها.. كما أن القانون يعاقب الزوج جنائيا بالحبس مع المأذون والشهود على عقد الزواج إذا أخفوا عن الزوجة الأولى خبر الزواج الثانى لزوجها وهو ما ينطبق- أيضا - على قضية المهندس عادل!

الضرتان!

وتصر لطيفة على الحديث أمام المحكمة:

.. لن أطالب بحبسه فهو والد ابنائى.. لن اقاضيه أمام المحكمة الجنائية لاننى لاخصومة بينى وبينه بصفته أب.. فأنا أعلم أنا الرجل قد يغدر بامرأته.. لكنه لايغدر أبدا بأولاده.. لقد أحسن تربيتهم فى غيابى.. وكان بإمكانه أن يغرق فى حب زوجته الثانية فلا يتذكر أولاده.. ولا يهتم بشئونهم أو دراستهم.. لن أنثر التراب فوقه كأب.. لكنى أراه فى الوحل كزوج.. كرجل خائن.. تركنى أضحى وحدى وترك امرأة أخرى تشاركنى فيه.. كان يكتب لى كل ليلة رسالة حب حتى يعمينى عن الشك فيه.. وفى الليلة نفسها يعبر عن الحب نفسه لزوجته الثانية.. لن أطالب بحبسه.. لكنى أصر على طلاقى منه.. لأن خسارته لى سوف تكون أشد عليه من حكم الإعدام!

.. تكلمت الثانية!

وعلى الرغم من أن حساسية الموقف.. فوجىء الجميع بحضور الأرملة الحسناء بصحبة عادل.. جلس الزوج فى أحد المقاعد.. واتجهت الزوجة الثانية نحو المحكمة.. طلبت الكلمة وأصرت عليها.. قالت:

● يا حضرات القضاة:

.. أنا التى ضحيت من أجله.. أنا التى عاشت معه زوجة فى السر.. أما زوجته الأولى التى تتمتع بالشرعية والعلانية فقد أصرت على ترك اسرتها طمعا فى الثروة.. أنا التى عشت على أعصابى وزوجى يتسلل إلى بيتى أكثر مما عاشت هى على اعصابها فى بلاد الغربة.. هى عاشت باختيارها بعيدا عن زوجها.. وأنا عشت رغما عنى فى سرية تامة اتمتع بحايتى معه.. كان بمقدورى أن أعلن عن هذا الزواج بحثا عن سعادتى..لكنى خشيت أن أهدم أسرة بأكملها.. أنا أحوج إلى هذا الرجل من زوجة لا تقابله فى بيت الزوجية إلا ترانزيت وأكثر حاجة اليه من أولاده الذين كبروا وسوف يفترقون عنه أجلا أو عاجلا بالزواج.. وعلى الرغم من هذا كله جلست معه أكثر من عشر ساعات نتباحث فى الأمر.. وفجأة لمحت فى عينيه دمعة حارقة.. أخبرنى أنها دمعة حزن على أولاده..لكنى باحساس الأنثى عرفت إنها دمعة حزن من أجل زوجته الأولى التى قالت لإحدى صديقاتها إنها تفضل الموت على أن يشعر عادل بإنها لاتزال تحبه.. وفى عصمته زوجة أخرى..ناقشت عادل وهمست له أطلب الطلاق فورا.. توسلت له.. ناشدته باسم الحب الكبير الذى لايزال فى قلبى وقلبه أن يطلق سراحى ويعود إلى بيته.. وبالأمس فقط اصطحبته إلى المأذون.. وطلقنى.. وذهب معى حيث حجزت تذكرة طائرة إلى لبنان حيث تعيش أختى الوحيدة.. ساسافر بعد ثلاثة أيام من اليوم.. ولن أظهر فى مصر مرة أخرى لينعم عادل بزوجته وأولاده.

عادت الزوجة الجديدة إلى مقعدها وهى تجهش بالبكاء!

لكن لطيفة وقفت وهى تصيح فى قاعة المحكمة بأعلى صوتها

.. أبعدوا هذا الرجل عنى.. لم يعد له مكان فى قلبى..ولا فى بيتى!..

ويندفع الأبناء لتهدئة أمهم.. وتحتضن الجدة ابنتها. بينما يقترب عادل من زوجته وهو يجفف دموعه.. فى اللحظة نفسها التى اختفت فيها الأرملة الحسناء من بين الناس.. والزحام.

حسناء فى مستشفى المجانين!



« .. وحينما طلبنى رجوته أن يؤجل ما يريده إلى الغد، وصار فى نظرى نذلا .. لكنى جعلته يشعر أنه «دون جوان» الكرة الأرضية! »

كان البلاغ مثيرا وغريبا! فى العقار رقم ٢٤ بالشارع البحرى الذى يتوسط أحد أهم ميادين القاهرة تم العثور على جثة أستاذ جامعى كان مذبوحا من رقبته وممدده جثته فوق سرير حجرة نومه بينما الدماء تحيط بها من كل جانب فى حالة تجلط!

ينتقل الضابط إلى مسرح الحادث المثير.. شقيق الأستاذ يقف فى حالة ذهول بعد أن أبلغ الشرطة بالعثور على جثة أخيه بعد عودته من عمله!.. الجيران يتهامسون والتحريات على قدم وساق دون أن يتوصل أحد إلى معرفة أو تحديد القاتل ولو بصفة مبدئية!

وتتوالى الأحداث سريعة.. وتتسع دائرة المشتبه فيهم.. ويزداد اللغز تعقيدا وغموضا!

عيون الحذر والريبة كانت تنطق فى تصرفات رجال المباحث فى استجوابهم لمواصفات الشاب شقيق القتيل!.. الجيران قالوا أن علاقتهما مثالية.. وحبهما لبعض لا تثور حوله الشكوك.. لكن لايعلم أحد لماذا طلق الأستاذ الجامعى زوجته وهجر أولاده ثم جاء للحياة مع أخيه الأعزب بشقته منذ أيام قليلة؟!.. هذا السؤال نفسه كان يحير رجال الشرطة.. لكن الأخ الموظف يتمالك دموعه ويتحكم فى اعصابه ثم يجيب فى حزن وأسى:

صدقونى أخى هو دنياى كلها.. هو ابى وصديقى وأخى الأكبر لا تنظروا نحوى بالشكوك.. حياة اخى فى الفترة الأخيرة كانت غامضة.. ولأول مرة أشعر أن هناك سرا يخفيه عنى.. لقد طلق زوجته وهجر أولاده دون مبررات تصوغ له هذا السلوك المفاجىء لنا جميعا.. كانت روحه فى أسرته.. لايطيق الابتعاد عنها ابدا.. إلا أنه فجأة تحول إلى شخص أخر.. وإلى هذا الوقت كان يقيم مع أسرته.. هم الذين لاحظوا شروده وغرابة

تصرفاته حتى أن زوجته اشتكت لى.. وحينما سألت أخى اقنعنى بطريقته المنطقية إنه لم يعد قادرا على الحياة بينهم.. وإنه يفكر فى الهجرة من مصر رغم تعلقه بالحياة فيها.. ورغم حرصه على أن يستمر فى رعايتى عملا بنصيحة والدينا.. وعندما منعته من تنفيذ فكرة الهجرة فوجئت به يوما وقد طلق زوجته.. وجاء يعيش معى فى شقتى.. فهل كنت أطرده.. لم ألاحظ عليه أى شيء.. كان مثاليا وهادئا وتصرفاته لا تدعو لأى شك.. لكنى بدأت أشعر أن فى حياته امرأة! لم يفصح لى عنها ابدا!

سارت المباحث فى كل الخطوط وفحصت كل الخيوط دون أن تهمل أنه قد يكون فى حياة القتيل امرأة.. إلا أن كل الطرق كانت تنتهى إلى لاشيء! حياة الأستاذ كانت واضحة كالشمس.. وعلاقاته محدوده ومحصورة وفوق مستوى الشبهات.. كل الذين تم استدعاؤهم لايمكن توجيه أى إتهام لأحد منهم!

كادت المباحث تغلق ملف القضية وتقيدها ضد مجهول إلى أن وقعت المفاجأة المدوية ذات صباح!

دخلت إحدى الفتيات الجميلات مكتب التحقيق وقدمت نفسها: أنا طالبة جامعية كنت تلميذه للأستاذ الجامعى القتيل.. وأعرف القاتل!

تنفس المحقوق الصعداء.. تلاحقت انفاسهم وهم يتابعون حديث الحسناء الشابة ربما أتى لهم بما يحفظ لهم ماء الوجه فى اللحظة الأخيرة!

وقالت الحسناء: «أنا القاتل!»

وقف كل الجالسين.. تحركوا.. اقتربوا من الفتاة.. احاطوا بها.. دعوها للجلوس.. ثم همست: .. لقد اتيت بمحض ارادتى.. ولا أدعى أن الشعور بالندم وراء ظهورى على مسرح الأحداث.. فأنا لست نادمة.. لقد قتلته لأسباب خاصة للغاية ولايمكن إذاعة تفاصيلها.. أن ما يهمكم هو أنى القاتلة.. قدمونى للعدالة.. ولا ترهقوا أنفسكم بالأسباب والدوافع فهى لاتهم أحدا فى الدنيا.. سواى!

الغريب أن الحسناء الشابه أصرت على موقفها.. وعلى اعترافها العام.. ورفضها الإدلاء بالأسباب والدوافع رغم كل المحاولات معها.. بل راحت تحاول تقديم الأدلة التى

تدينها وتقربها من حبل المشنقة.. قدمت السكين الذى ذبحت به أستاذ الجامعة وبعد الجريمة غسلته بالماء.. واحتفظت به للذكرى.. خاصة أن بقعة دماء القتيل لم تصلها المياة ولاتزال جافة فوق نصل السكين!

ليلة الحادث..

النيابة احالتها إلى المحكمة وظلت الحسناء الشابة ترفض بإصرار الإجابة عن التفاصيل بعد أن نجحت فى إقناع النيابة والمحكمة بأنها قاتلة الأستاذ.. أثبتت كيف دخلت وخرجت من شقة الحادث ولم يرها أحد!.. اثبتت أن لقاءاً عاطفيا خاصا دار بينها وبين الأستاذ قبل لحظات من قتلها له وحاولت أن تثبت بخط يد القتيل إنه كان رجلا لايستحق الحياة وهالنى أننى أمام إنسانة تجرى بكل قوتها نحو حبل المشنقة.. وتحرص بكل مالديها من جهد على تقابل عشماوى!

ناقشتها كثيرا.. بذلت كل جهدى لتتكلم بحثا عن ثغرة قد تنقذ حياتها وحينما أصرت على موقفها قررت الإنسحاب من قضيتها.. وعند هذه اللحظة فقط فوجئت بها تنهار وتبكى وتقسم إنها ستعترف وتروى وتحكى كل الأسرار فى الجلسة المقبلة ولم تكذب الحسناء!

وقفت أمام المحكمة تروى ليلة الحادث وتفاصيل المأساة وهى تبكى تارة.. وتتنفس الصعداء تارة أخرى.. وكانت دائما تتجنب نظرات الأخرين نحوها.. قالت:

تعرفت عليه تحت قبة الجامعة.. تبادلنا غراما ملتهبا وسريعا رغم معرفتى بأنه رجل متزوج.. أحببت كل شىء فيه.. وأحبنى بجنون.. حكى لى عن عذابه اليومى مع زوجته الأستاذة.. كيف قتلت عواطفة.. وكيف كانت هى ضحية البرود العلمى..كل هذا دون أن يشعر بغرامنا أحد!.. وعدنى بالزواج.. اجتاحنى شعور عارم بالثقة نحو حبيبى الذى كان أستاذى.. أحسست بالأمان له.. ولم أعد أبخل عليه مما حرمته منه زوجته!.. اتخذت منه موقفا حاسما فلم يعد فى جسدى إلا ما يمنح للازواج.. طلبت منه أن نتزوج أن نفترق!.. واختار الزواج.. بل ذهب فعلا إلى المأذون وطلق زوجته أولا.. وهجر بيتها.. وأقام لدى شقيقه وبينما كنا نخطط لحياتنا الجديدة معها.. اين سنسكن؟ وكيف

سنعيش؟!.. وكانت كل الطرق ممهدة لعقد هذا الزواج خلال اسابيع قليلة فوجئت به ينتزع منى مالم أقاوم كثيرا فى التشبث به.. وطار صوابى.. كيف فقدت نفسى بهذه السهولة.. وكيف منحته هذه الثقة قبل أن يطلب يدى من أسرتى رسميا.. أبى وأمى اخبرتهما بضرورة العودة من بلاد الغربة لأن استاذى الجامعى طلب يدى.. وفرحا وحجزا بالفعل بطاقتى السفر إلى القاهرة بكيت أمامه لأول مرة حزنا على ما حدث ووعدنى بأن يظل هذا السر بيننا حتى بعد أن يتم زواجنا.. ورغم لهفتى على أن يكون صادقا احسست بالشكوك فيه هذه المرة.. وبعد أيام تأكدت شكوكى.. طلبنى فى شقة أخيه من جديد.. فإذا به يحاول اقناعى بأن استمر صديقة له بحجة أن الزواج يقتل الحب!

وتستطرد الحسناء المتهمة فى حزن قائلة: ظننته يمزح.. توهمت أننى أحلم أو ضحية كابوس.. نهرته بشدة وطالبته بألا يلجأ لهذا المزاح السخيف معى.. لكن كل كلمة نطق بها أكدت لى أنه كان صادقا فيما يقول.. ولم يعد مطلوبا منى سوى دور الصديقة بعد أن فقدت فى نظره أهلية الزواج!.. بل دعانى إلى لقاء فى اللحظة نفسها فوعدته بتأجيل اللقاء إلى الغد بعد أن تظاهرت فى النهاية بأننى استحسن فكرته واستعذب دورى الجديد معه.. حتى بعد أن اتزوج من غيره.. واعجبته للغاية جملتى الأخيرة!.. أصبح فى نظرى نذلا.. لكنى جعلته يشعر بأنه دون جوان الكرة الأرضية.. ودعته على أمل أن يتم اللقاء الذى يريده إلى الغد!

ليلة الحادث لم أنم.. رأيت أستاذى فى المحاكمة التى عقدتها له بينى وبين نفسى لايستحق الحياة.. انتهيت إلى نتيجة واحدة.. هذا الإنسان لن يكون أمينا على زوجته أو أولاده أو المجتمع.. أو أى شىء.. ولأنه قتلنى فلابد أن أقتله.. وإذا كان قد سلبنى نفسى فسوف أسلبه روحه.. ولتكن نهايته فى اللحظات التى تمناها.. وهو يلعب دور الخائن وأنا ألعب أمامه دور الصديقة فى لحظات الحاجة المدمرة!

ذهبت اليه فى الموعد.. وحين دخل إلى الحمام.. هنا بدأ دورى.. دخلت المطبخ.. أخفيت سكينا فى ملابسى.. عدت إلى السرير حيث وضعت السكين أسفل الوسادة ثم دخنت سجارة لأول مرة فى حياتى انتزعتها من علبته المميزة واشعلتها بولاعته الذهبية!

وخرج من الحمام.. وأقترب أجله من النهاية!

وتكمل الحسناء الشابة تتابعها كل العيون.. تقول: جاءنى يترنح.. شكرنى على عواطفى تجاهه.. وفاجأته بجملة لم يتوقعها: أريدك..

أسعده النداء رغم هزاله.. أقترب منى ثم ألقى برأسه فوق كتفى.. وهنا لم أشعر بنفسى إلا وأنا أسحب السكين من تحت الوسادة وأذبح به هذا الرجل الذى دمر حياتى ومستقبلى.. اندفعت الدماء من شرايينه.. صرخ بعينيه فى نظرة طويلة كادت تعدنى بالزواج حالا لو لم يمت!.. لم أصدق عينيه.. فالقلب يكذب.. واللسان.. تركته حتى فارق الحياة.. واسرعت أغسل السكين من الدماء.. مضيت وأنا أعرف أن أحد لن يتوصل لى أبدا أو يكشف عن شخصيتي.. لكننى قررت أن أسلم نفسى لكم حتى أريح واستريح.. فالحياة لم تعد أمينة ابدا بعد تجربتى القاسية!

المفاجأة!

كانت أمام المحكمة خطابات بخط يد القتيل تضع النقاط فوق الحروف فيما تروية الحسناء المتهمة..لكن اعترافها التفصيلى جعل موقفها يتأزم!

توقع الجميع اعدام طالبة الجامعة القاتلة.. وقدمنا ما يمكن أن يشفع لها فيه تخفيف العقاب ولو كان بالمؤبد بدلا من الإعدام.. إلا أن «نانا» لم تدع أية فرصة للعقاب.. فقد احالتها المحكمة فى جلسة النطق بالحكم إلى الطبيب الشرعى أثر حالة مرضية افقدتها القدرة على التمييز.. وجاء تقرير الطب الشرعى يفيد بأن «نانا» فقدت عقلها.

ودخلت الحسناء مستشفى المجانين!.. ولا يعلم أحد إلى متى تظل ضيفة على مستشفى الأمراض العقلية!

ذات الرداء الأبيض!



«.. وهمست له سوسن مبررات ناعمة تقول: أنت أستاذهم.. وهم شباب مراهق.. أنا أريدك أنت!».

سوسن امرأة من طراز فريد، عمرها لايزيد عن سبعة وعشرين عاما، لكن تجاربها فى الحياة فاقت حنكة امرأة فى السبعين مؤهلاتها لاتزيد عن دبلوم التمريض لكن كبار الأطباء وقعوا فى غرامها وخلعوا لها قبعاتهم واحنوا أمامها هاماتهم لم تعمل فى مكان الا واشعلت فيه الثورة بين الرجال الكل يسعى إلى فرض سيادته عليها لكن أحدا لم يستطع أن يدفعها إلى رفع رآيات الاستسلام تنقلت من مستشفى خاص إلى مستشفى استثمارى مرات ومرات دون أن يكف كبار المسئولين بالمستشفيات عن ملاحقتها ولفت انتباهها والمزايدة على كسب رضاها وفى كل مرة كانت تأبى وتتدلل قالوا عنها إنها المرأة اللغز وعلى الرغم من هذا كله لم تهتم بالاشاعات التى تناثرت حولها وتناولت سيرتها ومست سمعتها لم يفهمها أحد حينما كانت تردد أمام صديقاتها جملتها المشهورة أما أن أتزوج من مليونير لا أحبه أو أحب مليونير لايتزوجنى هى نفسها كانت تسخر من فلسفتها وتضحك منها لكنها تقسم أنها ستحقق ما تقوله وتؤمن به إلى أن جاء اليوم الموعود ووقفت فيه جميلة جميلات القاهرة أمام محكمة جنايات القاهرة تقول فى حسرة أنا امرأة ملعونة حكاية سوسن نصفها فى أوراق القضية التى عصفت بحياتها عصفا واطاحت بكبريائها ووضعت انفها فى التراب والنصف الأخر تحكيه هى من فوق سرير المرض الذى زارها من خلاله الموت أكثر من مرة فما هى الحكاية؟!

المرأة الجميلة لايبحث أحد فى مكانتها الاجتماعية كثيرا ليس مهما فقرها ولا اسرتها ولا مؤهلاتها جمالها يفرض نفسه وتتضائل أمامه كل الأشياء وتهون فى عيون الرجال لهذا لم ينشغل الناس بمولد سوسن معها حيث وضعتها أمها السجينة فى عنبر الأمهات بسجن القناطر ولدتها أمها هناك وظلت سوسن معها عامين حتى أصرت إدارة

السجن على اخراجها بقوة القانون تسلمها فاعل خير رباها فأحسن تربيتها ابوها لم يظهر له أثر أمها ماتت قبل أن يكتمل عامها الثانى عشر فى السجن الذى دخلته وهى حامل كانت حينئذ متهمة بقتل جارتها وقضت المحكمة عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة صفحة سوداء من تاريخ سوسن وحياتها لكن أحدا لم يكن يهتم بنبش هذا الماضى خاصة وأنها كبرت ونمت فى بيت رجل محترم لم يبخل عليها بشىء وعلى الرغم من كرمه الزائد معها لم تحقق أى تفوق دراسى كانت تستعجل إنهاء دراستها وتتطلع دائما إلى محلات الكوافير ودور السينما وأخبار نجمات السينما والتحقت بمعهد التمريض وهناك عرفت أنها أجمل فتيات القاهرة عيناها لا تقاوم وشعرها سبائك حريرية من الذهب تسحب البساط من تحت أقدام الحسناوات فى أى مكان تتجمع فيه النساء كلما تكلمت أو تحركت أو صمتت أو شرعت فى الجلوس أو النهوض احبها نجل رجل أعمال بادلته مشاعر الحب اغتصبها، اسرعت إلى النيابة أصبحت حكايتها فضيحة هددت الرجل الذى رباها ورجل الأعمال والد حبيبها حاول الرجل الذى رباها أن يقنعها بالانسحاب لكنها أصرت على استرداد حقها بالقانون تركها الرجل وتبرأ منها وأقسم إلا تعود إلى بيته وحاول رجل الأعمال أن يسترضيها بمبلغ من المال لكنها أصرت على مائة ألف جنيه وزواج سريع من نجله يعقبه طلاق، وافق الرجل وتم الزواج فى النيابة وحصلت سوسن على المائة ألف جنيه عدا ونقدا، وبعد خمس دقائق تم الطلاق خرج الشاب الذى اغتصبها من حياتها ودخلت المائة ألف جنيه اشترت سوسن شقة تمليك بسبعين ألفا من الجنيهات وأثاث بخمسة عشر ألفا وسيارة مستعملة بباقى المبلغ ثم التحقت بالعمل ممرضة فى إحدى المستشفيات الاستثمارية.

وكانت سوسن مبعوث كيوبيد فى المستشفى الاستثمارى وقع ستة من الأطباء الشباب فى غرامها دفعة واحدة، حرصت سوسن أن تشعل فيهم نار الحب فى وقت واحد كل منهم اعتقد أنه فارسها الوحيد وراح يحلم باليوم الذى يعيش معها فيه تحت سقف واحد، وكانت سوسن تنتقم من الجميع أوهمت كل واحد أنها تتمناه لولا زملائه الخمسة الأخرين وراح كل منهم يمسك بخنجره للآخر امتلأت قلوب الأطباء الستة الحقد والكراهية تجاه بعضهم البعض وتوالت المشاجرات والمشاحنات حتى تدخل رئيس القسم

وهو الأستاذ الذى يكن له كل تلاميذه الاحترام وحاول أن يفك النزاع ويفصل القوات ويقدم حلا سليما لكن الأستاذ وقع فى غرام سوسن هو الأخر قالت له أنت أعقل منهم جميعا هم مراهقون وأنت الأستاذ الناضج أننى امرأة جريحة وأنت طبيب بيدك الدواء ورد عليها الأستاذ هامسا من الليلة ستكونين فى حمايتى أصبح صراع الأطباء حديث إدارة المستشفى واحيانا نزلائها وجاء مدير المستشفى إلى سوسن يطلب منها أن تقدم استقالتها ووافقت لكن الأستاذ رئيس القسم استقال هو الآخر ومن مستشفى إلى مستشفى تكررت المأساة كل يوم تفاجأ سوسن بعرض جديد لطلب يدها طبيب مهندس رجل أعمال حتى المرضى دخلوا فى المزاد وحاول كل منهم أن يطلبها بالأسم لتكون المسئولة عن الجناح الذى ينزل فيه وكان اللغز المحير لماذا لاتتزوج سوسن لماذا ترفض كل الاغراءات وتحرص على ابراز جاذبيتها ثم تمنع العشاق من طلب يدها كانت تعيش بمفردها بعد أن تبرأ منها الرجل الذى رباها وعلى الرغم من ذلك حافظت على شرفها واستبسلت فى الدفاع عنه كانت سيدة نفسها لا أمر عليها ولا نهى له فلماذا ترفض الزواج ممن تنطبق عليهم مواصفات فارس الأحلام كانت تجيب عن السؤال بحزن شديد وتقول لقد جربت الحب فانخدعت وقهرنى الحبيب أريد المال كل الذين تقدموا لى ليسوا أعضاء فى قائمة المليونيرات ليس مهما أن أحب مليونيرا ولكن المهم أن اتكسب الملايين من ورائه أما إذا جاءتنى الفرصة وأحببت مليونيرا أثريت من ورائه فليس مهما أن أتزوجه.

وصل الشيطان بسرعة الصاروخ إلى هذه المرأة المغرورة أخيرا وقعت سوسن فى غرام شاب أكدت تحرياتها عنه أنه ملياردير قادم من بلاد الغربة لإقامة مشروعات فى مصر التى غاب عنها عشرين عاما اقتربت منه بشدة فتحت له قلبها المغلق عاشت معه أياما أقرب إلى ليالى ألف ليلة وليلة أصبحت جميلة جميلات النوادى والسهرات التى تحضرها معه شاهدته يلعب بالمال لعبا وينفقه بسخاء كما يتنفس الهواء ويشرب الماء صارت أسيرة فى عالمه بعد أن لبست فى أصبعها دبلة خطوبته اعتزلت عملها والناس والاصدقاء كأية امرأة فى حالة حب لم يعد فى حياتها سوى الحبيب لم تتركه لحظة واحدة ترافقة فى زياراته لاصدقائها وتحمل حقائب الهدايا وعلب المجوهرات التى

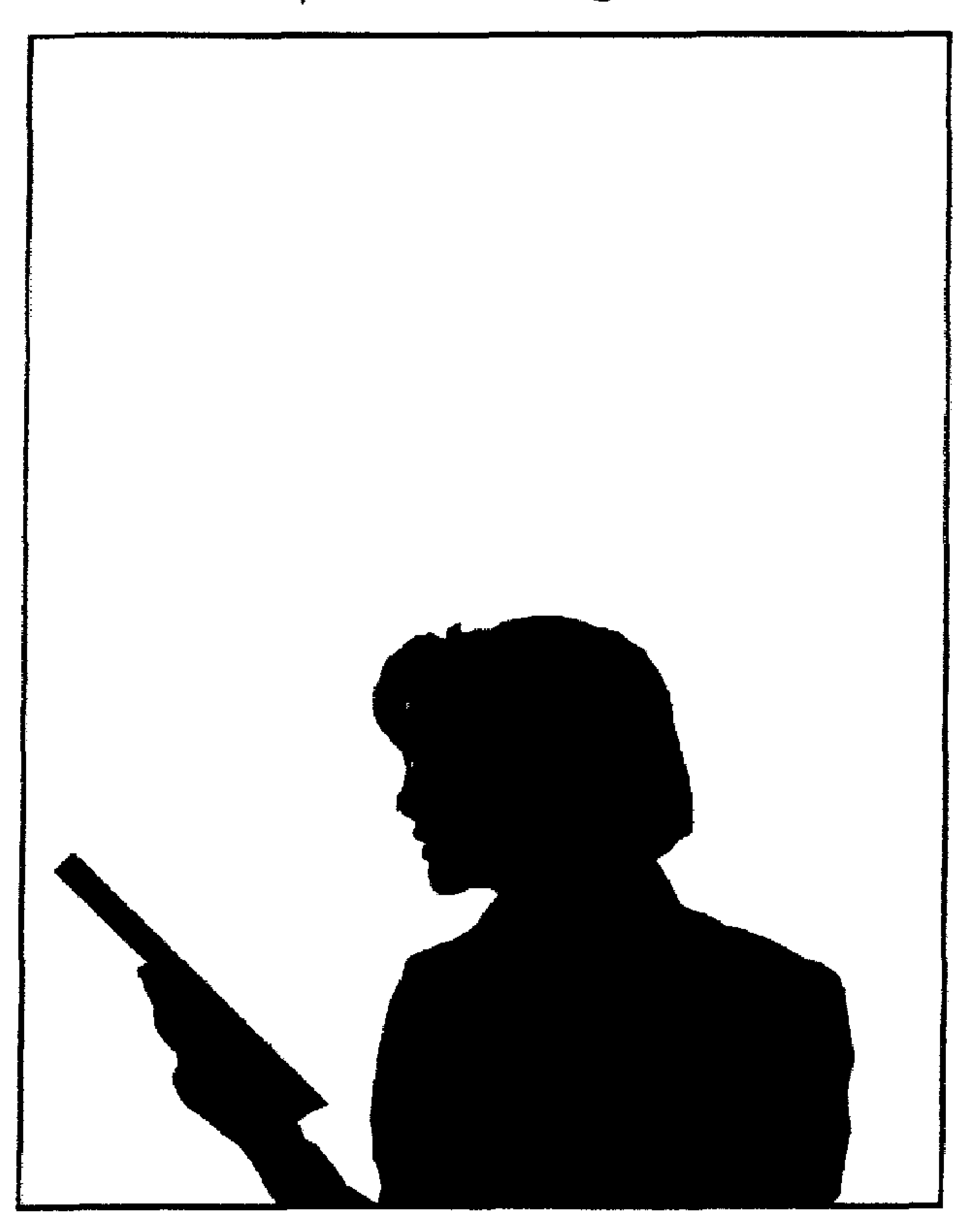
يقدمها خطيبها إلى زملائه رجال الأعمال حتى كان اليوم المشهود توقفت سيارة خطيبها أمام فيلا رائعة بمصر الجديدة ونزل الشاب الأنيق وإلى جواره سوسن خطيبته الحسناء الرائعة نزلت خلفه وفى يدها حقيبة الهدايا ولكنها قبل أن تصل إلى بوابة الفيلا أمطرت الدنيا ضباطا وجنودا التفوا حولها امسكوا بها وبخطيبها فتشوا علب المجوهرات فلم يجدوا غير هيروين خام فتشوا حقيبة السيارة فلم يجدوا إلا المزيد من علب الهيروين الخام أسقط فى يد الجميلة صرخت بأعلى صوتهالكن القانون لايعترف بالصراخ والدموع حكت قصتها مع خطيبها فى التحقيقات لكن كل الأدلة كانت ضدها فالسيارة بأسمها والحقائب كانت داخل حقيبة السيارة وأحداها كانت تحملها فى يدها أما خطيبها فلا علاقة له بالسيارة ولا الهيروين إنه الشيطان الذى خدع سوسن ولبس ثياب المهتدين كان الموقف صعبا والسجن مرعبا والليالى القاسية خلف الأسوار العالية راحت تحطم أعصاب سوسن ليلة بعد أخرى لكن ركز الدفاع عنها على واقع القضية المتهمون داخل الفيلا نفوا معرفتهم بسوسن من قبل وأكدوا أن صفقتهم كانت مع خطيبها صاحب معرض السيارات الذى أشترى منه خطيبها السيارة أكد أنه لم يشاهد سوسن من قبل وأنه باع السيارة لخطيبها الذى أصر على أن تكون باسمها كذلك ساعدت شهادة سوسن فى التحقيقات وارشادها إلى أصدقاء أخرين لم تتضمنهم تحريات المباحث فى الوصول إلى معلومات مهمة وحكت سوسن كيف اصطحبها معه خطيبها إليهم وهو يزعم أنهما يحضران حفلة فى كل مرة ويصر على أن تقدم هى الهدايا بعد أن اقنعها بضرورة ظهورها فى الصورة حتى يتعرف عليها المجتمع الراقى لكن أزمة قلبية طاحنة كادت تؤدى بحياة سوسن فى السجن نقولها إلى مستشفى حكومى تحت حراسة مشددة وبدأ علاج مكثف لها دخلت معه فى غيبوبة طويلة دون أن تتابع جلسات المحاكمة لكن بعد عام كامل تحسنت صحتها ووقفت أمام محكمة الجنايات تحكى حكايتها وهى تبدؤها قائلة أنا امرأة ملعونة لم أسجد لله سجده واحدة إلا وأنا داخل السجن لن أكون نادمة على أى حكم يصدر ضدى فأنا أستحق العقاب لست لأنى تاجرة مخدرات وإنما لأنى امرأة أعماها جمالها وبعد جلستين من أدلاء سوسن بأقوالها فجر خطيبها المفاجأة واعترف دورة كاملا وخداعه لسوسن وتقضى المحكمة بالبراءة لسوسن لكن دموعها تنهمر بشدة

فوق خديها وتهمس بحرقة لمن حولها يمكن اللى شفته ده ذنب ناس كثيرة ظلمتهم وكانت سوسن تقصد الأطباء الستة وأستاذهم كل ما يرويه الذين يعرفونهم أنهم فقدوا أتزانهم وسعادتهم وكأنهم عاشوا بعد محاولة اغتيال حيث فقدوا كثيرا من احترامهم لانفسهم واحترامهم لبعضهم البعض بل وكان الأمر يصل إلى حد فقدانهم لوظائفهم إنها أبشع محاولة اغتيال أخلاقى ضد ملائكة الرحمة.

ليس لأن جمالها لاتنافسها فيه انثى.. لا لأنها نقلت نفسها بأعجوبة من حياة الظل إلى عالم الأضواء والشهرة.. وحولت رصيدها المعدم إلى ثروة طائلة!.. ليس أيضا لأنها عاشت بقلبين أحدهما يفيض رقة وعذوبة وطيبة.. والأخر يمتلىء غيظا وحقدا وانتقاما.. فاصبحت أول امرأة جمعت فى صدرها بين قلبين متناقضين!.. لكن هويدا كانت غير كل النساء لأنها لم تغفل يوما أن فى حياتها ثأر «بابتا» لابد من تصفيته مهما كان الثمن.. ومهما مضى الزمن.ومهما تغيرت الأحوال والأحداث والواقع!.. ثار ضد رجال ثلاثة قررت أن تجعلهم عبرة أمام أنفسهم وأمام المجتمع حتى لو انتهى بها الأمر إلى قضاء باقى حياتها خلف اسوار السجن العالية.. أو التف حبل المشنقة حول عنقها لتنفيذ حكم الإعدام فيه من أجل هذا صبرت طويلا.. تحملت وتحاملت على نفسها.. خططت بمهارة وهى تأبى أن تنهمر الدموع من عينيها.. كانت تقول لنفسها فى كل مرة تبتسم لها الحياة وتغريها على نسيان الرغبة فى الانتقام أن الثأر يحتاج إلى قلب من فولاذ.. والذين يحملون الثأر لايبكون أبدا!.. منطق غريب أن تعتنقه امرأة.. خاصة حينما تكون جميلة.. ومرغوبة.. يتهافت عليها الرجال كما تتهافت أسراب النمل إلى قطعة سكر.

لكن هكذا اختارت هويدا لنفسها.. وقررت أن تجعل هذا السكر اللذيذ قطعة من السم القاتل أمام ثلاثة رجال حددتهم بالأسم.. والشكل.. والعنوان.. وظلت طوال حياتها تتلصص على أخبارهم.. وترصدهم.. وتتابعهم رغم أن أحداً منهم لم يعد يذكرها.. أو يتذكرها.. أو حتى تخطر له على بال!

حـواء تنتقـم!



« .. وقررت هويدا أن تنتـقم من الشيـاطيـن الثلاثـة فى حياتها.. خاصة بعد أن عرفت الطريق إلى كبار الشخصيات.. وصارت من أشهر الراقصات! »

كل ما كانت ترجوه هويدا أن توفقها الأيام فيما خططته لنفسها ذات يوم.. ولا تخذلها الظروف حينما تعد عدتها وتستكمل أسلحتها ثم تعطى لنفسها أشارة البدء لتخوض أكبر معركة تخطط لها امرأة لحساب بنات جنسها الناعم!

شتان ما بين هويدا الفلاحة التى نشأت وتربت فى حجرة ريفية تلاصق حظيرة مواشى عمدة أحدى القرى الصغيرة بمحافظة من محافظات الوجه البحرى.. وبين هويدا الهانم التى تسابق نجوم المجتمع على تقبيل يدها ونيل رضاها وكسب ودها!.. شتان ما بين هويدا الذليلة.. وبين هويدا نجمة الليل فى الصالونات والاندية وتجمعات المستثمرين فى نهاية السبعينات!

إنها بطلة إحدى القصص التى صنعها وأشرف على تنفيذها واقع ملموس قد يفوق خيال مؤلفى السينما.. قصة جمعت بين كل عناصر التشويق والاثارة ودموع الحب ولذة الانتقام.. ودون أن يتوقع أحد أن هذه الأحداث التى شهدت بدايتها حظيرة مواشى العمدة سوف تتطور وتتلاحق لتصل فى النهاية إلى قمة الشهرة وقاعات المحاكم.. ولست أذيع سرا حينما أنقل اليكم الأن تفاصيل القصة المثيرة من واقع المذكرات التى كتبتها هويدا بخط يدها من داخل السجن!.. ومن واقع محاضر التحريات والتحقيقات وأقوال الشهود ومرافعات الدفاع.. ليس سرا هذا الذى اذيعة الأن فقد وافقت هويدا أخيرا على نشره لتتعرف على رأى النساء والرجال فى حكايتها.. وقالت لى بالحرف الواحد.. دعهم يخبرونك برأيهم وارسله لى فى السجن ربما كان حكم المجتمع الأن هو ا لشىء الوحيد الذى قد يخفف من وطأة الزنزانة وقسوة الوحدة وذل السجن!..

واسمحوا لى الأن أن اعرض قصة هويدا التى كانت مهمتى فى قاعة المحكمة ذات يوم أن أنقذها من حبل المشنقة.. والأن تريد أن تسمع رأى الناس بعد سنوات طويلة داخل السجن.. كل ما ترجوه هى أن تؤجلوا حكمكم حتى الكلمة الأخيرة فى سيناريو قصتها الذى ينتهى فى الحلقة المقبلة.

نهيق الحمار!

كانت أجمل بنات القرية.. وأذكى تلميذاتها فى المدرسة الأعدادية التى التحقت بها بمجموع لم تسبقها اليه تلميذة أخرى من بنات المحافظة.. الكل كان يتوقع لها أن تتخرج طبيبة أو مهندسة وتعوض أباها عن فقره وحقارة مهنته حيث يعمل خادما فى دوار العمدة منذ أن ماتت زوجته رتيبه عاش الأب مع ابنته الجميلة هويدا فى الحجرة الصغيرة المجاورة لحظيرة المواشى.. أهل القرية يحسدونه على جمال هويدا وذكائها وخفة ظلها.. أما هو فكان يتمنى ألا يموت قبل أن يسلم وحيدته إلى عريسها.. لكن لا الأب ولا وحيدته كانا يدريان بما يخططه الذئب المتوحش دياب.. إنه ابن العمدة الذى يظلم فلاحى القرية ويستولى على اراضيهم ويغتصب نساءهم ويحاربهم فى ارزاقهم.. لم تتوقع هويدا أن دياب حينما أمر أباها بالسفر إلى الصعيد فى مهمة عاجلة كان يخطط لافتراسها وهى بنت الأربعة عشر عاما.

لم تنس ابدا هذه الليلة الباردة التى جذبها فيها دياب من حجرتها إلى داخل الحظيرة.. وحاولت الصراخ فكتم أنفاسها.. طرحها أرضا.. وأجهز عليها حتى اغتصبها وسالت منها الدماء وسط نهيق الحمار الذى كان يبدو كما لو أن حالة هيسترية قد أصابته.. أو كأنه يعترض على هذا الأسلوب الأدمى القذر فى الاعتداء على حرمات الناس.. لم يفارق مسامع هويدا صوت هذا الحمار ابدا.. حتى بعد أن نال منها دياب ما أراد.. هددها بقتل ابيها لو همست بكلمة واحدة مما حدث.. ارهبها وأحال حياتها إلى كابوس يفوق احتمال طفلة مثل هويدا.. بعد ثلاثة أشهر تحرك جنين فى أحشاء الصغيرة.. أسودت الدنيا فى عينيها.. لمن تلجأ؟!.. هل تخبر أباها فيقتلها ويقتل دياب؟! هل تسكت فتلحق العار بنفسها حينما تنتفخ بطنها أمام الناس دون مبرر؟!

اسئلة كادت أن تدمر عقل الفتاة الصغيرة أخيرا لم تجد حلا سوى الهروب من القرية

كلها.. لم تكن تملك غير جنيه واحد سرقته من حافظة ابيها وهو نائم ليلا.. تسللت فى الظلام إلى محطة القطار. سافرت إلى القاهر التى لم ترها طوال عمرها. مشت فى شوارعها بلا هدى مع الصباح الباكر.. كانت العيون تتابعها.. هربت من ذئب لتجد نفسها وسط غابة من الذئاب ترصدها بعيون جائعة رغم صغر سنها.. وملامح الحزن فوق وجهها.. وحينما اقترب المساء حل بها التعب.. جلست فوق الرصيف.. ابتلعت ريقها الجاف وهى ترى امرأة تشبه أمها.. بكت بشدة حينما عبرتها المرأة دون أن تنتبه لها.. قالت لنفسها «آه.. لو كانت أمى.. ماتركتنى وحدى ابدا!.. غلبها النوم.. لكنها قاومت حتى وقعت عيناها من جديد على رجل وقور يجلس على مقهى قريب.. قامت واتجهت اليه.. كان كريما معها.. سمع منها حكايتها.. وعدها بالمساعدة.. أخذها إلى شركته الصغير لتبيت حتى الصباح.. اصطحبها مع إشراقة النهار إلى طبيبة أمراض نساء حيث اجهضتها الطبيبة.. ظل الحاج منسى يزورها ويشرف عليها حتى استردت صحتها وعافيتها فألحقها للعمل بشركته.. وأوصى عليها أولاده وأحفاده الذين يديرون أعماله!

حتى أنت!!

مضى عام.. ظنت هويدا أن الحياة ابتسمت لها.. وأن السعادة ستعرف طريقها اليها أخيرا. وعدها الحاج منسى أن تكمل تعليمها ويستدعى اباها للعمل معها فى الشركة.. لكن الحاج منسى عاد بخبر حزين من قرية هويدا.. مات ابوها منذ ثلاثة أشهر حزنا على فراق ابنته بعد أن ظن أنها هربت بإرادتها!.. دارت الدنيا بهويدا.. لكن الحاج منسى يرحل هو الآخر عن الدنيا بعد خمسة أشهر من وفاة والدها.. لم يتبق امامها سوى أولاده. كانوا كرماء معها مثل ابيهم.. وقفوا إلى جوارها وساندوها حتى أكتمل العام الثانى.. وذات ليلة من ليالى الغدر التى أفسدت على هويدا حياتها فوجئت بباب الشركة ينفتح من الخارج ثم يغلق من جديد.. وجدت أمامه أحد أحفاد الحاج منسى الذى أقتحم حجرتها ومعه خمسة من أصدقائه الشبان.. قبل أن تصرخ وضعوا المطاوى حول رقبتها.. مزق أحدهم قميص نومها.. وتلقفها الحفيد بين ذراعية.. صرخت فيهم بأنها تفضل الموت على العار.. فهمت من حوار بين اثنين من الرفاق أن الحفيد هو الذى دعاهم إلى الفريسة وخدعهم بأنها لن تقاومهم ابدا..

تراجع ثلاثة وحاول الرابع مع الحفيد.. إلا أن هويدا ظلت على مقاومتها حتى أصابتها المطواة فى ظهرها.. هرب الشبان الصغار فى لحظات.. ورقدت هويدا وسط بركة من الدماء.. تجمع الناس على صراخها.. طلبوا الشرطة.. لكن أولاد الحاج منسى وصلوا قبل الضباط.. توسلوا اليها أن تصطنع أية قصة لايتورط فيها الحفيد.. ذكروها بروح الحاج منسى ومدى حبه لهذا الحفيد.. طالبوها وهى تتألم أن تقديم معروفا للرجل الذى اكرمها حتى رحل عن الدنيا.. وبالفعل قررت هويدا فى محضر الشرطة أنها كانت تقاوم لصوصا حاولوا سرقة الشركة ليلا!

ظلت الشابة الجميلة تقاوم آلامها ودموعها فى المستشفى وهى تهمس لنفسها «حتى هذا الحفيد طمع فى!».. وكانت المفاجأة الكبرى بعد أسابيع حينما عادت من المستشفى إلى الشركة.. فوجئت بعيون أولاد الحاج منسى وكل العائلة تحمل لها الاتهامات بدلا من الشكر والثناء.. لقد أقنعهم «وائل» هذا الحفيد المدلل أنها اتفقت معه على إحضار اصدقائه والسهر معها ليلة كاملة نظير خمسين جنيها.. صرخت هويدا تؤكد لهم أن وائل كذاب ومخادع وظالم.. لكن صمت الجميع.. حملت اشياءها وهمست لهم:

عموما.. أنا متشكرة جدا.. ولم يعدلى مكان بينكم

لم يعلق أحد.. ومضت هويدا لا تعرف إلى أين تتجه .

الرجل الثالث!

فجأة.. وجدت هويدا أمامها فرصة العمر.. عم صالح بواب العمارة الشاهقة على أول الشارع كان يعرف قصتها ومدى الظلم الذى تعرضت له.. استضافها مع زوجته وأولاده.. قضت معهم أجمل أيام عمرها.. ويمضى عام جديد.. وفجأة يظهر شوكت بك صاحب ملهى ليلى.. يعرض على عم صالح عملا مغريا لهويدا.. توافق الفتاة الحسناء فهى سوف تعمل موظفة على شباك التذاكر لكن شوكت يلعب بطموحاتها ويغزو عقلها.. وسرعان ما ينجح خلال شهور قليلة فى اقناعها بالعمل راقصة شرقية.. تفرح هويدا بقلب الصبية التى تجهل عالم الليل وزبائن الملهى.. لكنها مع الأيام تدرك أن شوكت بك لم يكتف بنجاحها كراقصة.. بل بدأ يقدمها لكبار الزبائن.. ويجبرها على ترضيتهم!.

آه.. من لوعة الأحساس بالسقوط!.. هكذا عبرت هويدا عن تلك المرحلة من عمرها..

اعتبرت أن شوكت هو الشيطان الثالث الذى عبث بحياتها على طريقتها الخاصة.. كان يهددها الشخصيات الكبيرة التى تراهم عنده كل ليلة داخل مكتبة.. تعرف أن بإمكانه أن يدخلها السجن فى لحظة.. ويلفق لها اتهاما لا يكلفه شيئا.. طاوعته.. وفوجئت بالمال يجرى بين يديها.. وكروت الكبار تملأ حقيبتها.. أصبح بمقدورها أن ترفع سماعة التليفون وتكلم أحدهم وتطلب منه ما تشاء وقتما تشاء!.. هزمت كل الراقصات المنافسات.. حققت بشهرة سريعة.. وثروة لم تكن تحلم بها.

وجاءتها أروع فرص العمر لتتخلص من قبضة شوكت.. أحبها مليونير لا يعرف قصتها.. تزوجها.. كتب لها نصف ثروته.. ملأت عليه دنياه.. نسى أنه عجوز.. أغلق أذنيه عن كلام الناس وأهمل بيته وأولاده ولم يعد فى حياته غير هويدا.. طلب إليها أن تعتزل الرقص.. لم تتردد.. عاشت خادمة له فأطارت صوابه.. عامان فقط واستولت على معظم ما يملكه الرجل الغارق فى غرامها.. جعلته يشعر أنه أكثر شبابا من أبناء العشرين.. وأن الحياة قد تبدأ فعلا فى السبعين!

ظل المليونير العاشق يضرب عرض الحائط بنصائح أولاده وزوجته وكل المحيطين به.. رفع ابنه الأكبر قضية للحجر على تصرفات ابيه.. لكن المليونير العاشق مات قبل الحكم فى الدعوى.. وتتخلص هويدا من القيد الأخير!

وضعت خطة جديدة لحياتها سوف ترقص خمس سنوات أخرى حتى يكتمل المليون جنيه الثانية.. بعدها تستثمر أموالها فى مشروع يدر عليها عائدا كبيرا.. وتتفرغ تماما للانتقام من الذين اغتصبوها.. ودمروا حياتها.. كانوا السبب فى وفاة والدها مقهورا!.. وبالفعل.. عادت الاعلانات والافيشات تملأ الشوارع من جديد عن عودة الراقصة الحسناء إلى عالم الليل من جديد!

فرحت هويدا لأن أحدا لم ينسها.. نالت الاهتمام القديم نفسه.. انهمرت عليها الأموال كأنها لم تترك الرقص إلا من الليلة البارحة.. إتسعت علاقاتها.. أصبح بمقدورها أن ترفع سماعة التليفون وتتحدث مع شخصيات مهمة ذات نفوذ!

ذات ليلة انفردت بنفسها.. نطقت اسمائهم فى نفس واحد.. دياب وائل شوكت.. لابد

من القصاص.. حان وقت الثأر.. كل اسلحتها جاهزة المال والشهرة والعلاقات.. خاصة وأن عيونها لم تنقطع يوما واحدا عن أخبار الثلاثة.. رجالها كانوا خلفهم فى كل مكان.. دياب أصبح عمدة القرية خلفا لوالده.. ووائل تزوج من فتاة أحبها بجنون دون أن يعترف ولو للحظة واحدة أنه ظلم هويدا منذ سنوات طويلة.. ودفع بها إلى المحطة الثالثة من السقوط!.. أما شوكت فلا يزال يعمل فى الملاهى الليلة والإنتاج السينمائى ويعيش حياته طولا وعرضا..

ضحكت هويدا من أعماقها وهى تتابع أخر التحريات.. دياب العمدة الجديد اصطنعوا حوارا معه تأكد منه إنه نسى أن كانت فى القرية بنت أسمها هويدا!.. ووائل يمنع عمل السكرتيرات فى شركته لأنه يريد أن يؤكد للناس إنه لم يعد يطمئن للجنس الناعم منذ حاولت اللى اسمها هويدا غوايته هو واصدقاءه!.. كأنه يريد أن يخدع نفسه العمر كله.. لكنه يحب زوجته بجنون حبا يثير دهشة كل الناس.. أما شوكت فهو لايذكر هويدا الا حينما يتحدث عن الخائنات ويريد أن يتكلم عن مثال حى!

تنهدت هويدا وعادت لاحزانها.. ثلاثة رجال دمروها.. وقتلوا أباها أخر خط دفاع فى حياتها الأول نساها والثانى يصفها باحط الأوصاف.. والثالث يعتبرها خائنة.. ضربت كفا بكف.. كيف يعود الجانى ليظلم المجنى عليه مرات ومرات.. وكيف ينسى الصياد فريسته التى أكلها ذات ليلة باردة!

جمعت هويدا فريق معاونيها من الرجال والنساء.. رجال أقوياء وأذكياء.. ونساء حسناوات وفاتنات..كلف حسين بمهمة صعبة.. واختارت هيام لمهمة حريمى مائة فى المائة على أن يساندها فيها بلبل صاحب الوسامة والأناقة والمظهر الفخم !.. ثم كلفت شاهين بالمهمة الأخيرة!.. كانت هويدا قد رصدت نصف مليون جنيه للانفاق على خطة الانتقام.. لكنها قررت أن ترفع المبلغ إلى مليون جنيه فيما لو اقتضت الظروف أو عوامل الحذر والأمان!

قبل أن يكتمل عام.. ذهب حسين لتنفيذ المهام الموكلة اليه بعد أن تسلم عربون الصفقة!.. تربص بدياب بعد أن حفظ سيناريو حياته.. اختبأ له فى حقول الذرة.. أطلق

عليه رصاصة انطلقت كالسهم إلى قلب دياب.. سقط العمدة صريعا.. لكن أحدا لم يستطع إنقاذه.. وحينما تأكد الأهالى من موته بصقوا نحوه.. وكتموا الشهادة ضد حسين الذى حددوا ملامحه وهو يهرب.. لم يكن أحد من أبناء القرية على استعداد للحزن على عمدتهم الظالم الذى استباح النساء وأذل الرجال وسرق الأراضى والمحاصيل طوال حياته.. وقيد الحادث ضد مجهول!

وفى القاهرة انطلقت زغرودة من فيه هويدا.. قالت لنفسها فى سعادة غامرة لم تشعر بها منذ هروبها من القرية «قتلته مثلما قتلنى!».. نجحت الخطة بمهارة.ونال حسين باقى أتعابه.. ومن جديد تقرر هويدا اعتزال الرقص.. تستثمر أموالها فى مشروعات مربحة للغاية.. وتساند الجمعيات الخيرية.. وتناصر الأيتام وأطفال الملاجىء.. وتتجح أخيرا فى كسب احترام المجتمع المحيط بها.. ومعاملتها كسيدة أعمال وفاعلة خيرا!.. إلا أن هويدا لم تنسى الرجل التالى فى القائمة.

كانت هيام وبلبل بطل الجولة الجديدة.. خططت لها هويدا بعناية فائقة حتى نجحت هيام فى الايقاع بزوجة وائل وضمها إلى شلتها فى النادى.. بل حازت كل ثقة حتى أنزلقت بها إلى خيانة زوجها مع بلبل!.. وكانت المفاجأة المدوية حينما تم تنفيذ السيناريو الذى أشرفت عليه هويدا بنفسها وحضر وائل ليشاهد زوجته مع رجل أخر تمكن من الهرب فى اللحظة الأخيرة.

ترك بلبل وائل يواجه العار وحده وقفز من النافذة!.. وكم ضحكت هويدا وهى تستمع إلى أخبار وائل ودموعه على شرفة الذى ضاع والفضيحة التى أصابته.. ولم تتماسك هويدا أو تضبط اتزانها.. سارعت إلى التليفون واتصلت بوائل.. رد عليها مهزوما كسيرا.. أبلغته فى جملة واحدة أنها هى الفتاة الشريفة التى جعلها منحرفه أمام الناس.. بعدما أغلقت الخط وتركته يفكر فى وحدة فيمن تكون صاحبة المكالمة.. كانت واثقة من أنه سيتذكرها.. ويلعق بفمه دموع الندم!.. قهقهت كما لم تقهقه من قبل أن وائل قد خسر أحب وأعز امرأة فى حياته كما جعلها هى تخسر سمعتها وتنجرف إلى تيار أقوى منها.. جذبها إلى القاع وأن حاولت أن تكذب وتتجمل.. وتنتزع احترام الناس الذين يجهل معظمهم من تكون هويدا.

لم تعرف هويدا للسعادة مذاقا مثل هذا الذى أصاب قلبها بالفرحة منذ مات دياب.. ودفع وائل الثمن فادحا ولزم بيته أثر اصابته بأزمة قلبية وحالة اكتئاب فظيعة.. وهاهى تستعد للجولة الأخيرة.. مع شوكت بك!

أسعدها أكثر أن شوكت بك بعد أن عرف طريق الخسائر حاول أن يستردها.. ويكسب ثقتها.. ويفوز بها ولو لنفسه!.. لم يدر شوكت أنه فرش طريق نهايته بالورود تحت قدمى هويدا التى عادت إلى علاقته يوما بعد يوم.. تفننت فى اخضاعه لغرامها المستبد.. تحول فى يدها إلى قطعة من الدمى تحركها وقتما وحيثما تشاء.. أقنعته أن من مصلحته أن تظل علاقته بها سرا لأن شخصا مهما يحبها ويتردد عليها.. أقنعته بأن يكون لقاؤهما فى الفنادق غير المعروفة فى محافظات مختلفة من محافظات مصر حتى لاترصدهما العيون التى تعمل لصالح صاحب النفوذ.. ووافق شوكت وهو لا يصدق نفسه أن هويدا تغدق عليه بالمال.. وتدبر له اللقاءات السرية لتكون معه وحده بعيدا عن عيون الناس.. لكن كانت النهاية فى أعقاب لقائهما الأخير!

عادت مع شوكت فى الطريق الصحراوى فى عمق الليلة.. كانت حريصة على ألا يراهما أحد.. وفى منتصف الطريق وعمق ظلام الليل بدأت هويدا حوار ظن معه شوكت أنها تداعبه!..

قالت له: فاكر لما اجبرتنى على أن أكون منحرفة.. يومها قلت لك أنى اتعرضت لحادث اغتصاب.. لكنى لم أبع لحمى يوما.. لم تصدقنى ليلتها.. وقلت لى أن مصيرى واحد من اثنين.. أكون عشيقة ومحترفه أو أرجع للريف وحياة الفلاحين.. ولما حاولت معك واتوسلت لك هددتنى بالسجن.. وكنت أعرف أنك تقدر تنفذ تهديدك.. قررت بينى وبين نفسى وقتها أنى أنفذ تعليماتك وأكون ثروة أنتقم بها منك!

انقبض قلب شوكت مع أخر ثلاث كلمات.. تغير وجهه.. لكن وبمهارة شديدة تمد هويدا يدها إلى جانبها وتخرج مسدسا تنطلق منه رصاصتان فى رأس شكوت.. بعدها تنحرف هويدا بالسيارة يمينا لتكتشف أن شوكت لايزال قلبه ينبض.. كان واضحا أنه يلفظ أخر انفاسه.. قررت أن تجهز عليه برصاصة ثالثة.. لكنها تعتقد أنها قابلت سوء حظ لم تقابله امرأة فى حياتها.. فقد عاندها الزناد ولم تخرج الرصاصة ربما لأنها متوترة إلى أبعد

حدود التوتر.. ربما لأنها المرة الأولى التى تقتل فيها إنسانا.. ربما لأن عطلا قد أصاب مسدسها فجأة.. وربما لكل هذه الأسباب توقفت الرصاصة فى مسدس هويدا!.

ألقت بشوكت من سيارتها.. تمنت لو فارق الحياة فى الحال.. شاهدها مجموعة من الرجال وهى تحاول الهروب بسرعة.. التقطوا رقم سيارتها بعد أن انطلقت بها كالسهم.. اتجهوا نحو شوكت لنقله من عرض الطريق السريع ما بين القاهرة وإسكندرية.. لكن سيارة مسرعة التهمت جسد شوكت أمام أعين الرجال الأربعة!

يبلغ الشهود عن الواقعة.. ويتم القبض على هويدا بعد أن شعرت لأول مرة لذة الانتقام ونشوة القصاص.. أنكرت فى البداية كل علاقة لها بالحادث.. فلا يكفى رقم سيارتها كدليل وحيد على ارتكاب الحادث من دون أن تساندة أدلة أخرى.. حتى شهود الواقعة قروا أن الوقت كان ظلاما ولم يتبينوا وجه المتهمة بوضوح!.. كل القرائن كانت تشير إلى أن هويدا هى القاتلة.لكن استطعنا أن نهدمها جميعا حتى اعترفت لى هويدا بقصتها كاملة.. ونصحتها بأن تفكر جديا فى الاعتراف الذى يريح ضميرها مدى الحياة.. وخفف عنها وطأة الحكم لأنه صادر بارادتها ودون أن تتوصل أجهزة العدالة إلى الوقائع التى ستعترف بها.. بكت هويدا ووافقت واعترفت لى بأن هذا هو ما كانت تفكر فيه فعلا.. شجعتها حينما أهتزت أمامى وهى تتذكر حبل المشنقة.. طمأنتها إلى أن دفاعنا سينصب على أن شوكت لم يكن قد مات حينما ألقت به هويدا من سيارتها.. لكنه مات من حادث أخر.

ووقفت هويدا فى شجاعة تحسد عليها تحكى قصتها مع شوكت منذ تعرفت عليه وهى تعيش فى حجرة البواب.. وحتى أطلقت عليه الرصاص فى طريق مصر أسكندرية الصحراوى ولم تكن المحكمة فى حاجة إلى تفاصيل حياتها الأخرى مع دياب ووائل!.. وقضت عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة.

فى زيارتى الأخيرة لهافى السجن.. كانت فى أحسن حالاتها المعنوية.. وأخبرتنى أنها تكتب قصتها كاملة حتى يقول الناس رأيهم فيها وينصحوها بأن تكمل اعترافاتها أمام المحكمة مرة أخرى أما تكفى عشرين سنة سجنا عقابا لها؟!.. وهل كانت جانيه أم مجنيا عليها؟! سؤال أخر طلبت هويدا أن يجيب عنه القراء.

الفهرس

•• المرأة .. ذلك الكائن الناعم الجميل - في قليل من الأحيان - المتجمل في معظمها .. تتربع على عرش هذا الكتاب قاتلة محترفة .. محرضة ماهرة .. تذرف دمع التماسيح رغم اختفاء الضحية في بطنها العجيني الحنون ..

كيف يمكن أن تبدو الصورة عندما يتطوع محام بارع كمؤلف هذا الكتاب ليمسك في إحدى يديه بأدلة اتهام وأدلة براءة وشهادات شهود وتقارير طبية .. وباليد الأخرى مشرط جراح ماهر يمزق به أستار المرأة ليكشف لنا عن مخلوق ربما لا يكون ناعماً .. وربما لا يكون جميلاً على الاطلاق ..

.. وربما ننتهي من قراءة هذا الكتاب وقد اعتنقنا دحض مبدأ «فتش عن المرأة» الذي نادى به نابليون بونابرت ومن قبله فلاسفة اليونان .. بل لعلنا سوف نتيقن أن دور المرأة في الجريمة هو أظهر من أن ينكر وبالتالي فلا حاجة لأن نفتش عنها .. فحيث تكون الجريمة .. تكون هي هناك !!

الناشر

حمدي خليفة

- محام بالنقض
- وكيل نقابة المحامين بالجيزة
- له العديد من المقالات الصحفية القانونية والاجتماعية .. المنشورة في عدد من المجلات والصحف المصرية والعربية
- له عدد من المؤلفات القانونية والأدبية

KAMEL GRAPHICS



دار الأحمدى للنشر